

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة وهران
كلية العلوم الإنسانية و الحضارة الإسلامية
قسم الحضارة الإسلامية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير

الحجابة بالأندلس في العهد الأموي (138-422هـ، 756-1031م)

إعداد الطالب :
قدور وهراني

إشراف الدكتور
محمد بن معمر

السنة الجامعية: 2007/2006م

بسم الله الرحمن الرحيم

(قُلْ إنَّ صلاتـي
ونسكي ومحياي ومماتـي لله
رب العالمين لا شريك لـه
وبذلك أمرت وأنـا أول
المسلمين)

الأنعــام ١٦٢ـ ١٦٣

الإهداء

إلى من عاشا حياتهما من أجلي

والديَّ العزيزين

إلى الأمل الذي يخلق في نفسي روح التحدي

ابنتي وصال

إلى من صبر ووضع معي هذا العمل لبنةً لبنة

زوجتي الكريمة

إلى من خلق لي جو العمل ومنح لي فرصة الاجتهاد

إخوتي الأعزاء

إلى

هؤلاء جميعاً أهدي هذا العمل

ق.و

شكر وتقدير

الحمد والشكر لله بداية، أما بعد؛

فإني أجد من الأمانة وحُسن الخلق أن أتقدم بالشكر الجزيل، إلى كل من ساعدني في إنجاز هذا البحث، وأخص بالذكر الأستاذ المشرف الدكتور بن معمر محمد، على نصائحه وإرشاداته، وأشكر الدكتور بن نعمية عبد المجيد على ترحيبه بي في مخبر المخطوطات وأحي فيه ابتسامته الدائمة، والدكتور غازي جاسم على مساعدته ونصائحه العلمية المفيدة، والدكتور سلطاني الجيلالي على مساعدته، والأستاذ مصطفاوي عمر على حسن نصحه.

وأوجِّه شكراً خاصاً إلى أوفى أصدقائي الدكتور عبد الحليم بن عيسى لمتابعته الرسالة منذ بدايتها، وعلى تصويباته اللغوية.

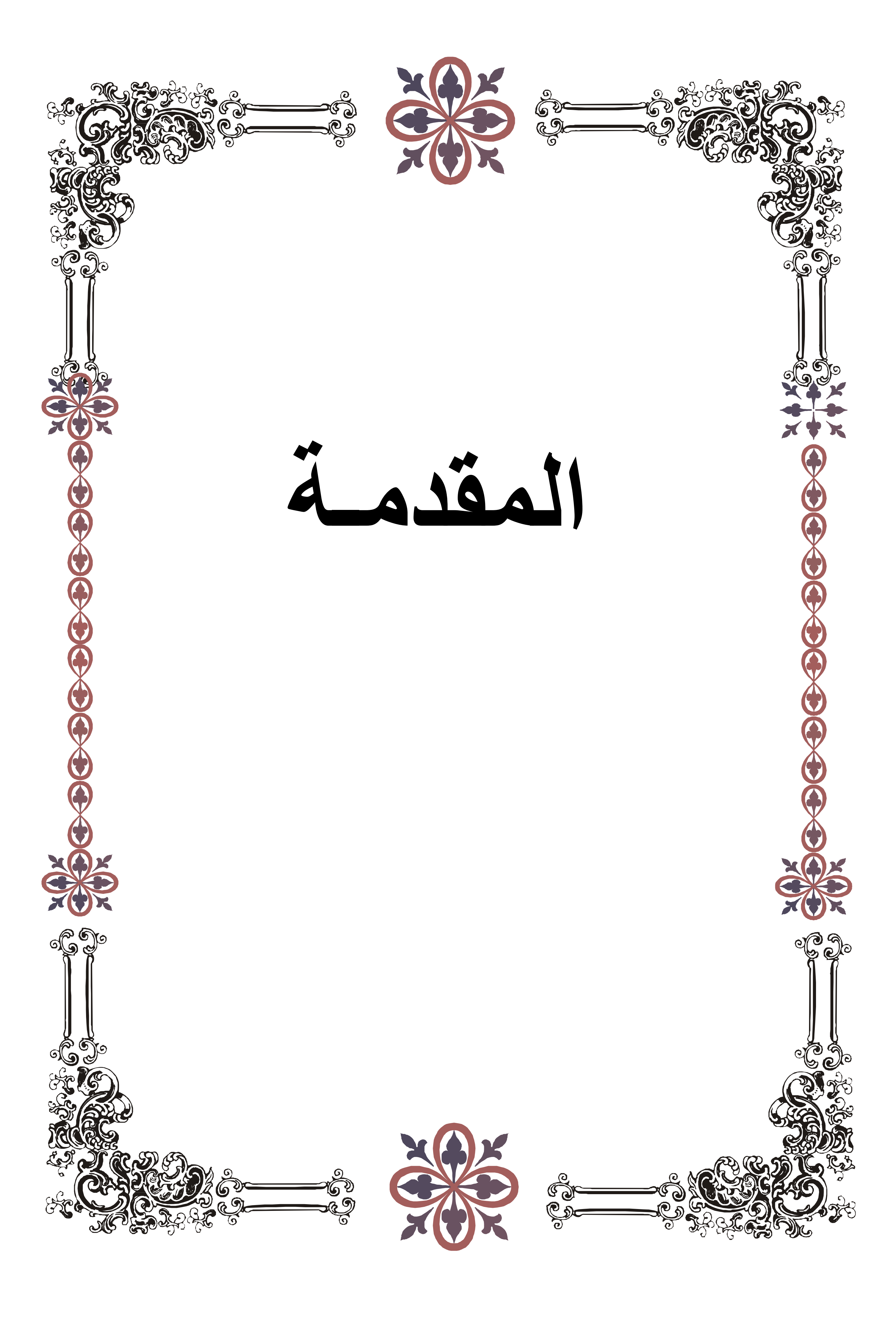
ولا أنسى أصدقائي ورفقاء دربيى على مساعداتهم خلال مختلف أطوار البحث، والسيد صاولة حمزة على مساعدته الجليلة، فلولاه ما وصلت إلى هذه المرحلة من البحث.

وأخيراً أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من ساهم من قريب أو بعيد في إخراج هذا العمل خاصة الزملاء في الدراسة.

ق.و



فهرس الموضوعات



المقدمـة

المقدمــة

يُطلق النِّظام عادة على ما يدل على الترتيب والانسجام والارتباط، ونُظم الحُكم هي القوانين والمبادئ والتقاليد التي تقوم عليها الحياة السياسية، والإدارية، والمالية، والقضائية لأي دولة.

ويُعتبر نظام الحجابة من أهم الأنظمة السياسية التي عرفها العالم الاسلامي خلال مختلف مراحل تطوره، فقد اهتم الحُكّام بتنظيم طرق استقبالهم لرعيتهم وضيوفهم، ولقائهم بموظفي دولتهم، وضبطوا ذلك برسوم وقوانين.

وقد عرف نظام الحجابة في الأندلس تطوراً كبيراً، فكان للأمويين فَضْلٌ كبير في تنظيمه وتقديمه بشكل جديد وراقٍ، فأصبح للحاجب دور مهم ومؤثر في مختلف شؤون الدولة، واكتسبت الحجابة في قرطبة خلال الفترة الممتدة بـ ين (138هـ -/756م -422هـ -/ 1031م) خصوصـ ية ميزتهـ ا عـ ن سـ ابقتها بدمشق، فقد أنشأ الأمويون بالأندلس نظاماً حكومياً متكاملاً، فارتقوا بدولتهم إلى مصاف الدول العُظمى في ذلك العصر.

إن موضوع "الحجابة بالأندلس في العهد الأموي" موضوع مُهم؛ لأنّ دراسته تمكننا من الاطلاع على مختلف جوانب الحياة الإدارية والسياسية، فلا يمكن الحديث عن تطور الحجابة في الأندلس دون الإشارة إلى النظام الإداري التي عرفته الدولة الأموية؛ إذْ أن هذا المنصب تغير وتجدد وتطور ضمن نسق أكبر، يشمل مجموعة من هياكل الدولة مثل الإمارة والخلافة والوزارة والقضاء، وما ارتبط بها من تحولات عرفها التفكير السياسي لحَاكم من الحُكّام في مرحلة معينة بتقريب فئة من الفئات وإبعاد أخرى، واصطناع أسرة ما وتهميش أخرى. لذلك فهو يتطلب دراسة معمقة تظهر مزاياه وعيوبه، وتجعله تجربة واضحة أمام دارسي التاريخ من خلال مقارنته بالنموذج المشرقي

الأموي، لمعرفة المساهمات الحضارية للحُجَّاب، ودورهم في انتقال الدولة الأموية بالأندلس من طور البداوة إلى طور الحضارة.

ويمكن القول إن أبسط الإجراءات التي يتخذها أمير من الأمراء تُؤثر على تطور الإدارة بصفة عامة، والحِجَابة بصفة خاصة في مُستقبل القريب والبعيد، ولهذا أجد نفسي مجبراً على دراسة تطور الحجابة مصحوباً بإشارات إلى تطور بعض الأنظمة الإدارية والأفكار السياسية السائدة في كل مرحلة من أجل فهم الهيكل الإداري للدولة وتوضيحه. فمنصب الحاجب هو العمود الفقري لهذا الهيكل، وبفهمه تظهر صورة النظام السياسي الأموي في الأندلس واضحةً.

لقد كان اختياري للموضوع تحقيقاً لأمنية حملتها معي طويلاً وتتمثل في رغبتي في اقتحام مجال الدراسات الأندلسية نظراً للتنوع والثراء اللذين تزخران به، فهي مجال خصب وواسع، ولايزال بحاجة إلى تنقيب وبحث وتجميع وتحليل واستنباط لبعض الأحكام، رغم كثرة البحوث في هذا المجال نظراً للظهور المُتأخِّر لبعض المصادر الأساسية والمهمة لدراسة الموضوع، والتي كانت منذ زمن قريب مفقودة.

وقد استفدت من بعض الدراسات الأكاديمية التي أذكر من بينها رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سنة (1424هـ/ 2003م)، من تقديم "سالم عبد الله خلف" بعنوان "نُظم حُكم الأمويين ورسومهم في الأندلس"، حيث خُصِّص مبحثٌ للحجابة بالأندلس، وكتاب "الحجابة والحجاب خلال العصور الإسلامية" للدكتور "علي بن راشد العنزي"، وكتاب "دراسات في نظم الحكم في الدولة الإسلامية" للدكتور "محمد بركات البيلي".

المقدمــة

وقد بحثت عن إجابات لبعض الإشكاليات التي فرضها الموضوع، وكان أولها: ما الفرق بين النموذج الذي قدَّمه الأندلسيون والنموذج الذي قُدِّمَ في المشرق؟

إذا كان منصب الحجابة في الفترة المذكورة قد عرف تَغَيُّرَات عديدة، من استقرارها في حاجب واحد، إلى تجميده أو تعدد الحُجَّاب في فترة واحدة. فما هي الأسباب التي خلقت قرار التجميد؟ وما هي الظروف التي ساقت وضعية التعدد؟

كانت على الحُجَّابُ في كثير من الأحيان تَحَمُّلَ مسؤوليات سياسية وعسكرية كثيرة، لذلك كان حسن احتيارهم شرطاً لنجاح سياسات الحُكَّام، فهل المؤهلات والكفاءات الشخصية هي المعيار الوحيد لاختيار الحاجب أم هناك معايير ومواصفات أخرى يجب توافرها في الحاجب؟ وإذا كانت للحاجب مكانة مُهمة في الدولة الأموية، فما هي حدود سلطته؟ وما الأثر الذي تركته محاولة بعض الحُجَّاب تجاوز سلطة الخليفة والاستبداد بالحكم؟ وهل كان للحاجب الصلاحية لاتخاذ قرارات تعيين أو إقالة الوزراء و باقي موظفي الدولة دون العودة إلى الأمير أو الخليفة؟

إن طبيعة الموضوع والأهداف المسطرة له والإشكاليات المطروحة تفرض في غالب الأحيان المنهج اللازم للبحث، لذلك اعتمدت المنهج الوصفي التاريخي في معظم أطوار البحث، مستعيناً بالاستقراء والتحليل من أجل رسم صورة واضحة المعالم عن تطور الحجابة عبر التاريخ الإسلامي عامةً، وفي قرطبة الأموية خاصةً، ثم قمت بمقارنة بين الأشكال المختلفة التي طرحها الأندلسيون في عهد الدولة الأموية. وحرصت كل الحرص على القيام خلال مختلف مراحل البحث بالمقارنة بين نماذج الحجابة الدولة الأموية بالأندلس،

والنموذج الذي قدمته الدولة الأموية بالمشرق وفي بعض الأحيان أشرت إلى بعض الأمور التي عرفها التاريخ الإسلامي عامة كلما دعت الضرورة إلى ذلك.

وبناءً على هذا اتبعت خطة فرضتها طبيعة الموضوع الذي بين أيدينا، حيث مهَّدت له بمدخل ضَبَطْت فيه مفهوم الحجابة لغةً واصطلاحاً وتطورها في المشرق الإسلامي قبل سنة (132هـ/750م)؛ وهي سنة سقوط الدولة الأموية بدمشق، ليتسنى لي عرض ومقارنة النماذج التي طرحها التاريخ الإسلامي للحجابة حتى تلك الفترة.

وحاولت في الفصل الأول أن أتتبَّع المراحل التي مرت بها الحجابة مدة وجود الدولة الأموية بالأندلس، ومدى تأثُّرها وتأثِيرها في الأحداث السياسية، وفي النظام العام للدولة سواء في مرحلة الإمارة أو الخلافة أو خلال عصر الفتنة، فقسمتها إلى أربع مراحل وهي النشأة حيث كانت الدولة في مرحلة التأسيس، ثم التطور. وقد عرف فيه النظام الإداري وضوحاً في توزيع المناصب والوظائف، ثم مرحلة الضعف حيث سيطر فيه حكام تلك الفترة و تقلص دور الحاجب في الإدارة الأندلسية، وقد عرفت المرحلة الرابعة تسلط الحُجَّاب على السلطة.

أما الفصل الثاني فقد خصصته للحديث عن التقاليد والرسوم الأموية في الحجابة بالأندلس، وخصوصياتهم وإسهاماتهم في ذلك، من خلال مناقشة قضية تعيين الحُجَّاب مع مقارنته مع التعيين في مناصب أخرى في الدولة مثل منصب القاضي، وهل خضع لشروط معينة عَمَلَ الحُكَّام على مراعاتها عند اختيار الحُجَّاب، أم أن الأمر يختلف في نوع منصب وخصوصيته؟ فهناك الخطط السياسية وهناك الخطط الدينية، وهناك الشروط والمعايير.

المقدمــة

وقدَّمْت في المبحث الثاني من هذا الفصل تصنيفاً لأنواع الحِجابة بالأندلس الرسمية منها والتي فرضتها بعض القوى في السلطة دون أن تكون هناك قوانين ورسوم تحكُمها، وما يميز كل نوع عن الآخر مع تقديم الحجج والبراهين لتفسير سبب تبني هذا التصنيف، وما هي المرحلة التاريخية التي ظهر فيها كل نوع؟ وما أثر الأحداث في ظهور نوع ما أو اختفائه؟ وكيف مُورس كل نوع إذا تعددت الحجابة ؟ وكيف كانت العلاقة بين هذه الأنواع؟ أما قضية اتخاذ الألقاب عند الحُجَّاب فقد كانت علامة مميزة من علامات تطور الدولة، فقد ظهرت أول مرة بعد إعلان الخلافة، وبروز علامات الفخامة والملك عند الأمويين بالأندلس، لذلك كان من المُهم التطرق لهذه القضية ودلالاتها الحضارية. ثم أبرزت المهام الرسمية التي أوكلت للحاجب، مع الحديث عن أنواعها بالأندلس في العهد الأموي. وقد حاولت من خلاله تحديد المهام الرسمية التي كان الحاجب يقوم بها.

أما الفصل الثالث فخصَّصته لتوضيح مكانة الحُجَّاب الاجتماعية والمادية في الدولة والمجتمع بالأندلس وعلاقته بالجيش، فأوضحت الأهمية التي عرفها وجود منصب الحاجب وعلاقته بأعضاء الحكومة الأموية، وحدود صلاحياته. ونظراً للارتباط الوثيق للحاجب بمجلس الوزراء رأيت أن أتتبع قيامَه بمهامه من خلال هذا المجلس، ومكانته فيه، وما هي القوانين والأعراف والمراسيم التي حكمت طريقة بدء الاجتماع وكيفية الانصراف منه، ووضعيات الجلوس، وكيفية تناول الكلمة، ونوعية الفراش الذي يُجلس عليه. دون أن أنسى في آخر مبحث التطرق إلى علاقة الحُجَّاب بالحياة الأدبية وإسهاماتهم في مجال الشعر وبراعتهم فيه، وتشجيعهم لمختلف القضايا العلمية نظراً لتأثير مستواهم العلمي على أدائهم لوظائفهم.

المقدمــة

لقد اهتمت المصادر بموضوع الحجابة في العهد الأموي بالأندلس، وفي هذا الشأن لا بُدَّ من الإشارة إلى كتاب الرازي "الحُجَّاب للخلفاء الأندلسيين" المَفْقُود الذي ذكره "ابن الأبار"(ت: 658هـ/1260) في "الحلة السيراء"، ونجد معلومات متفرقة عن الحُجَّاب تتضمنها كتب التاريخ العام وكتب النظم الإسلامية، وذكر أيضاً في هذا المجال "لسان الدين بن الخطيب" (ت:776هـ/1374م) في كتابه "الإشارة إلى أدب الوزارة"، وكُتَّاب آخرين تناولوا الموضوع ضمن دراسة النُظم بصفة عامة وأهمهم "ابن خلدون" (ت:808هـ/1406م) في مقدمته، و"ابن الأزرق" (ت:832هـ/1427م) في "بدائع السلك في طبائع الملك".

أما في ترتيب المصادر المستعملة في هذا البحث من حيث الأهمية، فقد أعطيت الأسبقية لأقربها زمنا من المرحلة المدروسة، ثم لأكثرها معالجة لموضوعنا وتخصصا فيه، ويأتي على رأس هذه المصادر:

1 – كتاب "المقتبس" لأبي مروان حيان بن خلف ابن حيان القرطبي (ت:469هـ/ 1076م): وتعود أهمية الكتاب إلى شيئين اثنين؛ فأما الأول فهو اعتماده على مجموعة من المؤلفات المهمة والمفقودة؛ ومنها كتاب في تاريخ الأندلس لكبير المؤرخين الأندلسيين "أحمد بن محمد الرازي" (ت 344هـ/ 955م)، وابنه "عيسى" (ت 379هـ /989م) والوراق القيرواني (ت363هـ/973م)، ووصل اعتماد ابن حيان من بـ "أحمد الرازي" إلى حدِّ نقل مادته كاملة مشيراً إلى ذلك صراحة في كتابه؛ ويتكون كتاب المقتبس من عشرة أسفار، وللأسف لم يصلنا منه إلا خمس قطع متفرقة، تُعالج القطعة الأولى فترة حُكم الأمير "الحَكم الربضي" وفترة من حُكم ابنه الأمير "عبد الرحمن" أي فترة (180/ 232هـ)، أما القطعة الثانية فهي للمحقق نفسه

وتُغطي الفترة الممتدة بين سنتي (232/ 267هـ) أي الأيام الأخيرة من حُكم الأمير "عبد الرحمن بن الحَكم" ومعظم أيام ابنه "محمد"، وقد نشر القطعة الثالثة المستشرق "مليشور أنطونيا" سنة (1937م) وتضم جزءاً من السفر الثالث، وتغطي فترة من حُكم الأمير عبد الله بن محمد بين سنتي (175هـ) و(300هـ)، وأما القطعة الرابعة فقد نشرها "بيدرو شلميتا" سنة 1979م وتشمل إحدى وثلاثين سنة من أيام الخليفة "عبد الرحمن الناصر"، وقد تكفَّل الدكتور "عبد الرحمن علي الحجي" بتحقيق القطعة الخامسة، وتعالج معظم فترة حُكم "الحَكم المستنصر".

ورغم أن المستشرق الإسباني "آنخيل بالنثيا" يتهم "ابن حيان" بنزعته الأموية وكراهيته للبربر إلا أن ذلك، ومهما كانت درجة صحته، لا ينقص من أهمية كتابة "المقتبس"، وقد استعملت في بحثي القطع الخمسة نظراً لأهميتها في الموضوع.

2 – "تاريخ افتتاح الأندلس" لـ "أبي بكر بن القوطية" (ت:367هـ/977م): ويغطي الكتاب تاريخ الأندلس من الفتح إلى نهاية فترة الإمارة، ويُعتبر المُؤرخ من أحفاد "أرطباش بن قيطشة" آخر ملوك القوط الذي يؤرخ له في الكتاب فيصوره رجلاً حكيما وسياسياً مُحنكاً، ويظهر من خلال ذلك نوعاً من التعاطف مع أجداده.

ورغم أن الأخبار التي يُقدمها "ابن القوطية" قصيرة إلا أنها تُعتبر بالغة الأهمية، فقد سمحت لنا بملْء بعض الفراغات التي صادفناها في مصادر أخرى.

3 – "الحلة السيراء لابن الأبار القضاعي" وهو كتاب تراجم مُصَنَّف على أساس الترتيب الزمني جمع فيه مؤلفه أخبار أعلام المغرب والأندلس

بالإضافة إلى عدد قليل من المشرق، وقد سمح لي الكتاب من الاطلاع على سِيَّر عدد كبير من الأمراء والحُجَّاب والوزراء الذين صنعوا أحداث التاريخ الأندلسي خلال فترة حُكم الأمويين.

4 – "أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها" لمؤلف مجهول: يركز هذا الكتاب على ذكر أخبار الفتح الإسلامي للأندلس، ثم مرحلة الولاة السابقة للحكم الأموي، ويُسلط الضوء على الأحداث التي كانت لي عونا في توضيح وتتبع النفوذ الذي اكتسبته بعض الأسر والبيوتات التي كان لها نصيب وافر في شغل منصب الحجابة خلال حُكم الدولة الأموية في الأندلس.

5 – "البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب" لـ "ابن عذاري المراكشي" (ت:712هـ/ 1312م): ويهُمُّنا من هذا الكتاب الجزئين الثاني والثالث، ورغم أنه أُلِّف في زمن مُتأخِّر إلا أنه يزخر بالمعلومات النادرة التي لم ترد في مصادر معاصرة أو قريبة زمنياً للفترة التي أدرسها.

ويخصص الكاتب الجزء الثاني للتأريخ للأندلس من الفتح الإسلامي إلى نهاية حجابة "محمد المنصور بن أبي عامر"، أما الجزء الثالث فعالج فيه المُؤلف نهاية فترة الحجابة العامرية، ثم الفتنة الأندلسية وأحداثها.

6 – "قضاة قرطبة" لـ "الخشني" (ت:361هـ/971م): يجمع المُؤَلِّفُ في هذا الكتاب تراجم لقضاة الأندلس خلال حكم الدولة الأموية في الأندلس، وتظهر أهمية الكتاب في تناوله لأخبار القضاة وعلاقتهم برجال الدولة، بما فيهم الحُجاب من جهة، وبالعامة من جهة أخرى، مما يتيح لنا فرصة ملاحظة الصورة التي كان عليها نظام الدولة في الأندلس.

7 – "نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر ووزيرها لسان الدين ابن الخطيب" لـ "أبي العباس المقري التلمسانى"(ت:1041هـ/1631م)، وقد

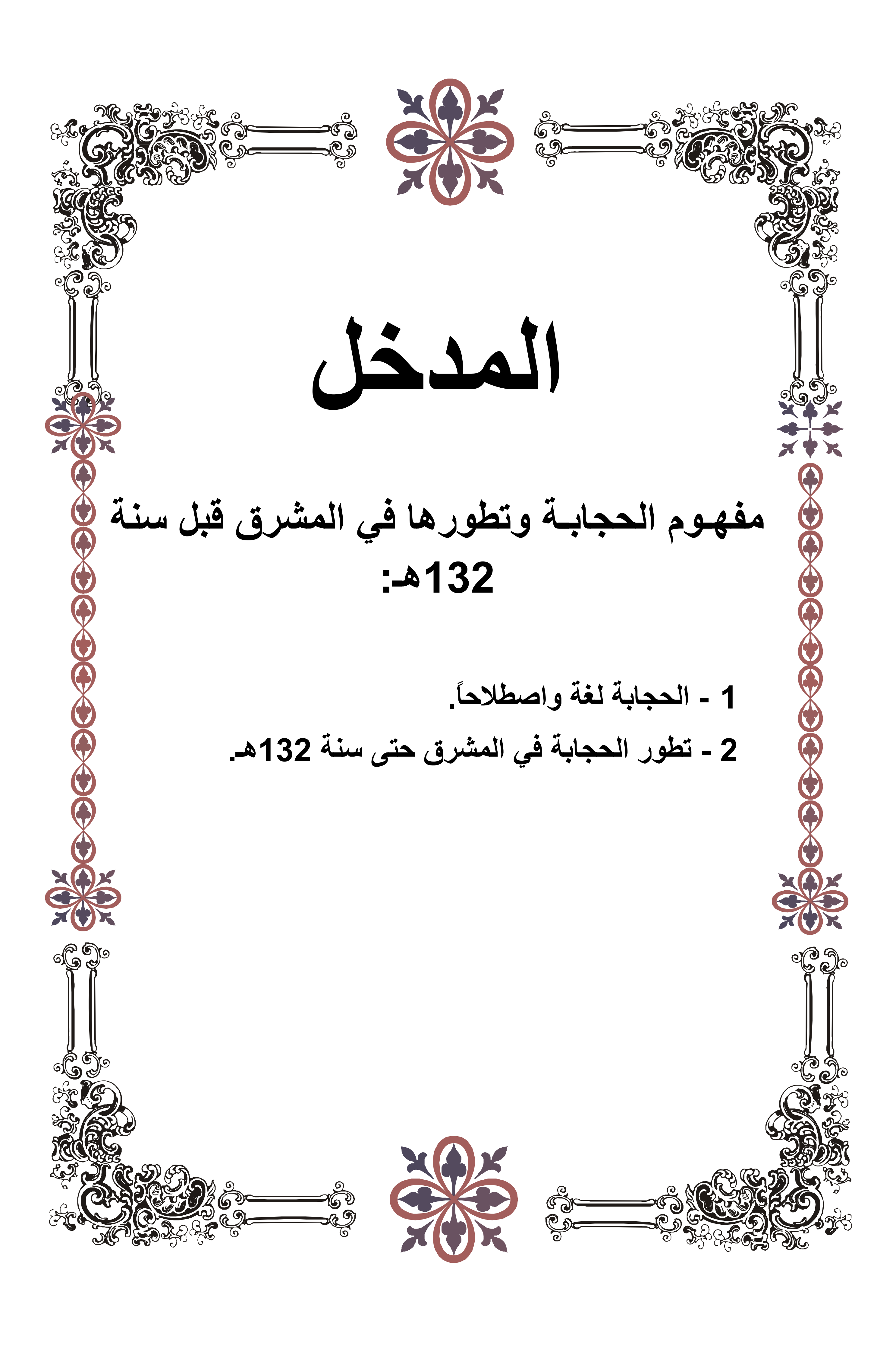
المقدمــة

اعتمدت في دراستي على الجزء الأول والثاني والثالث، التي تضمنت تراجم لكثير من الأمراء والخلفاء الأمويين مصحوبة بأخبار تاريخية نادرة عن الحياة السياسية بالأندلس خلال تلك الفترة لم تتناولها كتب التاريخ المتوافرة لدينا أو تناولتها مصادر مفقودة.

وقد اعتمدنا على مصادر أخرى لا تقل أهمية عن المذكورة سابقاً في ضبط بعض المفاهيم المُبهمة، أو تذليل بعض الصعوبات اللغوية، أو تحديد بعض المناطق الجغرافية، أو التعريف ببعض الشخصيات المجهولة، وسنأتي على ذكرها في حينها على الهامش.

رغم الدور المُهم الذي لعبه الحُجَّاب في مختلف جوانب التاريخ الأندلس واهتمام المؤرخين بذكر أخبارهم، إلا أنني واجهت في أحيان كثيرة غموضاً في تحديد بعض التواريخ المتعلقة بتنصيب الحُجَّاب، أو وفاتهم أو إعفائهم من مهامهم وأسباب ذلك، مما جعل بعض فترات تاريخ الحجابة تتميز بنوع من الغموض، إذْ لم تستطع المصادر العديدة التي تحصَّلت عليها أن تُلبي حاجتي في هذا الشأن.

المقدمــة



المدخل

مفهوم الحجابـة وتطورها في المشرق قبل سنة 132هـ:

1 - الحجابة لغة واصطلاحاً.

2 - تطور الحجابة في المشرق حتى سنة 132هـ.

1 - الحجابة لغة واصطلاحاً:

تُعطي المعاجم اللغوية العربية الحجابة معاني متقاربةٍ، فقد جاء في لسان العرب: «حَجَبَ أي سَتَرَ، واحْتَجَبَ وتَحَجَّبَ ومعناه: اكْتَنَّ من وراء ستار، والحَاجِبُ اسم فاعل، وهو البَوَّابُ، وجمعه حَجَبَة وحُجَّابٌ، وخطته الحِجَابَةُ وحَجَبَهُ أي مَنَعَهُ من الدُخُول »[1]؛ وجاء في تاج العروس: « الحِجَابُ اسم ما احْتُجِبَ به، وكل ما حال بين شيئين والجمع حُجُبٌ، والملك مُحْتَجِبٌ فهو مَحْجُوبٌ ومُحْتَجِبٌ عن الناس، وحَجَبه أي ولاه الحِجَابَةُ»[2].

أما اصطلاحاً فيُعِّرف "ابن خلدون" الحَاجِبَ بأنه "لقب خُصَّ به من يحجب السلطان عن العامة ويغلق بابه دونهم أو يفتحه لهم على قدره في مواقيته"[3]؛ أما القلقشندي (ت:821هـ/ 1418م) فيقول إن «موضوع الحجابة هو حفظ باب الخليفة والاستئذان للداخلين عليه»[4]، وتتلخص مهمة الحاجب «في إبلاغ الأخبار من الرعية إلى الإمام وأخذ الإذن لهم»[5].

والحاجب موظف كبير يشبه كبير الأمناء في وقتنا الحالي[6]، ويطلق عليه أيضاً لقب "رئيس التشريفات"[7]، ومهمته إدخال الناس على الحاكم من ذوي الحاجات والزوار والسفراء، وفق ترتيب مرسوم سلفاً أو بناء على وضعية يفرضها الظَّرْفُ، لذلك على الحَاجِبِ أن يكون فطناً، يعرف أوقات استقبال

[1] - ابن منظور، لسان العرب. إعداد وتصنيف: يوسف خياط. بيروت: دار لسان العرب. مج1. 298. مادة (حجب).

[2] - الزبيدي السيد مرتضى الحسيني، تاج العروس وجواهر القاموس. تحقيق: علي هلالي. الكويت: وزارة الإرشاد والإنباء. 1383هـ/1966م. ج2. ص242. مادة (حجب).

[3] - ابن خلدون عبد الرحمن أبو زيد ، المقدمة. بيروت: دار الكتاب اللبناني. 1984. ص426.

[4] - القلقشندي، أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا. تحقيق: يوسف علي الطويل. دمشق:دار الفكر. 1987. مج3. ص296.

[5] - المصدر نفسه، مج5. ص422.

[6] - حسن إبراهيم حسن و علي إبراهيم حسن، النظم الإسلامية. القاهرة: مكتبة النهضة الإسلامية. 1959. ط2. ص129.

[7] - غازي جاسم مهدي الشمري، دراسات في النظم الإسلامية. سيدي بلعباس: مكتبة الرشاد. 1424هـ/2002م . ص271.

المحجُوب، فيُراعي لحظات انبساطه ورضاه، ويتجنب أوقات سخطه وغضبه، فيعتذر بلباقة، أو يُؤجل الدخول دون ملل، وأن يعرف منازل الناس عند الحاكم فيدخلهم عليه حسب منازلهم عنده[1].

وبذلك فالحَاجِب وسيط بين السلطان والرعية، ومن هنا تظهر أهمية هذا المنصب، فصاحبه دائم القرب من السلطان، سهل التأثير عليه[2]، لذلك يجب أن يكون صادقًا فيما ينقل عن السلطان، أو يبلغ عنه مع حسن توصيل ما يُلقى عليه[3].

ولم ينته الأمر بالحاجب إلى طلب الإذن قبل الدخول على الحاكم بل تعداه إلى شرح كيفية دخول الزُوَّار إلى مجلس الخليفة، "وإرشادهم إلى الطريقة المُثلى لمقابلته والحديث في حضرته[4]. "فلا يجوز للحاجب أن يمشي وراء إنسان"[5] بل يجب أن يكون سبَّاقاً للزائرين في الدخول على الحاكم.

[1] - ابن الأزرق، بدائع السلك في طبائع الملك. تحقيق: سامي نشار. بغداد: منشورات وزارة الإعلام. 1977. ج1. ص271.
[2] - ج.ف.ب.هوبكنز، النظم الإسلامية بالمغرب في القرون الوسطى. ترجمة: أمين توفيق الطيبي. الدار البيضاء: شركة النشر والتوزيع المدارس. 1420هـ/1999م. ص109.
[3] - ابن الأزرق، المصدر السابق. ص272.
[4] - المصدر نفسه، ص132.
[5] - الجهشياري، أبو عبد الله محمد بن عبدوس، كتاب الوزراء والكتاب. تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي. القاهرة: مطبعة مصطفى الباني الحلبي وأولاده. 1357هـ/1938م. ص125.

2 – تطور الحجابة في المشرق حتى سنة 132هـ:

عُرِفَتْ الحجابة في مكة قبل الإسلام، لكن ليس بمعناها السياسي الواسع، فقد تكفَّل "بنو عبد الدار بن قصي" بحجابة الكعبة وسدانتها وحراستها وحفظ مفاتيحها[1]، وهو شرف خُصَّ به هذا البطن من قريش دون غيره، وقد سمي "عثمان بن طلحة بن عبد الدار بن قصي بن كلاب القرشي" حَاجِبُ الكعبة[2]، وقد جاء الإسلام ليثبت هذا الحق، فقد أخذ الرسول صلى الله علية وسلم مفتاح الكعبة ودخلها، لكنه سرعان ما أعاده لأصحابه امتثالاً للآية الكريمة: **(إن الله يأمركم أن تُؤَدُّوا الأمانات إلى أهلها)**[3]. وقال الرسول صلى الله عليه وسلم في تلك المناسبة لبني عبد الدار: «**اعملوا فيها بالمعروف لا يأخذها منكم إلا ظالم**»[4].

وقد كان لرؤساء القبائل وزعماء العشائر العربية قبل الإسلام بعض العبيد الذين قاموا بحجبهم، وتلبية طلباتهم[5].

وكان "الرسول" صلى الله عليه وسلم بعدما يفرغ من تصريف أمور المسلمين، وينصرف إلى خاصته مع أهله أو إلى العبادة، يحتاج إلى من يحفظ خلوته، ففي حديث روي عن "النبي" عليه الصلاة والسلام أنه طلب من غلام

---

[1] - ابن منظور، المصدر السابق. مج1. ص298. مادة (حجب).
[2] - ابن كثير، أبو الفدا إسماعيل ، تفسير ابن الكثير. بيروت: دار الفكر.1410هـ. ص516.
[3] - سورة النساء، الآية 58.
[4] - القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن. القاهرة: دار الشعب. ط2 .1372هـ. ج5. ص256؛ وفي رواية أخرى قال النبي صلى الله علية وسلم: «خذوها يا بني أبي طلحة تالدة خالدة لا ينزعها منكم أحد إلا ظالم». ابن سعد محمد بن منيع البصري، الطبقات الكبرى. بيروت: دار صادر. د.ت، ج2، ص137،136.
[5] - غازي جاسم، المرجع السابق. ص 110.

يُدعى "رباح" وكنيتُه "أبو مسروح" أن يقف على باب المَشْرَبة التي اعتزل فيها نساءَه، حين غاضبهن، فلماً طلب منه سيدنا "عمر" رضي الله عنه أن يستأذن له على رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأذن له، فكرَّر الاستئذان ثلاثاً، حتى أذن له "رباح" بالدخول[1]. ويذكر "الطبري"(ت:310هـ/923م) أن "أبا مسرح" أو "مسروح" هي كنية لـ"أنسة" مولى "رسول الله صلى الله عليه وسلم"، وقد كان يأذن على "الرسول صلى الله عليه وسلم"[2].

وقد تطوع "أبو موسى الأشعري" رضي الله عنه ليقف على باب خلوة "النبي" عليه السلام في مناسبات عديدة؛ ومنها تلك التي كانت على بئر "أريس"[3] حين دخل عليه "أبو بكر" ثم "عمر" ثم "عثمان" ثم "علي" رضي الله عنهم، وبشَّرهم بالجنة[4].

وكان "الرسول" صلى الله عليه وسلم يُعَلِّمُ الناس آداب الاستئذان؛ فقد سمع ذات يوم وهو في بيته رجلاً في الخارج يقول: «أألِجُ؟» فقال "النبي" عليه السلام لـ"زيد" رضي الله عنه": «أُخرج لهذا الرجل وعلمه الاستئذان، وقل: يقول السلام عليكم، أأدخل؟»[5].

وبذلك كان "الرسول" صلى الله عليه وسلم إذا اشتغل بأمر نفسه وأهله اتخذ من يحفظ بابه حتى إذا فرغ من ذلك، رفع الحجاب بينه وبين الناس، وبرز لطُلاَّب الحاجات[6].

---

[1] - المزيد صالح بن محمد الفهد، أحكام وضع الحجاب على أبواب السلاطين والولاة والكتاب. القاهرة: مطبعة المدني. ط1. 1413هـ/1992م، ص 13.

[2] - الطبري بن جرير، تاريخ الأمم والملوك. بيروت: دار الكتب العالمية.1407هـ. ج2. ص216.

[3] - يقع بئر أريس قرب المدينة المنورة، بنسب إلى رجل يهودي كان يملكه، فاشتراه منه عثمان بن عفان رضي الله عنه. فيه سقط خاتم الرسول صلى الله عليه وسلم من يد الخليفة عثمان رضي الله عنه في السنة السادسة من حكمه. الحموي أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، بيروت: دار الفكر، مج1. ص298.

[4] - صالح الفهد المزيد. المرجع السابق، ص14.

[5] - ابن عبد ربه أبو عمر بن أحمد بن محمد، العقد الفريد. شرحه وضبطه: أحمد أمين وآخرون. بيروت: دار الكتاب العربي. 1982م. ج1، ص70.

[6] - البيلي محمد بركات، دراسات في نُظم الحُكم في الدولة الإسلامية. القاهرة: دار النهضة العربية. 1408هـ/1988م. ص72.

غير أن حجابة "الرسول" صلى الله عليه وسلم لم تكن وظيفة منتظمة راتبة يتفرغ لها من يقوم بها فيؤجر عليها، وإنما كانت مهمة بسيطة عارضة، يؤديها أحد صحابته تطوُّعاً في أغلب الأحيان، مثلما كان الأمر مع "أبي موسى الأشعري" رضي الله عنه الذي لا يمكن بأي حالٍ من الأحوال أن نناديه بالحاجب بل بالآذن[1].

التزم الخلفاء الراشدون بما تَعَلَّمُوهُ من "الرسول" صلى الله عليه وسلم، فلم تتعد الحجابة في تلك الفترة ما كانت عليه من قبل، من اتخاذ حاجب دائم براتب ثابت، لكنها بدأت تأخذ بعض القواعد وإن كانت بسيطة.

وقد حرص سيدنا "عمر" رضي الله عنه على منع عُمَّاله من اتخاذ الحِجَاب وذلك لخوفه من المُغالاة فيه، لأن الحاكم أو الوالي المُحتجَب يُشعر موظفيه بغيابه فتتضرر مصالح الرعية؛ ونسوق في هذا الشأن بعض الأمثلة، ومنها ما وقع بينه وبين عامله على العراق "سعد بن أبي وقاص" رضي الله عنهما؛ فقد وصلت شكوى إلى الخليفة مفادها أن الوالي المذكور لا يخرج للناس ولا يصلي بهم، وأنه يضع بينه وبينهم حجاباً، فبعث "عمر" رضي الله عنه بمن يتحقق في الأمر، فوجد المبعوث أن "سعداً" وضع ستاراً من الحصير يستره عن المارة، فقام بحرقه، وقال له: «أتحجب نفسك عن الناس وأنت الأمير؟» فأجاب سعد قائلاً: «و الله إنني لم أحجب نفسي عن الناس، ولكنني أتخذه لستر نفسي وأهلي»[2].

وكان سيدنا "عمر" رضي الله عنه إذا استعمل عاملاً كتب له كتاباً واشترط فيه أموراً؛ منها أن لا يغلق بابه دون ذوي الحاجات، وقد كان رضي

[1] - نفس المرجع، نفس الصفحة.

[2] - العنزي علي بن راشد، الحجابة والحجاب خلال العصور الإسلامية. مجلة الحرس الوطني (الرياض) السنة 10، العدد 84، 1410هـ/1989م. ص 92.

الله عنه يضرب المثل في ذلك، حيث تعوَّد أن يجلس في المسجد بعد كل صلاة ليكلمه من له حاجة[1]، وقد كان لا يدعو لشيء إلا بدأ بنفسه في التطبيق، فلما جاءت وفود فارس لم يجدوه في منزله، فقيل لهم: «هو في المسجد». فقصدوه، فإذا به نائم تحت نخلة لا حرس ولا حاجب، فقالوا: «هو الملك لا ملك كسرى»[2]، ويعكس قول الهرمزان[3] سياسة عمر وموقفه من الإحتجاب إذْ زاره فوجده مستلقيا على الحصباء ودرته في يده فقال: «عدلت، فأمنت، فنمت»[4].

وما كان "عمر" رضي الله عنه يتشدد في رفضه للاحتجاب، لولا أنه رأى "الرسول" صلى الله عليه وسلم يجلس في المسجد ويستقبل الغني والفقير والشريف والبسيط والأرملة واليتيم على حدٍّ سواء.

وكان ترتيب دخول الناس على الخليفة خلال هذه المرحلة من التاريخ الإسلامي وفق أقدارهم التي لم تكن بالجاه أو المال، وإنما كانت المفاضلة بين الناس على حسب السَّبق للإسلام[5]، فقد رُوِيَ أن جماعة من المسلمين؛ ومنهم "سهيل بن عمرو"[6]، و"عيينة بن حصن"[7]، و"الأقرع بن حابس"[8] وقفوا على باب الخليفة "عمر بن الخطاب" رضي الله عنه: "فخرج الآذن فقال: «أين صهيب؟ أين عمار؟ أين سلمان؟» فتَمَعَّرَتْ وجوه القوم، فقال واحدٌ منهم: «لِمَ

---

1 - الطبري، المصدر السابق. ص202.

2 - صالح المزيد. المرجع السابق.ص12.

3 - الهرمزان هو ملك خوزستان، قتل يوم قتل عمر رضي الله عنه سنة 23هـ. الطرطوشي أبو بكر محمد بن الوليد الفهري، سراج الملوك. تحقيق: محمد فتحي أبو بكر. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية. مج1.ص218.

4 - نفس المصدر، نفس الصفحة.

5 - البيلي، المرجع السابق، ص74.

6 - سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر أمه حبى بنت قيس من خزاعة، خرج إلى حنين مع النبي وهو مشرك فأسلم في الطريق، مات بالشام في طاعون عمواس سنة 18 هـ. ابن سعد، المصدر السابق، مج5. ص453.

7 - عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر بن عمرو الفزاري كان من المؤلفة قلوبهم فأسلم قبل الفتح وشهدها، وشهد حنيناً والطائف، وبعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى بني تميم فسبي منهم الكثير، لكنه ارتد في خلافة أبي بكر رضي الله عنه، ثم تاب وعاد إلى الإسلام. العسقلاني أحمد بن علي بن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة. تحقيق: علي محمد البجاوي. بيروت: دار الجيل. ط1، 1412هـ/ 1992م. ج4، ص767.

8 - الأقرع بن حابس بن عقال بن محمد بن سفيان من بني تميم، جاء في وفد قومه حين أسلموا وكان أصغرهم فخلفوه على الراحلة. المصدر نفسه. مج7، ص37.

تمعَّرت وجوهكم؟ دعوا ودُعينا، فأسرعوا وأبطأنا، ولئن حسدتموهم على باب عمر، فإن ما أعدَّ الله لهم في الجنة أكثر»[1].

وكان الغالب في هذه الفترة أن يُسوَى بين الناس في الإذن، مثلما كتب "عمر بن الخطاب" إلى "أبي موسى الأشعري" رضي الله عنهما: «آس بين الناس في نظرك وحاجبك وأذنك»[2]، ولم يمنع ذلك أحياناً من تفضيل بعض أهل السابقة لإسلام والإذن لهم قبل غيرهم كما حدث عند باب "عمر" رضي الله عنه يوم نُودي على "صهيب" و"عمار" و"سلمان" وأذن لهم قبل "سهيل بن عمرو" و"عيينة بن حصن" و"الأقرع بن حابس"[3].

وكانت مصلحة المسلمين أسبق من استقبال ذوي القربى وكبار القوم شأناً، فقد رُوي أن "أبا سفيان بن حرب" وقف بباب "عثمان بن عفان" رضي الله عنه، وقد اشتغل ببعض أمور المسلمين، فحجبه وأبطأ عليه بالإذن، فقال له رجل، وأراد أن يغريه: «يا أبا سفيان ما كنت أرى أن تقف أمام باب مُضري فيحجبك!»، فقال أبو سفيان: «لا عدمت من قومي من أقف ببابه فيحجبني»[4].

وإذا أردنا تتبع حجاب الخلفاء الراشدين وجدنا أن حاجب "أبي بكر الصديق" رضي الله عنه كان مولاه "شديد"، أما "عمر بن الخطاب رضي الله عنه" فقد حجب له مولاه "يرفأ" وكان حاجب "عثمان بن عفان رضي الله" عنه مولاه "حمران"، أما "علي كرم الله وجهه" فقد حجب له "قنبر"[5].

وبذلك لا يمكن نفي وجود الحجابة في عصري النبوة والخلفاء الراشدين، أو اعتبار أن احتجاب الحاكم عيب من العيوب وصفة من صفات الجور،

[1] - البيلي، المرجع السابق، ص70.
[2] - نفسه، ص85.
[3] - البيلي، المرجع السابق، ص85.
[4] - ابن عبد ربه، المصدر السابق. ص71؛ ابن الأزرق، المصدر السابق، ص273.
[5] - القلقشندي، المصدر السابق . مج5، ص 422.

والعكس صحيح فالحاكم مهما كان فهو بحاجة إلى وقت يجلس فيه مع نفسه أو أهله، أو يتأمل في ملكوت ربه؛ غير أن الحجابة لم تكن في تلك الفترة منصباً راتباً تضبطه القوانين، بل كان في أحيان كثيرة تطوعاً من بعض الصحابة مثلما كان الأمر مع الرسول صلى الله عليه وسلم وفي أوقات نادرةٍ جداً، فقد كان هو وخلفاؤه يلقون الناس في المسجد أو في الطريق، فلا يحول بينهم أحد، فلا حِجَابة ولا حُجَّاب، وبذلك يمكن تسمية الحاجب في هذا العهد بالآذن، وشتان مابين كلمة الآذن بمدلولها البسيط وكلمة الحاجب بمدلولها الاصطلاحي[1].

وكان من الممكن أن يبقى الأمر على ما كان عليه بعد أن انتقل الحكم إلى الأمويين، لأن روح البداوة كانت لا تزال مسيطرة على العرب[2]، لكن حادث اغتيال سيدنا "عمر" و"عثمان" رضي الله عنهما، ثم مقتل سيدنا "علي" كرم الله وجهه مثَّل منعرجاً خطيراً في تاريخ الحجابة في الإسلام، فقد تلقى الخليفة "معاوية بن أبي سفيان" رضي الله عنه الدرس وفهم معانيه جيداً، بعدما نجا من مخطط الاغتيال الذي راح ضحيته الخليفة "علي" كرم الله وجهه، فكان الاحتجاب أهم شيء بدأت به الدولة الأموية، "وبدا واضحاً أن اتخاذ الحجاب ضرورة تقتضيها مصلحة استمرار السلطة الأموية، من أجل الحفاظ على حياة الحاكم، لاسيما بعد ظهور فرق مناوئة للدولة، وكان بعضها قد أعلن نواياه صراحة في القضاء على الحُكام الأمويين مثل الخوارج"[3].

وينسب الكثير من الباحثين إلى الخليفة "معاوية بن أبي سفيان" رضي الله عنه تأسيس هذه الوظيفة[4]، حيث يذكر "ابن خلدون" أنها من مظاهر تحول

---

1 - البيلي، المرجع السابق، ص72.
2 - أنور الرفاعي، النظم الإسلامية. دمشق: دار الفكر. 1393هـ/1973م. ص69.
3 - غازي جاسم ، المرجع السابق. ص110.
4 - العنزي، المرجع السابق. ص92.

السلطة من الخلافة إلى ملك فيقول: «فلما انقلبت الخلافة إلى ملك، وجاءت رسوم السلطان وألقابه، كان أول شيء بُدِئ به في الدولة شأن الباب وسده دون الجمهور، بما كانوا يخشون على أنفسهم من اغتيال الخوارج»[1].

ومع توسع بلاد الإسلام، أصبح مهمة تسيير الخليفة لشؤون الدولة أكثر تعقيداً مما جعل تدافع الناس على باب الحاكم شاغلا عن تنظيم أمور الأمصار والولايات، وتجييش الجيوش، وتوجيه الفتوحات[2]، وكان ذلك سبباً مهماً جعل اتخاذ الحاجب شيئاً ضرورياً.

فأصبح الدخول على الخليفة أمراً غير ميسور لكل شخص، وفي كل وقت، لهذا قال الصحابي "أبو الدرداء" رضي الله عنه حينما حُجب عن الدخول على الخليفة "معاوية بن أبي سفيان" رضي الله عنه، وأُبطأ له في الإذن: «من يأتي أبواب السلطان يقم ويقعد، ومن يجد باباً مغلقاً يجد إلى جانبه باباً مفتوحاً، إن دعا أُجيب، وإن سأل أُعطيَّ»[3] قاصداً من قوله إذا كان الملوك قد تشددوا في الحجاب فليس بين العبد وربه فاصل.

ويتضح التَّباين في تعامل الخليفة "معاوية" مع الطالبين لزيارته في كتابه لـ"أبي موسى الأشعري" رضي الله عنهما حيث قال فيه: «أما بعد؛ فإن عمرو بن العاص قد بايعني على ما أريد، وأقسم بالله لئن بايعتني على ما بايعني لاستعملنَّ أحد أبنائك على الكوفة، والآخر على البصرة، ولا يُغلق دونك باب، ولا تُقضى دونك حاجة، وقد كتبت إليك بخطي، فأكتب إلي بخطك»[4].

---

[1] - ابن خلدون، المقدمة. ص 421.
[2] - العنزي، المرجع السابق، ص 92.
[3] - ابن عبد ربه، المصدر السابق. ص70.
[4] - الذهبي أبو عبد الله محمد ن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء. تحقيق: شعيب الأرنؤوطي، محمد نعيم العرقسوسي. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1413. ج2، ص396.

كان الإذن بالدخول يترتب حسب السبق والفضل في الإسلام زمن الخلفاء الراشدين، فتغيَّر ذلك زمن الدولة الأموية، وراعى الحُجاب مقاييس أخرى لذلك، فقد كان "معـاوية رضي الله عنه" يأمر حاجبه أن يأذن للناس حسب قدرهم ومرتبتهم، فقد وقف "الأحنف بن قيس"[1] و"محمد بن الأشعث"[2] ببابه فأذن للأحنف ثم أذن لابن الأشعث، فأسرع الثاني في مشيته، وسبق الأول ودخل قبله، فلمـا رآه معاوية غمَّـه ذلك وأحنقه، فالتفت إليه وقال: "والله إني ما أذنت له قبلك، وأنا أريد أن تدخل قبله، وإنما كمـا نلي أموركم نلي آدابكم، ولا يزيد متزيد في خطوة إلا لنقص يجده في نفسه"[3].

وقال معاوية رضي الله عنه "لحُضين بن المنذر"، وكان يدخل في أخريات الناس لأنه شارك كأمير في جيش "علي كرَّم الله وجهه" يوم صفين: "يا أبا ساسان، كأنه لا يُحْسَنُ إذنك". فأنشد يقول:

وكل خفيف الرأي يمشي مشمراً إذا فتـح البَـوَّاب بابك أُصْبُعًا

ونـحن الجلوس الماكثـون رزانــة وحِلماً إلى أن يُفتح الباب أجمعا[4].

وقد بلغت درجة المغالاة في الحجابة حتى كان "يزيد بن معاوية" لا يسمح له بالدخول على أبيه دون إذن، فقد دخل يومـاً على أبيه بلا إذن فعنَّفه، وقال له: «إنمـا جعلت بيني وبينك حِجَاباً كما بيني وبين العامة. لتدخل عليَّ وقت إذنك!».[5]

---

[1]- الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين التميمي السعدي، واسمه الضحاك على المشهور، إعتزل واقعة الجمل وشهد صفين، وله مع عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم قصص كثيرة. توفي بالبصرة زمن ولاية مصعب بن الزبير، سنة 67هـ. العسقلاني، المصدر السابق. ج1، ص187، 188.

[2] - محمد بن الأشعث بن قيس من ملوك كندة، ولد في عهد النبي صلى الله علية وسلم، أمه أم فروة بنت أبي قحافة أخت أبي بكر. قتل سنة 67هـ بالكوفة. العسقلاني، المصدر السابق. ج6، ص327، 328.

[3] - ابن عبد ربه، المصدر السابق. ص68.

[4] - ابن الأزرق، المصدر السابق. ص274.

[5] - البيلي، المرجع السابق. ص89.

وقد تعددت أسماء حُجَّاب الدولة الأموية في طورها الأول؛ فقد كان على حجابة معاوية رضي الله عنه مولاه "سعد"[1]؛ وفهناك "أبو يوسف"[2] و"أبو أيوب"، و قيل أيضاً "صفوان"، أو "يزيد" مولاه[3].

أما الخليفة الثاني "يزيد بن معاوية" فقد كان أكثر تشدداً في الحجابة حتى عُوتب على ذلك. فقد قصده يوماً "هانئ بن قبيصة" فاحتجب عنه أياما، ثم ركب "يزيد" يوماً ليتصيد فتلقاه "هانئ" وقال له: «يا يزيد! إن الخليفة ليس بالمُحتجب المتخلي، ولا المتطرف المتنحي، ولا الذي على الغدران والفلوات، ويخلو للذات والشهوات، ولّيت أمرنا فأقم بين أظهرنا، وسهِّل إذننا، واعمل بكتاب الله فينا، فان كنت قد عجزت عما عاهدتنا فاردد علينا بيعتنا نبايع من يعمل بذلك فينا»[4]. وكان "يزيد" يستحجب "خالد" مولاه وقيل "صفوان"[5].

ويقف ابن خلدون والقلقشندي[6] طويلاً عند الحديث عن الحجابة في فترة حكم "عبد الملك بن مروان" الذي أعتبر المؤسس الثاني للدولة الأموية في المشرق، والسبب هو النصائح العديدة التي قدمها لعماله وموظفيه في حسن اختيار الحاجب والاعتناء بآداب الحجابة، مما أعطاها شكلاً معروفاً ومنظماً.

ورغم ذلك فقد خفَّف "عبد الملك" من الحجابة في بداية عهده، رغبة منه في استمالة بعض طوائف الأمة؛ لكن الأمور لم تسر إلى حد الإلغاء فقد ثبت أنه استحجب مولاه "أبا سهيل الأسود"[7]، واستحجب كذلك "أبا سهيل بن سعد"

---

[1] - ابن الأثير أبو الحسن علي بن محمد، الكامل في التاريخ. بيروت: دار صادر، 1385هـ/1965م. مج4، ص11.
[2] - الذهبي، المصدر السابق. ج2. ص382.
[3] - البيلي، المرجع السابق. ص89.
[4] - البيلي، المرجع السابق. ص90.
[5] - القضاعي أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي، عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف. تحقيق: عبد الرحيم محمد عبد الحميد علي. عمَّان: دار الينابيع للنشر والتوزيع، 1997. ص158.
[6] - ابن خلدون، المقدمة. ص421. القلقشندي، المصدر السابق. ج4، ص20. البيلي، المرجع السابق. ص75.
[7] - البيلي ، المرجع السابق. ص90.

الذي استكتبه بعد ذلك[1]؛ وقد نصح عبد الملك بن مروان حاجبه قائلاً: "قد وليتك الحجابة بأبي إلا عن ثلاثة: المؤذن للصلاة فإنه داعي الله، وصاحب البريد فأمر ما جاء به، وصاحب الطعام لئلا يفسد"[2].

وقد نحا باقي الخلفاء المروانيين نحو "عبد الملك" فاتخذوا حجاباً واختصوا بإعطاء الحجابة مواليهم، فقد حجب لـ"لوليد بن عبد الملك" مولياه "خالد" و"سعيد"[3]، ولـ"سليمان بن عبد الملك" مولاه "عسكر"[4] ولـ"عمر بن عبد العزيز" مولياه "حبيس" و"مزاحم"[5]، أما "هشام بن عبد الملك" فقد حجب له "غالب" مولاه[6].

وقد توسَّعت الحجابة في هذه الفترة توسعاً كبيراً فلم تقتصر على حجابة الخلفاء، بل تعدتها إلى حجابة الولاة والعمال فقد أشتهر "عجلان" حاجب "زياد بن أبيه" من خلال الحوار الذي دار بينهما حيث سأل "زياد" حاجبه: "كيف تأذن للناس؟ قال على البيوتات، ثم على الأسنان، ثم على الآداب[7]، فأصبح السبق بالمنزلة الاجتماعية، ثم المنزلة العلمية.

وقد أوصى "عبد الملك بن مروان" أخاه "عبد العزيز" وواليه على مصر بحسن اختيار الحاجب واضعاً شروطاً لذلك فقال: "ابسط بشرك، وألن كنفك، وآثر الرفق في الأمور، فإنه أبلغ بك، وانظر حاجبك فليكن من خير أهلك فإنه وجهك ولسانك، ولا يقفنَّ أحد ببابك إلا أعلمك مكانه فتكون أنت الذي تأذن له أو ترده"[8].

---

1 - المرجع نفسه. ص91.
2 - ابن خلدون، المقدمة. ص 421.
3 - عبد الرحمن سنبط قنيتو الأربلي، خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك. تصحيح وضبط: مكي سيد جاسم. بغداد: مكتبة المثنى. ص03.
4 - الأربلي، المصدر السابق، ص17.
5 - نفسه، ص21.
6 - نفسه، ص27.
7 - ابن عبد ربه، المصدر السابق. ص76.
8 - أنور الرفاعي، المرجع السابق. ص70.

واتخذ العديد من ولاة الأمويين حُجَّابًا فقد كان لـ"عبد العزيز بن مروان" والي مصر حاجبه، ولـ"قتيبة بن مسلم الباهلي" "بخرسان" حاجب يدعى "تميم بن راشد"، وقد أوصى "المهلب بن أبي صفرة" ابنه حينما ولاه "جرجان" بقوله: "استطرف كاتبك، واستعقل حاجبك"[1].

لقد خطت الحجابة مع الدولة الأموية خطوات كبيرة، فتحولت وظيفة الحاجب من مجرد الآذن المتطوع في صدر الإسلام إلى وظيفة لها قواعد وأصول، وأصبحت مظهراً من مظاهر فخامة الملك، فاشترط للقائم عليها شروطاً وصفات معينة، فاهْتَمَّ الخلفاء بانتقاء حجابهم، ولم يبخلوا عليهم بالنصائح، واضعين بذلك الحجابة في صورتها المضبوطة، لما لذلك من أهمية في الحفاظ على حياتهم وعلى العلاقة الحسنة بينهم وبين الرعية.

لقد اعتبرَ "عبد العزيز سالم" أنَّ اتخاذ الحجاب ابتداء من تحول الخلافة الإسلامية إلى ملك مظهراً من مظاهر تأثر الدولة الأموية بالإدارة الفارسية، وأخذاً بالمظاهر الكسروية[2]، لذلك أُنْكِرَ عليها ذلك، وأُعتبر أن مدافعة ذوي الحاجات عن أبواب الحاكم، كان محظوراً بالشريعة[3]، ويذهب "أبو بكر الطرطوشي" مذهباً آخر في الحديث عن عواقب احتجاب الحاكم إذْ يجعلها سبباً في هدم الملك وإسراع الخراب إليه[4].

واعتبر "محمد أبو زهرة" أنَّ الحجابة تعمق الهوة بين الرَّاعِي والرَّعِيَّة، وتقطع حبل التواصل بينهما[5]، لكنها أصبحت في فترة من الفترات شيئاً ضرورياً دعت إلى اتخاذه الظروف والمستجدَّات السياسية، خاصة مع بروز

[1] - البيلي ، المرجع السابق. ص93.
[2] - سالم السيد عبد العزيز، محاضرات في تاريخ الحضارة الإسلامية. الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة. 1997. ص 63.
[3] - ابن خلدون، المقدمة. ص 421.
[4] - أبو بكر الطرطوشي، المصدر السابق. ص237.
[5] - محمد أبو زهرة، الوظيفة في الإسلام. مجلة لواء الإسلام (الرياض). العدد:04، السنة16. 1381هـ/1962م. ص229.

ظاهرة اغتيال الحُكّـام من جهة وتعدُّدِ الأجناس البشرية التي دخلت الإسلام مع توسُّع الفتوحات الإسلامية من جهة ثانية، وبالتالي تنوُّع النسيج البشري الذي يقيم بعاصمة الدولة الإسلامية، واختلاف موقفهم من النظام الحاكم، بالإضافة إلى تعدُّد وتعقُّد مهام الخليفة مع التطور الذي عرفه المجتمع مما جعل أموراً كثيرة تشغله عن استقبال العامة.



الفصل الأول

مراحل الحجابة بالأندلس في العهد الأموي.

1 – مرحلة النشأة (138هـ/756م- 206هـ/822م).

2 – مرحلة التطور 206هـ/822م- 290هـ/903م.

3 – مرحلة الضعف (290هـ/903م - 366هـ/976م).

4 - مرحلة تسلط الحُجَّاب على الخلفاء (366هـ/976م- 422هـ/1031م).

1 – مرحلـة النشـأة (138هـ/756م- 206هـ/822م):

في جوٍّ طبعته المنافسة الشديدة على حُكم الأندلس بين "يـوسف الفهري"[1]، ومحاولته الاستقلال به ومن ورائه "الصميل بن حاتم"[2]، والعباسيين الطامحين إلى توسيع نفوذهم على جميع أصقاع العالم الإسلامي، استطاع "عبد الرحمن بن معاوية"[3] - سليل بني أمية- أن يبعث ملك أجداده من جديد، فأُعتبر النصر الذي أحرزه على أرض الأندلس وتمكنه من تأسيس الدولة المروانية الجديدة عملاً كبيراً، إذْ استطاع -وهو الطريد الشريد- أن يستفيد من بعض الصراعات القبلية الدائرة على هذه البُقعة، ليُكَـوِّن لنفسه عصبيَّة، ثم يهزم أعداءه، ويَعْتَلِيَّ حُكم "قرطبة"، فحاز تقدير العدوّ قبل الصديق، حتّى لَـقَّبَهُ الخليفة العباسي "أبو جعفر المنصور"[4] بـ"صقر قـريش"[5] اعترافاً ببطولته وحنكته السياسية.

لكنَّ "عبد الرحمن الداخل" لم يُنشِئْ لنفسه نظاماً جديداً للحُكم، ولم يتّخذْ رسوماً معقدة للمُلك، واكتفى بلقب الأمير، وقد لقَّبه غيره بـ"ابن الخلائف"[6]،

---

[1] - يوسف الفهري هو أبو عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبدة بن عقبة بن نافع الفهري (باني القيروان)، ووالي الأمويين على إفريقية والمغرب. المقري أحمد بن محمد التلمساني، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب. تحقيق: إحسان عباس. بيروت: دار صادر، (1408هـ/1988م). ج3، ص 25، 53.

[2] - هو الصميل بن حاتم بن شمر بن ذي الجوشن الكلابي، ويذكر المقري أن جده شمر هو قاتل الحسين رضي الله عنه، خرج مع جيش كلثوم بن عياض القشيري إلى المغرب، ثم دخل الأندلس في طالعة بلج بن بشر. قتل في سجن قرطبة في ظروف مجهولة بعد وصول عبد الرحمن الداخل إلى الحكم. المصدر نفسه. ص26، 53.

[3] - عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان، المعروف بالداخل، باعث دولة بني أمية في الأندلس، سنة (138هـ/756م) أمه أم ولد اسمها "راح" وهي من قبيلة نفزة البربرية، توفي سنة (172هـ/788م). المصدر نفسه،ج1، ص327؛ ج3، ص ص27-55. ابن الأبار أبي عبيد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي، الحلة السيراء. تحقيق: حسين مؤنس. القاهرة: دار المعارف. ط2، 1985. ج1. ص ص35-42.

[4] - أبو جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن الله بن عباس، تولى الحكم بعد أخيه أبي العباس السفاح (136هـ/754)، يعتبر المؤسس الحقيقي للدولة العباسية بفضل دهائه وحزمه وطول مدة حكمه توفي سنة (158هـ/778م). ابن الأبار، الحلة السيراء، ج1، ص33. العبادي، أحمد مختار، في التاريخ العباسي والأندلسي. بيروت: دار النهضة العربية. دت. ص303.

[5] - ابن الخطيب لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام (تاريخ إسبانيا الإسلامية). تحقيق ليفي بروفنسال. بيروت: دار المكشوف. ط1، 1956. ج2، ص09.

[6] - القضاعي، المصدر السابق. ص187؛ العبادي أحمد مختار، شخصية عبد الرحمن الأول الأموي المُلقب بالداخل وصقر قريش. مدريد: مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية. مجلد 29. عدد 1997. ص26.

ويعود ذلك لانشغاله بإخماد الثورات التي قامت ضدّه، والتي كان هدفها انتزاع الملك منه، فكان كلّما أخمد ثورة قامت أخرى. وقد حرص هذا الأمير على عدم التسرّع في اتّخاذ رسوم لم يحن الوقت لاتّخاذها، فالدولة كانت في مرحلة التأسيس، وهي بحاجة إلى استتباب الأمن، وقهر الأعداء والمنافسين، فلم يتّخذ سمة الخلافة رغم حمله مشروع تجديد ملك "بني مروان"، تأدباً منه مع الخلافة العباسية من جهة[1] ، وتجنّباً للدخول معها في منافسة لا يُؤْمن عواقبُها من جهة أخرى[2].

في ظلِّ ذلك الواقع المشحون بالصراعات، بين هذا الأمير الذي مافتئ يعمل على توطيد دعائم ملكه، والثورات التي توالت في الظهور رافضة لمشروعه، لم يكلّف "عبد الرحمن الداخل" نفسه عناء ابتكار نظام جديد للحكم، والأكثر من ذلك فقد ثَبَّت الكثير من موظفي الأندلس السابقين في مناصبهم، وأهَمُّ مثال على ذلك إقرار "يحي بن يزيد التجيبي"[3] في منصب قاضي الجماعة[4]، وعمل بالإضافة إلى ذلك على توثيق النُظم الإدارية المعروفة في المشرق في عهد أجداده "بني أمية"، وتطبيقها تطبيقاً عملياً، وقد تَمَّ ذلك على نحو يثير الإعجاب، وسرعان ما ارتقت الأندلس من مجرّد ولاية تابعة للخلافة في المشرق إلى مصاف الدول المستقلة الكبرى[5].

---

[1] - عنان محمد عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس. العصر الأول، القسم الأول. القاهرة: مكتبة الخانجي. ط04، 1417هـ/ 1997م. ص197؛ أحمد مختار العبادي، المرجع السابق. ص26.

[2] - المقري، المصدر السابق. ج1، ص333.

[3] - ينتمي يحي بن يزيد التجيبي إلى عرب الشام الساكنين بافريقية، وجهه "ابن صفوان الكلبي" صاحب أفريقية قاضياً على الأندلس، فشغل منصب قاضي الجند، وكان أول من تسمى بقاضي الجماعة بالأندلس. وسبب تشجيع "عبد الرحمن بن معاوية" لإقرار "يحي" على القضاء فهو اعتزاله الحرب عند دخول الأمير الأندلس ومبايعته له بعد هزيمته للفهري. الخشني، أبو عبد الله محمد بن حارث، قضاة قرطبة. تحقيق: إبراهيم الأبياري. القاهرة، بيروت: دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني.1402هـ/ 1982م. ص ص47، 49.

[4] - المصدر نفسه، ص48.

[5] - سالم السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس. بيروت: دار النهضة العربية، 1981. ص206.

وقد اعتمد الأمير "عبد الرحمن" في تأسيس دولته سنة (138هـ/756م) على العصبية والموالاة، حيث كان من الضروري أن يستفيد من رجال سبقوه إلى هذا البلد، وخبروا أهله لأنّه غريب عنه، ويشترط أن يكون هؤلاء الرجال مضموني الولاء، فكان معظم من اعتمد عليهم من المجموعة التي زارتـه عنـد إقامتـه في المغـرب أو التي استقبلتـه عنـد دخولـه الأندلس. وكما يقول "عبد الرحمن بن خلدون": «إنّ الاستعانة إذا كانت بأولي القربى من أهل النسب أو التربية أو الاصطناع كانت أكمل لما يقع في ذلك من مجانسة خلقهم لخلقه فتتم المشاكلة في الاستعانة»[1].

وما تجدر الإشارة إليه أنّ الأمير "عبد الرحمن الداخل" على الرغم من أنّه استغل العصبية القبليّة المتفشية في الأندلس آنذاك لتحقيق أهدافه، إلا أنّه لم يقع أسيراً لتلك العصبية، بل على العكس من ذلك فقد عمل من أول وهلة على إخضاعها لسلطانه، مرتفعاً بإمارته أن تكون رهينة للتحالفات القبلية. وبذلك فقد أصبح معيار القرب منه والبعد عنه مرتبطاً بمبدأ الطاعة، فمن التزم بالأوامر وأظهر الإخلاص في تصرفاته، ضمن الحُظوة لديه، ومشاركته في تحمل أعباء إمارته، وأما من كان لا يزال يعاني من داء العصبية القبلية فلا سبيل إلى الاستعانة به إطلاقاً[2]، والدليل على ذلك تخلصه من كثير ممن أعانوه للقيام بأمره ومن أهمهم مولاه بدر[3].

«لم يعرف عهد "عبد الرحمن الداخل" مناصب إدارية واضحة، وخاصةً منصب الوزارة، بل استعان بمجموعة من الأشياخ للمشاورة والمؤازرة، كان

---

[1] - ابن خلدون، المقدمة. ص417.
[2] - سالم عبد الله خلف، نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس. المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية. 1424هـ/ 2003م، ج1، ص36.
[3] - المقري، المصدر السابق. ج3، ص44.

أوّلهم "أبا عثمان"[1] الذي أقام "الداخـل" في بيته أَوَّلَ نزولِه بالأنـدلس، و"عبد الله بن خالد"[2]، و"أبا عبـده" صاحب "إشبيلية"[3] رأس أسرة "أبي عبدة" الشهيرة، و"شُهَيد بن عيسى بن شهيد"[4] مولى"معاوية بن مروان بن الحكم"، وهو جد أسرة "آل شُهيـد" التي ستحتـل مناصب حسَّاسَةً في الدولة مستقبلاً، وغيرهم كثيرون»[5].

ورغم أنّ "المقري" ينفي على هؤلاء المشايخ صفة الوزارة[6]، إلا أنّ "ابن عذاري " يدعوهم بها[7]، وأغلب الظن أنّه كان يُعبِّر مجازاً عن عملهم باعتبارهم معاونين للأمير، وليس عن رسمهم ولا وظيفتهم[8].

أما الحجابة في هذه الفترة فقد اُخْتُلِفَ في تاريخ ظهورها بالأندلس، فصاحب "أخبار مجموعة" يشير إلى حجب "تمام بن علقمة" لـ "الداخل" في المركب الذي أقلّـه من العدوة المغربية إلى الأندلس، قبل قيام دولته[9]، ويصوِّر

---

[1] - أبو عثمان كان على رأس الجماعة التي عرض عليها بدر أمر عبد الرحمن بن معاوية، لقبه الداخل بأبي سلمة دولته، لكنه حرَّض ابن أخيه للقيام عليه. المقري، المصدر السابق، ج3، ص44.

[2] - عبد الله بن خالد هو صهر عبد الرحمن الداخل وثاني أصحابه في مؤازرته للقيام بأمره. المصدر نفسه، ص45.

[3] - إشبيلية Sevilla مدينة كبيرة عظيمة، يتصل عملها بعمل لبلة، وهي غربي قرطبة، بينهما ثلاثون فرسخاً. يطل عليها جبل الشرف، وهو جبل كثير الشجر والزيتون وسائر الفواكه. الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله ، المصدر السابق، مج 1، ص195. ابن الشباط، المصدر السابق. ص110.

[4] - "شُهَيد بن عيسى بن شهيد الأشجعي" جد بني شُهيد، وفد على الأندلس أيام عبد الرحمن الداخل، وهو من موالي بني أمية، كان أديبا شاعراً. الحميدي أبو محمد بن أبي النصر فتوح بن عبد الله ، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس. بيروت: دار الكتب العالمية.1417هـ/ 1997م.ص209. ترجمة:501. الضبي، أحمد بن يحي بن محمد بن عميرة، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس. مدريد: مطبعة روخس المسيحية، 1881. ص304. ترجمة: 841.

[5] - المقري، المصدر السابق. ج3، ص45.

[6] - المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

[7] - ابن عذاري المراكشي ، البيان المغرب في أخبـار المغرب. بيروت: مكتبة صادر، د.ت. ج02، ص71.

[8] - سحر السيد عبد العزيز سالم، بنو أبي عبدة: الأصول الأسرية الأولى لبني جهور أصحاب قرطبة في عصر دويلات الطوائف. مدريد: مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية. سنة1997. مج 29، ص300.

[9] - مؤلف مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة فيما بينهم. تحقيق: إبراهيم الأبيـاري. القاهرة، بيروت: دار الكتـاب المصـري واللبنـاني. ط02، 1410هـ/1989م. ص72.

مدى حزم هذا الحاجب عندما يصف أطوار هذه الرحلة[1]، ويبدو أنّها كانت أول مرة يحجب فيها "تمام بن علقمة" الأمير "عبد الرحمن الداخل".

ويتحدّث صاحب "نفح الطيب" عن كثرة ظهور الداخل للعامة في بداية عهده، وسماعه لشكاويهم مباشرةً، والنظر بنفسه فيما بينهم، واتّصالهم به بكلّ حرية، وأنّه كان من عادته أن يأكل معه مِنْ أصحابه مَنْ أدرك وقت الطعام، ومَنْ وافق ذلك من طُلاّب الحوائج[2]؛ لأنّه كان بحاجة إلى توطيد ملكه وكسب ثقة العامة، إلا أنّه كفَّ عن ذلك في وقت من الأوقات عملاً بنصيحة أحد مقربيه الذي دعاه إلى عدم الظهور كثيراً، والحد من المشاركة في تشييع الجنائز والابتعاد عن الاختلاط بالعامة؛ لأنّه يُذهب هيبة الدولة[3].

وقد عزَّزت هذه النصيحة تجربة الأمير الشخصية، فبينما كان منصرفاً من جنازة إذ تصدّى له رجل متظلّم من العامة، فأمسك عنان فرسه، وكلّمه بكل جرأة طالباً إنصافه، ويبدو أنّ الأمير قد أحسَّ بسبب قلّة حرسه ومرافقيه بضعف مواقفه أمام هذا المُتظلّم، فما كان منه إلا أن استدعى القاضي إليه، وأنصف المُتظلّم، فلمّا عاد إلى قصره كلّمه بعض رجاله ممن كان يكره كثرة خروجه واختلاطه بالناس، فقال له: «إنّ هذا الخروج الكثير – أبقى الله الأمير- لا يجمل للسلطان العزيز، وإن عيون العامّة تخلق تجِلّتَهُ، ولا تؤمن بوادرهم عليه، فليس الناس كما عُهدوا»[4]. فكان الدرس الذي استوعبه "عبد الرحمن الداخل" يتمثّل في أنّ الظهور للعامة يجب أن يكون بمقدار لا يسقط هيبته من نفوسهم. أما الاحتجاب عنهم فمن الضروري أن لا يكون بشكل يترك

---

[1] - المصدر نفسه والصفحة نفسها.

[2] - المقري، المصدر السابق. ج1، ص332؛ ج3، ص37.

[3] - ليفي بروفنسال، تاريخ إسبانيا الإسلامية من الفتح إلى سقوط الخلافة القرطبية (811م-1031م) ترجمة: علي عبد الرؤوف البمبي وآخرون. مدريد:Espasa Calpe.S.A. ط3، 1967. ص229.

[4] - المقري، المصدر السابق. ج3، ص37.

القلق في النفوس بسب غيابه الكثير عن العيون مما يفسح المجال لأصحاب المقاصد السيئة من أجل إفساد العلاقة بين الأمير والرعية.

ويُذْكَر أنّ الأمير "عبد الرحمن" كان في بداية عهد يُؤثر السَّيْرَ وحيداً في شوارع "قرطبة" والاختلاط بأهلها، لكن سرعان ما حلّت الرِّيْبَةُ محلّ المودّة فاحتجب عن العامة، ولم يعد يبعد عن قصره، فإذا خرج خرج في رهطٍ كثيف من جنده[1]. أما في القصر فقد اتّخذ "عبد الرحمن الداخل" مجموعة من الحُجَّاب اختارهم من بين السابقين إلى مبايعته ونصرته، وكان لهم شأن كبير في تدعيم أركان الدولة.

ويقدِّم "ابن خلدون" تفسيراً لهذا التطور في ثلاث مراحل، «فإذا كانت الدولة في أول أمرها بدويَّة، كان صاحبها على حال الغضاضة والبداوة والقرب من الناس وسهولة الإذن، فإذا رسخ عزه وصار إلى الإنفراد بالمجد احتاج إلى الإنفراد بنفسه عن الناس للحديث مع أوليائه في خواص شؤونه لمِاَ يَكْثُر حينئذ من بحاشيته، فيطلب الانفراد عن العامة ما استطاع، ويتَّخذ الإذن ببابه على من لا يَأمَنُ من أوليائه وأهل دولته، ويَتَّخِذ حاجباً له عن الناس يقيمه ببابه لهذه الوظيفة»[2].

غير أنّ "ابن القوطية" ينقل لنا تفاصيل حوار دار بين حليفين لـ "عبد الرحمن الداخل" في حربه ضدّ "يوسف الفهري" وكان موضوع الحوار هو التدبير لاغتيال الأمير. ويعود تاريخ هذه الحادثة إلى بداية حكمه للأندلس، أي بعد قضائه على "يوسف الفهري" في معركة "مصَّارة"[3]. وكان "عبد الرحمن

[1] - رينيهت دوزي، تاريخ مسلمي إسبانيا، ترجمة: جمال محرز. القاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، 1963. ج1.ص235.

[2] - ابن خلدون، المقدمة. ص514. البيلي، المرجع السابق. ص77.

[3] - مصَّارة: أو مسَّارة هي منطقة تعرف في المصادر الاسبانية بـ ألاميدا alameda، ممتدة في جنوب غرب قرطبة على الضفة اليمنى للنهر الكبير، وقعت فيها المعركة الفاصلة بين "عبد الرحمن الداخل" و"يوسف الفهري" سنة 138هـ/647م. العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي. ص303.

الداخل" على دراية بما يُرسم في غَيْبِهِ، فقد رُفِع إليه أن "أبا الصباح اليحصبي"[1]، قال لـ"ثعلبة بن عُبيد"[2]: «يا ثعلبة، هل لك في فتحين في فتح؟» قال له ثعلبة: «وكيف ذلك؟» فقال أبو الصباح: «قد استرحنا من يوسف، فاسترح بنا من هذا، وتكون الأندلس قحطانية»؛ لكن الداخل سرعان ما أحبط المحاولة وقتل "اليحصبي"[3]، وقدَّم "عبد الرحمن بن نعيم" على الشرطة، وزادت مكانة "ثعلبة" عنده بعد أن كشف له الأمر، وعين مواليه حرساً له[4]، وكان هذا الإجراء أول قرار اتّخذه من أجل حماية نفسه.

لقد ترك تنوّع الأجناس واختلاف القبائل التي زخرت به أرض الأندلس آثاراً كبيرة على مستوى الحياة السياسية، وقد خلق تقديم "عبد الرحمن الداخل" لفئات معينة دون أخرى تنافساً قوياً بين أفراد هذا المجتمع على شتى الأصعدة، كلّ هذا نتج عنه أفكار ورؤى وتطلّعات تجسّدت في حركات مناوئة كان الغرض منها إثبات الذات لزعماء وجماعات تم تجاهلهم[5]، مما جعل تجوُّل الحاكم وحيداً كما تعوَّد في شوارع العاصمة شيئا خطيراً يهدِّد حياته.

وبناءً على ذلك كان اخْتِيَّارُ "عبد الرحمن الداخل" لحُجَّابه اختياراً دقيقاً، فقد عَيَّن فيها رجالاً أقوياء ذوي كفاءات عالية، فارتقت معهم وبهم الحجابة، وسما شأنها. فكان أول حاجب اتّخذه هو "تمام بن علقمة"[6] الذي خَبَرَ الأندلس جيّداً، إذْ

---

[1] - "أبو الصباح اليحصبي" هو شيخ اليمانية في غرب الأندلس سكن قرية "مُورة" من شرفاء إشبيلية، ناصر "الداخل" للقيام بأمره بدعوةٍ من "أبي عبدة حسان بن مالك". ابن القوطية، المصدر السابق. ص45، سحر عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص300.

[2] - "ثعلبة بن عُبيد" كان من أمراء العساكر التي لقيت خوارج البربر في طنجة تحت إمرة "بلج بن بشر" وجماعة من أهل الشام، ثم أثاروا الفتن في الأندلس حتى جاء "أبو الخطاب بن ضرار الكلبي" فجمع الكلمة. الحميدي، المصدر السابق. ص163.

[3] - ابن القوطية، المصدر السابق. ص52؛ مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص83.

[4] - المصدر نفسه. ص84.

[5] - سالم خلف، المرجع السابق. ج1، ص53.

[6] - النويري أحمد بن عبد الوهاب، تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط (من كتاب نهاية الإرب في فنون الأدب). تحقيق وتعليق: مصطفى أبو ضيف أحمد. الدار البيضاء: دار النشر المغربية. ص72.

دخلها في طالعة "بلج بن بشر" سنة (123هـ/741م)[1]، وكان ضمن الأحد عشر رجالاً الذين زاروا "الداخل" في المغرب حيث كان يقيم، ثم قاد المركب الذي أقلَّه من "سبتة"[2] إلى شاطئ "المنكب"[3] أول دخوله إلى الأندلس. ويُبْرِزُ صاحب "أخبار مجموعة" مدى تفاؤل الأمير لمَّا سمع اسم "أبي غالب تمام بن علقمة" قائلاً: «تمَّ أمرنا وغلبنا»، ثم يُصَوِّر مدى حزم هذا الحاجب عندما يصف لنا هذه الرحلة[4].

وكان لهذا الحاجب دور هام في تأسيس الدولة والقضاء على العديد من الثورات ضـدها، حيث عقد البيعـة للأمير من جند فلسطين[5]، وافتتح طليطلة[6] طليطلة[6] مع "بـدر" مولى "عبد الرحمن"[7]، ثم عين والياً عليها، ثم وَلِيَ "وَشْقَة"[8] و"طَرْطُوشَة"[9] و"طَرْسُونَة"[10]، بعدما أعفاه الداخل عن الحجابـة،

---

[1] - دخل "بلج بن بشر القشيري" الأندلس على رأس جند الشام، فقضوا على ثورة البربر. وسرعان ما أصبح بلج والياً على الأندلس. المراكشي، ابن عذارى ، المصدر السابق. ص44 ؛ المقري ، المصدر السابق. ج3. ص ص 20-22.

[2] - "سبتة" بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب، ومرساها أجود مرسى على البحر، وهي على بر البربر تقابل جزيرة الأندلس على طرف الزقاق الذي هو أقرب ما بين البر والجزيرة. ياقوت الحموي، معجم البلدان. مج3. ص182.

[3] - "المنكب" almoňecar وهو بلد على ساحل جزيرة الأندلس من أعمال "إلبيرة" بينه وبين "غرناطة" أربعون ميلاً. الحموي، المصدر السابق. مج5، ص216.

[4] - مؤلف مجهول، أخبار مجموعة. ص72.

[5] - ابن عذارى، مصدر السابق. ج02. ص66.

[6] - "طليطلة" Toledo مدينة كبيرة ذات خصائص محمودة بالأندلس، يتصل عملها بعمل واد الحجارة Guadalajara وهي على شاطئ واد تاجه. ياقوت الحموي، معجم البلدان. ج4، ص39. ابن الشباط، محمد بن علي المصري التوزري، قطعة في وصف الأندلس وصقيلية (من كتاب صلة السمط وسمة المرط) تحقيق: العبادي أحمد مختار، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد: 1968/76، مج 14. ص120.

[7] - "بدر" هو مولى "عبد الرحمن الداخل" والقائم بدعوته، الساعي بسلطانه شرقاً وغرباً براً وبحراً ، لكن الغريب أن علاقتهما ساءت في آخر العمر. المقري، المصدر السابق، ج2، ص44.

[8] - "وشقة" Huesca مدينة حسنة ومتحضرة، ذات متاجر وأسواق، وهي حصينة ولها سوران من الحجر. الحميري محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار. تحقيق: إحسان عباس. بيروت: مكتبة لبنان. ط2، 1984. ص612.

[9] - وطرطوشة Tartosa مدينة بالأندلس تتصل بكورة بلنسية، وهي شرقي بلنسية وقرطبة قريبة من البحر متقنة العمارة مبنية على نهر ابره ولها ولاية واسعة وبلاد كثيرة تعد في جملتها تحلها التجار وتسافر منها إلى سائر الأمصار. الحموي، المصدر السابق. مج4، ص30.

[10] - طرسونة Tarazona مدينة بالأندلس بينها وبين "تطيلة" أربعة فراسخ معدودة في أعمال "تطيلة" كان يسكنها العمال ومقاتلة المسلمين إلى أن تغلب عليها الروم فهي في أيديهم إلى هذه الغاية؛ ياقوت الحموي، المصدر السابق. مج4، ص29.

واستمر في القيام بأعمال عسكريـة مهمة حتى إمـارة "هشام الرضا"[1] (172هـ/788م). حيث أغزاه "تـدمير"[2]، وعمَّر طـويـلاً حتى تـوفي في آخـر دولـة الحَكَم الربـضي[3].

كان الداخل وفياً في تولية موالي بني أمية في هذا المنصب حيث عيَّن فيها بعد "تمام بن علقمة" الحاجب "يوسف بن بخت الفارسي" مولى "عبد الملك بن مروان" الذي دخل هو الآخر الأندلس في طالعة "بلج بن بشر"، وعقد للأمير البيعة على جند "الأردن"، واستخلفه على "قرطبة" وقتاً، وقاد الخيل إلى "جليقية"[4]، وبلغ الفيء تسعة وثلاثين ألفاً، وتوفي بـ"طليطلة"[5].

لقد مهَّد "عبد الرحمن الداخل" من خلال اصطناعه لبعض الأفراد من موالي بني أمية لظهور مجموعة من الأسر التي ستلعب أدواراً مهمةً في تسيير شؤون الدولة، وستتوارث مناصب هامة فيها مثل الحجابة والوزارة وولاية بعض المدن والكور، وغير ذلك من الوظائف المهمة على مدى أكثر من قرنين. ومن أهم هذه الأسر "آل مغيث"؛ فقد عيَّن في منصب الحجابة "عبد الرحمن بن مغيث بن الحارث"؛ وهو ولد "مغيث"[6]؛ فاتح قرطبة، ومُنافس "موسى بن نصير" على ولاية الأندلس.

---

[1] - بويع "هشام بن عبد الرحمن" في جمادى الأولى (171هـ/787م)، يلقب بالرضا ويكنى بأبي الوليد، كانت مدة دولته سبع سنين وتسعة أشهر وثمانية أيام، توفي سنة (180هـ/796م). ابن الأبار، الحلة السيراء، ج1. ص42؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص91.

[2] - ابن عذارى، المصدر السابق.ج2، ص94.

[3] - ابن الأبار، الحلة السيراء. ج1، ص143.

[4] - جليقية بلدة من بلاد الروم المتاخمة للأندلس قرب ساحل البحر المحيط من ناحية شمالي الأندلس في أقصاه من جهة الغرب وصل إليه موسى بن نصير لما فتح الأندلس وهي بلاد لا يطيب سُكْنَاهَا لغير أهلها؛ ياقوت الحموي، المصدر السابق. ج2، ص157؛ الحميري، المصدر السابق، ص169.

[5] - المقري، المصدر السابق. ج1، ص 45 ؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2. ص375.

[6] - مغيث بن الحارث بن الحويرث بن جبلة بن الأيهم الغساني، سبي من الروم بالمشرق وهو صغير، فأدبه عبد الملك بن مروان مع ولده الوليد، فتح قرطبة سنة(93هـ/712م)، صار منه بنو مغيث الذي عرفوا بكفاءتهم في تقلد الأمور السياسية والعسكرية بقرطبة. المقري، المصدر السابق.ج3. ص12.

ومن الحُجَّاب الذين اتّخذهم الداخل بعد ذلك "عبد الكريم بن مهران بن الحارث بن أبي شمر الغساني"[1].

ويبدو أن تحوّلاً خطيراً حدث في سياسة "عبد الرحمن الداخل"، ومعالم هذا التغيير هو تعيين "منصور الخصي" حاجباً له، بإشارة من "بشر بن مروان"[2] الذي نصحه باصطناع البربر والصقالبة[3]، واتّخاذ العبيد والموالي ليستعين بهم على العرب[4]، لكثرة ثورات رؤسائهم، حيث نافسوه ملكه، ولقي منهم خطوباً عظيمة[5]، فوصل الأمر بـ "الداخل" إلى الفتك بكثيرٍ ممن أعانوه في الظهور بأمره وتأسيس دولته[6]، فكان "منصور" أول صقلبي عُيِّن في منصب الحجابة، حيث بقي فيها حتى وفاة عبد "الرحمن الداخل" سنة(172هـ/788م)[7].

لقد كان منصب الحجابة منصبا مؤقتا لكثير من الحجاب في هذه الفترة، فكثيراً ما كان الأمير يكلّف حجابه بمهام أخرى، ويعينهم في مناصب أعلى بعدما يُعْفِيهِمْ من الحجابة كلّما دعت الضرورة للاستعانة بهم في أماكن مختلفة، فكانت تعييناته تأخذ شكل الترقية عندما تظهر منهم براعة في بعض الأعمال السياسية أو المهام العسكرية كقيادة الجيوش وولاية المدن والكور، مثلما حدث مع "تمام بن علقمة" الذي عين والياً على "طليطلة" بعدما قضى على ثورة "هشام بن

---

[1] - المصدر نفسه. ج1، ص 45.

[2] - بشر بن عبد الملك بن بشر بن مروان: قتل أبوه مع يزيد بن عمر بن هبيرة (والي العراق لمروان بن محمد الذي قتله أبو جعفر المنصور بعد تأمينه) دخل بشر إلى الأندلس في صدر أيام عبد الرحمن الداخل، وكان من فتيان قريش وأدبائهم وشعرائهم ومحاسنه كثيرة، كان عبد الرحمن الداخل يحبه ويشاوره. ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف. ط02، القاهرة: دار المعارف، 1963. جـ01. ص60.

[3] - يطلق لفظ "الصقالبة" على الأسرى الذين تأسرهم الشعوب الجرمانية في حروبها، ثم يبيعونهم إلى مسلمي الأندلس، ولكن ما لبث هذا الاسم أن أطلق على أناس من أجناس أخرى حتى شمل جميع الأجانب الذين كانوا يستخدمون في القصر، أو الجيش أيا كان أصلهم. رينهت دوزي، المسلمون في الأندلس (اسبانيا الإسلامية)، ترجمة: حسن حبشي. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب. ج2، ص37.

[4] - المقري، المصدر السابق. ج1، ص333.

[5] - ابن عذاري، المصدر السابق. ج2، ص101.

[6] - المقري، المصدر السابق، ج3، ص44.

[7] - المصدر نفسه. ج1، ص 45.

عروة"[1]، والأمر نفسه حدث مع "يوسف بن بخت" الذي غزا "جليقية"، وظلّ يزاول مهاماً عسكريـة حتى إمارة "هشام بن عبد الرحمن"، حيث أغزاه "تدمير" سنة (174هـ/ 790م)[2]. وهذا ما يعني أنّ منصب الحجابة لم يكن المنصب الأعلى والأهم في السلم الإداري الأموي في الأندلس حتى نهاية فترة حكم "عبد الرحمن الداخل".

كانت فترة حكم "هشام الرضا"[3] (171هـ/787م- 180هـ/796م)، استمراراً لنفوذ أسرة كان لها شأن كبير في تولي منصب الحجابة خاصة، وفي الإدارة والجيش بالأندلس بصفة عامة؛ وهي أسرة "آل مغيث"؛ إذْ تولى حجابته "عبد الكريم بن مغيث"، وكانت له إلى جانب ذلك جولات عسكرية في "جليقية" سنة(179هـ/795م)[4].

وتتعدّد المعلومات التاريخية حول حُجَّاب "هشام الرضا" بعد "عبد الكريم بن مغيث"، فقد ذُكِرَ أنّ الحاجـب "عبد الملك بن عبد الواحـد بن مغيـث" قد أغزى "قطلونيـة" سنة(176هـ/792م)[5]، ويلقّب "ابن خلدون" "عبد الملك" بالوزير[6]. أمّا "ابن الأبار" فيذكر أنّ حاجب "هشام الرضا" هو "عبد الواحد بن بن مغيث"[7]، ويقول المؤرّخ نفسه في مناسبة أخرى إنّ "أبا أمية عبد الغافر بن بن أبي عبدة" كان من وزراء "عبد الرحمن بن معاوية"، وسماه "عيسى بن أحمد الرازي" (ت: 379هـ/989م) في حجاب " الأمير هشام"، وذَكَرَ أيضا

[1] - ابن عذاري، المصدر السابق. ج2، ص79 ؛ ابن الأبار، الحلة السيراء. ج1، ص143 .
[2] - ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص94.
[3] - "هشام بن عبد الرحمن"، بويع في جمادى الأولى(171هـ/787م)، يلقب بالرضا، ويكنى بأبي الوليد، كانت مدة دولته سبع سنين وتسعة أشهر وثمانية أيام، توفي سنة (180هـ/796م). ابن الأبار، الحلة السيراء، ج1. ص42. ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص91.
[4] - المصدر نفسه، ص96.
[5] - عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس. ع1، ق1، ص226.
[6] - ابن خلدون عبد الرحمن، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ط 1، بيروت :دار الكتب العلمية، 1413هـ/ 1992م، مج 4، ص150.
[7] - ابن الأبار، الحلة السيراء، ج1. ص 135.

من حُجَّاب الأمير "الحَكم"[1] "عبد العزيز ابن أبي عبدة"؛ وهو أخو "عبد الغافر"[2]، وعلى أي حـال فقد كان اتّخاذ هذين الحاجبين المنتميين إلى "آل أبي عبدة" رداً لجميل أبيهما "حسان بن مالك" الذي كثيراً ما أسدى خدمات جليلة للدولة الأموية؛ وهي في مرحلة النشأة[3]. وبذلك سيطرت على منصب الحجابة في هذا العهد أسرتا "آل مغيث" و"آل أبي عبدة".

وتذكر المصادر التاريخية أنّ الأمير "هشام الرضا" كان قليل التشدّد في الاحتجاب عن الرَّعية، حيث كان يحضر الجنائز، ويزاحم فيها، كأنّه أحد الناس تواضعاً، فأثار ذلك إعجاب الإمام "مالك بن أنس" رضي الله عنه[4].

أما فترة حُكْم "الحَكَم الربضي" (180هـ/796م- 206هـ/822مـ) فقد اتّسمت بكثرة الثورات، وكان يجب الاعتماد على رجال أشداء ومتمرِّسين، من أجل مواجهة هذه الثورات، وحفظ هيبة الدولة. وكان على الأمير أن يستفيد من الخبرة العسكرية والسياسية الكبيرة لـ "عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث"، فقد لعب دوراً عسكرياً مهماً في عهد "هشام الرضا"، حيث غزا المماليك المسيحية في الشمال، وقـاد الصَّوَائِف[5] إلى "ألبـة" و"القـلاع"[6] وولي كورة "جيان"[7]، وجاء دوره لتولي منصب الحجابة "للحكم الربضي"[1] مثل سابقيه من من أفراد أسرته.

[1] - الحكم بن هشام الملقب بالربضي نسبة إلى حادثة الربض، كنيته أبو العاص، بويع في صفر سنة(180هـ/796م)، ودامت دولته ستًا وعشرين سنة ؛ ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص102، ابن الأبار، الحلة السيراء، ج1. ص43.
[2] - ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص30.
[3] - سحر عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص301.
[4] - مؤلف مجهول، أخبار مجموعة. ص 109؛ المقري، المصدر السابق، ج1.ص337.
[5] - الصوائف: جمع صائفة، وهي الحملات التي جرت عادة أمراء بني أمية على توجيهها إلى دار الحرب بالشمال خلال فصل الصيف.
[6] -"ألبة والقلاع"منطقتان تقعان في شمال شبه الجزيرة الإيبيرية، أما ألبةAlava فهي الإقليم الواقع عند منابع نهر إبرة، أما القلاع فيراد به المنطقة التي اليوم بقشتالة القديمة Castilla al Vieja سماها العرب كذلك لكثرة قلاعها. ابن الأبار، الحلة السيراء. ج1، ص135.
[7] - جيانJean مدينة لها كورة واسعة بالأندلس، تتصل بكورة ألبيرةElvira، مائلة عن إلبيرة شرق قرطبة، وهي كورة كبيرة تجمع قرى كثيرة الأنهار والأشجار. ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج2، ص195.

لقد أفاض المؤرخون في وصف هذا الحاجب، فقد كان أديبا بليغاً وشاعراً مفوَّها، فولي الكتابة لـ "الحكم الربضي"، وكان لا يليها إلا من كانت له مقدرة عسكرية وسياسية عظيمة وموهبة أدبية كبيرة، فقد جرت على يده فتوح جسام[2]، وكان لهذا الحاجب دور هام في عقد الأمان لأهل الربض[3].

لقد خاض الأمراء الثلاثة الأوائل في تاريخ الدولة الأموية بالأندلس معارك عسكرية عديدة من أجل ترسيخ أركان الدولة؛ وكان ذلك سبباً في عدم استطاعتهم التفرّغ لتنظيم الإدارة الأندلسية. ويُمكن اعتبار المرحلة الممتدّة بين سنتي (138هـ/756م- 206هـ/822م) مرحلة التأسيس، حيث حاول من خلالها الأمراء الأمويون إخماد الثورات المتتالية المناوئة لهم والمشتعلة ضدهم هنا وهناك.

لم يكن في استطاعة هذه الدولة أن تستمر دون الاهتمام بتنظيم الهيكل الإداري بمختلف قطاعاته، فقد حاول "الحَكم الربضي" وضع الخطوات الأولى لذلك، ورغم بساطتها فقد وُصف بأنَّـه «أوّل من جعل للملك بأرض الأندلس أبهة»[4].

لكن الإدارة كانت أكثر تنظيماً في عهد خلفه "عبد الرحمن الأوسط"[5] (206هـ/822م -238هـ/852م)، وذلك للتباين الواضح في عدد الثورات

---

[1] - ابن عذاري، المصدر السابق.ج2. ص102.

[2] - ابن حيان حيان بن خلف القرطبي، المقتبس. تحقيق: محمود علي مكي. الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث الإسلامية. 2001م. القطعة 01. ص191.

[3] - ابن حيان حيان بن خلف القرطبي، المقتبس. تحقيق: محمود علي مكي. بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1393هـ/1973م. القطعة02. ص31، هامش رقم82. ص444 ؛ ابن الأبار، الحلة السيراء. ج1، ص135.

- ثورة الربض: قام بهذه الثورة العامة من أحد أحياء قرطبة، وكان معظمهم من المولدين، وسببها الحالة الاجتماعية التي كانوا يعيشونها، وقد واجه الحكم الربضي هذه الثورة بكل قوة، وكان من نتائجها طرد سكان الربض من الأندلس إلى العدوة المغربية. ابن حيان المقتبس. ق01 . ص140. عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس. ع1، ق1. ص243.

[4] - المقري، المصدر السابق، ج1، ص341.

[5] - يكنى "أبا المطرف" أمه أم ولد اسمها حلاوة، تولى الحكم سنة (206هـ/822م)، وتوفي في صفر (238هـ/852م). الحميدي، ص16؛ المقري، المصدر السابق. ص344؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص121.

التي قامت في كلا العهدين. فبينما شهد عهد "الحَكَم" ومن سبقه ثورات عديدة، وُصف عهدُ "عبد الرحمن" بـ «أيام العروس»[1]؛ كناية عن الهدوء الذي ساده؛ لأنّ الأمر كان قد مُهِّد له من طرف سلفه، «فاستكمل فخامة الملك»[2]، و«كسا الخلافة أبهة الجلالةِ»[3]، وأحدث بـ"قرطبة" داراً للسكّة، وضرب الدراهم باسمه، وميَّز ولاية السوق عن ولاية المدينة، وأفرد لموظفيه مرتبات دورية[4]، وشيَّد القصور، واتّخذ القواد وأهل الكور والوزراء[5]، وبذلك يعتبر "عبد الرحمن الأوسط" المؤسّس الحقيقي للإدارة الأموية بالأندلس.

وبهذا يمكن اعتبـار وصول "عبد الرحمن الأوسط" (206هـ/822م) إلى الحكم خطاً فاصلاً بين مرحلتين مختلفتين في تاريخ الإدارة الأندلسية بصفة عامة والحجابة بصفة خاصة، فقد لعب الحُجَّابُ ابتداءً من هذا التاريخ دوراً مهما في تسيير أمور الدولة، وقد كان هذا الدور مختلفا تماماً عمَّا لعبه حُجَّاب المرحلة السابقة.

رغم عدم وضوح صورة الحجابة في هذه الفترة نظراً لاهتمام المؤرِّخين بسرد الأحداث السياسية، وعدم تسليط الضوء كاملاً على تطوّر الأجهزة الإدارية للدولة التي كانت لا تزال تنمو وتتبلور ببطء، إلا أنّه يمكن القول إنّ دور الحاجب قد تلخَّص في تنظيم الدخول على الحاكم، فهو لا يختلف عمَّا كان عليه في المشرق في عهد الدولة الأموية؛ لأنّ "عبد الرحمن الداخل" أنشأ دولته متأثِّراً بدولة أجداده في دمشق، فمن الطبيعي أن تكون الحجابة بالصورة نفسها، وقد تبعه خلفه في ذلك.

[1] - ابن سعيد المغربي، المصدر السابق، ص46.
[2] - ابن الأبار، الحلة السيراء، ج1، ص113.
[3] - ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص136.
[4] - ابن سعيد، المصدر السابق. ج1، ص46.
[5] - ابن الأبار، الحلة السيراء. ج1، ص114.

2- مرحـلة التطور (206هـ/822م- 290هـ/903م):

لقد كان للإصلاحات التي قام بها الأمير "عبد الرحمن الأوسط" دور كبير في الارتقاء بمنصب الحجابة وتوضيح مهام الحاجب، وإعطائه قوة ومكانة في النظام الإداري أموي بالأندلس، حيثُ يُشيد "ابن سعيد" بمناقب الأمير "عبد الرحمن الأوسط"، «ومقدرته الفائقة على تنظيم أمور الدولة وحُسْن انتقائه لرجالها»[1]، فقد أقرَّ "عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث" على الحجابة[2]، بعدمـا كان تولّى هذا المنصب ومناصب إدارية مهمة أخرى في عَهْدَيْ "هشام الرضا" و"الحَكم الربضي"[3]. وقد وصف"ابن حيان" "عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث" بأنّه «أكمل من حمل هذا الاسم وأجمعهم لكل جملة حسنة»[4].

لقد كان لطول الفترة التي شغل فيها "عبد الكريم" منصب الحجابة أهمية في جعل "عبد الرحمن الأوسط" يعتمد عليه في الارتقاء بأمور الإدارة، فتحوَّلت مهمّة الحاجب معه من مجرّد منظّم لدخول العامة على الأمير، إلى وسيط بينه وبين الوزراء، بل تعدَّى الأمر ذلك إلى الإشراف على الإدارة الأندلسية من خلال مراقبة مدى قيام الوزراء بمهامهم وتقديم تقارير دورية

[1] - ابن سعيد، المصدر السابق. ج1، ص46.
[2] - ابن حيان، المقتبس. ق02، ص20.
[3] - ابن حيان، المقتبس. ق01، ص192.
[4] - ابن حيان، المقتبس. ق02. ص25.

للأمير عن ذلك[1]. وقد دامت حجابة "عبد الكريم بن عبد الواحد بن المغيث" لـ "عبد الرحمن الأوسط" ثلاث سنوات (206هـ/822م- 209هـ/825م).

ولا يمكن أن نُنْكر عاملا مهماً آخر ساعد على تطوير الإدارة الأموية، وهو الاستقرار الذي نعمت به الأندلس خلال فترة حُكم الأمير "عبد الرحمن الأوسط" مع طول مدّة حكمه، حيث تجاوزت واحداً وثلاثين سنةً[2].

ونظراً للأهمية التي عرفتها الحجابة داخل الهيكل الإداري الجديد للدولة، فقد كانت محل تنافس بين الموظفين ممن هم أدنى مرتبة، حيث يروي "ابن القوطية" قصة طريفة تُصوِّر طبيعة هذا التنافس، وموقف الأمير منه؛ فبعد وفاة الحاجب "عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث"، تنافس الوزراء كلّهم في خطّـة الحجابة، واضطرّه كلّ واحد إلى أن يُولي غيره، فأخذته ضجرة، فأقسم ألا يُـولّي واحداً منهم، وأمر بالإقراع بين الخُـزَّان، فخرجت القرعة إلى "سفيان بن عبد ربّه"[3]، فتولّى الحجابة أعواماً إلى أن مات[4]. ولم يكن هذا الحاجب من أسرة مرموقة عريقة في تقلّد المناصب الحكومية؛ بل كان له اتّصال سابق بالأمير "عبد الرحمن الأوسط" قبل أن يلي الحُكم[5].

وتبرز لنا هذه الحادثة نقطتين اثنتين: الأولى هي أن منصب الحجابة كان أعلى المناصب في الدولة بعد الأمـير، وكثيراً ما كان مطمح الموظفين دونه، والثانية هي ما يدل عليه استعمال كلمة "الخُـزَّان" في الجمع، وهم المشرفون

---

[1] - المقري، المصدر السابق، ج1، ص216.؛ ابن القوطية، المصدر السابق، ص77؛ عصام محمد شبارو، الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود (91هـ/710م-897هـ/1492م). بيروت: دار النهضة العربية. 1423هـ/ 2002م. ص138.

[2] - ابن عذاري، المصدر السابق. ج1، ص122.

[3] - سفيان بن عبد ربه من بربر مصمودة اشتغل بخزانة المال زمن الحكم الربضي،وارتقى إلى منصب الخازن الأكبر (شيخ الخُزَّان) ثم تولى الحجابة في عهد عبد الرحمن الأوسط سنة (211هـ/826م)؛ ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد، جمهرة أنساب العرب. تحقيق عبد السـلام هـارون. القاهرة: دار المعارف، 1391هـ/1971. ص500. ابن حيان، المقتبس. ق02. ص25، هامش: 73، ص446 ؛ ابن القوطية، المصدر السابق. ص78.

[4] - ابن القوطية، المصدر السابق ، ص78.

[5] - نفس المصدر والصفحة.

على بيت المال، ومفرده "خازن". ومعنى ذلك وجود مجموعة من المُوظفين الذين يقومون بالمهام نفسها تحت إشراف "شيخ الخزانين"[1].

ويُمكن أن نلمس التدرّج الوظيفي الذي يمكن أن يرتقي من خلاله المُوظف ليصل إلى أعلى المناصب في الدولة من وزارة وحجابة، ويظهر ذلك جلياً بعد صعود "موسى بن حدير"[2] من مرتبة خازن بسيط إلى شيخ الخُزَّان، ثم إلى مرتبة وزير بعد أن رفض صرف صك بقيمة ثلاثين ألف دينار، كان الأمير قد أهداه للمغنِّي "زرياب"[3].

إذا كانت الحجابة قد عرفت تطوّراً ملحوظاً مع "عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث" فقد أكمل هذا التطوّر "عيسى بن شُهيد"، الذي «لم يختلف اثنان من شيوخ الأندلس في أنّه لم يخدم بني أمية أكرم منه عناية وأكثر ولاءً»[4].

ومن أهم الأسباب التي جعلت "عيسى بن شُهيد" موفّقاً في عمله حسن اختياره لوزراء حكومته ورجال خدمته، وعدم بخله في إسداء النصح لهم بما يُحَسِّنُ من مستوى آدائهم لمهامهم، ثم رعايتهم حتى يصلوا إلى أعلى مراتب الدولة[5]، فقد نصح "عبد الواحد الاسكندراني"[1] -وهو حديث المَقْدَمِ على

---

[1] - نفس المصدر والصفحة.

[2] - ذكر "ابن القوطية""موسى بن حدير"من بين خُزَّان "عبد الرحمن الأوسط" عند وفاة عبد الكريم بن مغيث، ونجد اسم"موسى بن حدير" يتكرر إذْ حمله حاجب"عبد الرحمن الناصر" الذي توفي سنة (320هـ/932م)، وتباعد المدة بين الفترتين يجعلنا نقول بأن الاسمين لرجلين مختلفين. ابن القوطية، افتتاح الأندلس، ص 75، 78، 84؛ الحميدي، المصدر السابق. ص302؛ ابن حيان القرطبي، المقتبس. تحقيق: بيدرو شلميتا. مدريد: المعهد الإسباني العربي للثقافة وكلية الآداب بالرباط. القطعة04، ص 233. ابن عذاري، المصدر السابق. ج2، ص313.

[3] - ابن القوطية، المصدر السابق، ص84.

- كان زرياب مقربا من الخليفة العباسي الأمين، فلما قتل، وتولى الخلافة المأمون، فرَّ إلى الأندلس وقدم على الأمير "عبد الرحمن بن الحكم"، فقربه منه. المصدر نفسه، ص81. العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي. ص341.

[4] - ابن القوطية، المصدر السابق، ص88. ابن حيان، المقتبس. ق02. ص30.

[5] - ابن حيان، المقتبس. ق02. ص30.

الأندلس- إلى الإمساك عن الغناء فإنّ معه من الأدب كفاية، ثم أوصله إلى الأمير فَقَرَّبَهُ منه، ثم استندمه، ولم تزل عنايته تصحبه حتى ولاّه الوزارة والمدينة[2]. وعيَّن"محمد بن موسى الغافقي"[3] كاتبِاً حين خرج إلى إشبيلية غازياً، فصحبه معه إلى قرطبة واستوزره[4]، وترقى في مناصب الدولة حتى أصبح وكيلاً لولي عهد الأمير "محمد بن عبد الرحمن"[5].

وكان وصول "عبد الرحمن بن رستم"[6] إلى منصب الحاجب حالة استثنائية في تاريخ الحجابة بالأندلس، لِما أحاط ذلك من احتيال "نصر"[7] الفتى الصقلبي وصَرْفِهِ لـ "عيسى بن شُهيد" عن الحجابة، وبلغت درجة كيده إلى حد تزويره لخطاب باسم الأمير "عبد الرحمن الأوسط"، الذي كان محتجبا بسبب المرض، يقضي هذا الخطاب بتولية "عبد الرحمن بن رستم" على الحجابة وإبقاء "عيسى بن شُهيد" على الوزارة[8]. ويُبرز موقف الأمير القاضي بإعادة الأمور إلى نصابها بعد خروجه من حِجْبَتِهِ وعلمه بالأمر المكانة الرفيعة لـ"عيسى بن

---

[1] - اتّصل عبد الواحد بن يزيد الإسكندراني بالحاجب عيسى بن شُهيد وهو حديث المقدم على الأندلس، وكان صاحب صوت شجي، فنصحه الحاجب بالتخلي عن الغناء؛ لأنّه يزري به، وأن عنده ما يكفي من الأدب والطموح ليصل إلى مبتغاه. ابن القوطية، المصدر السابق ، ص89؛ ابن حيان، المقتبس. ق02. ص30.

[2] - ابن القوطية، المصدر السابق، ص89.

[3] - محمد بن موسى الغافقي هو من بني عبد الرحمن الغافقي والي الأندلس السابق وقائد معركة بلاط الشهداء، أنهضه الأمير محمد إلى الوزارة صبيحة اليوم الذي بويع فيه، واشتهر ورثته بعده ببني الوزير محمد بن موسى الاشبيلي. ابن القوطية، المصدر السابق، ص90.

[4] - ابن القوطية، نفس المصدر، ص90.

[5] - نفس المصدر، ص93.

- يكنى الأمير محمد بأبي عبد الله، ولد سنة (207هـ/823م)، وتولى الحكم سنة (238هـ/852م) إلى أن توفي سنة (273هـ/ 886م)، فبقي في الحكم 34 سنة، و10 أشهر، و20 يوماً. الحميدي، المصدر السابق. ص17، ابن عذاري، المصدر السابق. ج2، ص141.

[6] - يرجع نسبه إلى الرستميين المؤسسين لدولتهم بتيهرت، وقد شجعت العلاقات الجيدة بين الدولتين الرستمية بالمغرب الأوسط والأموية بالأندلس على هجرة العديد من الرستميين، فشغلوا مناصب عديدة في الدولة، كان من بينها ولاية عبد الرحمن المذكور سابقاً مدينة طليطلة، والقضاء على ثورة هاشم الضرَّاب سنة (214هـ/829م)، وأهمها وصوله إلى منصب الحجابة. نفس المصدر. ص268. عبد القادر بوباية، علاقة الرستميين بالإمارة الأموية في الأندلس. مجلة التراث العربي، دمشق. العددان 99 و 100 - السنة الخامسة والعشرون- ديسمبر2005م/ رمضان1426 هـ.

[7] - هو أبو الفتح نصر بن الشُمول كان أبوه من نصارى قرمونة، أسلم قبل خَصْيِ ابنه، كانت له مكانة عالية عند الأمير عبد الرحمن وكان يعززها باستمالة الجارية طروب ؛ ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد، جمهرة أنساب العرب. ص96. ابن حيان، ق02. ص167، 250.

[8] - المصدر نفسه. ص26.

شُهيد" عنده، وضرورة وجوده على رأس الحكومة الأموية؛ بل قد يتعدّى الأمر ذلك إلى وفاء هذا الأمير لموالي بني أمية، فكثيراً ما أسدى أفراد أسرة "آل شُهيد" خدمـات جليلة للدولة المروانية بالأندلس، وهي في مرحلة النشأة.

واستمرّ النظام الإداري في عهد الأمير "محمد بن عبد الرحمن" (238هـ/852م-273هـ/ 886م) على ما كان عليه في زمن أبيه، حيث تولّى زمام الأمور نفس الرجال الذين تولّوْهـا من قبل، وحرص على ترك أصحاب الخطط في خططهم، وأقام حيناً لا يبدِّل رجال خدمته، ولا ينقل العمال، ولا يحرك الموظفين[1]، واجتمعت السلطات في أيدي أسرتي "بني شُهيد" و"بني أبي عبدة"، وهما أعظم أسرتين قرطبيتين يومئذ[2].

ويمكن القول إنّ نظام الإدارة أضحى يعمل بطريقة أفضل مما كانت عليه من قبل، فقد خضعت الدواوين وبيت المال إلى الصرامة الفائقة والرقابة الدائمة والمباشرة للأمير[3] الذي كان أعلم الناس بالحساب وطرق الخدمة والإدارة[4]. ويورد "ابن حيان" الكثير من الأمثلة التي تدلّ على براعة الأمير "محمد" بالحساب وتوخيه التدقيق فيما يُعرض عليه من كُشوف وحسابات مالية[5].

وقد أمضى الأمير "محمد بن عبد الرحمن" على الحجابة "عيسى بن شُهيد"[6]، فدامت حجابته له خمس سنوات، فلما توفي سنة (243هـ/857م)

[1] - ابن حيان، المقتبس. ق02. ص26.
[2] - عنـان، دولة الإسلام في الأندلس، ع1. ق1، ص312.
[3] - ليفي بروفنسال، المرجع السابق، ص235.
[4] - ابن عذاري، البيان المغرب،ج2، ص159.
[5] - ابن حيان، المقتبس. ق02. ص136.
[6] - ابن القوطية، المصدر السابق ، ص88.

تولّى مكانه "عيسى بن الحسن بن أبي عبدة"[1]، الذي قاد الجيش رفقة الأمير "محمد" لردِّ هجمة المجوس على الساحل الغربي للأندلس (245هـ/859م)[2].

ورغم طول مدة حكم هذا الأمير التي دامت أربعا وثلاثين سنة وعشرة أشهر[3] (238هـ/ 852م-273هـ/886م) إلا أنّه لم يتّخذ إلاّ هذين الحاجبين[4]. وقد فوَّض أمور دولته بعد ذلك لـ "هاشم بن عبد العزيز"[5]، مولاه وأعظم وزرائه، وقد اشتمل عليه اشتمالا كبيراً[6]. وقد كان لهذا الوزير عداوات كثيرة، كثيرة، وكان لا يدع الفرصة تمر دون محاولة الاحتيال للإيقاع بالحاجب "ابن أبي عبدة"، وترصُّد سقطاته، لكنّ الحاجب كان إذا وقع في ورطة أحسن الخروج منها[7]. وكان الأمير على دراية بطبائع وزيره، وبالمنافسة الحادّة بين أفراد حكومته، ولعلّ عدم تدخله لتوقيفه عند حدّه جعل عواقب تلك المنافسة المتَّسمة بالكيد للغير وخيمة، فقد حاول عزل "القومس"[8] عن الكتابة في حياته

---

[1] - ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص141.

[2] - ابن حيان، المقتبس. ق02. ص307.

[3] - ابن عذاري، المصدر السابق ، ج2، ص142.

[4] - المصادر المتوفرة لدينا لا تذكر سنة وفاة الحاجب "عيسى بن الحسن بن أبي عبدة" مما يجعلنا نجهل طول المدة التي استغنى فيها الأمير محمد عن هذا المنصب واكتفى بتدبير الوزير "هاشم بن عبد العزيز" لأمور دولته. وهذا كذلك ما لاحظه سالم خلف، المرجع السابق، ج1، ص419.

[5] - كان "هاشم بن عبد العزيز بن خالد بن عبد الله بن الحسن بن جعد ابن أسلم بن أبان بن عمرو" خاصاً بالأمير محمد بن عبد الرحمن، يُؤثره بالوزارة ويرشحه مع بنيه ومفرداً للقيادة والإمارة، ولاه كورة جيان، وهو أحد رجالات الموالي المروانية بالأندلس؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ج1، ص137-141. ابن الفرضي أبو الوليد، تاريخ علماء الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياري. القاهرة، بيروت: دار الكتاب. ط3، 1403هـ/1983، ج1ص167. ابن حيان، المقتبس. ق02. ص ص 159-171.

[6] - ابن سعيد، المصدر السابق. ج1، ص52.

[7] - ابن حيان، المقتبس. ق02. ص152، 153، 154.

[8] - تولى "قومس بن أنتنيان النصراني" الكتابة بعد "عبد الله بن أمية بن يزيد"، وكان بليغاً جوَّاداً برسائله بصيراً، قال فيه الأمير "محمد": «لو أن قومس أسلم ما أردنا بدلاً منه إذ لا يليق وقع قلمنا الأعلى يده وهو على دينه» فلما بلغه ذلك أسهد على إسلامه. ابن حيان، المقتبس. ق02، ص142؛ ابن القوطية، المصدر السابق. ص95.

وحرمان ورثته من تركته بعد الموت، وحسد "عبد الملك بن عبد الله بن أمية"[1] على مكانته من الأمير[2].

وتتباين الروايات في وصف هذا الوزير المُدبّر لشؤون الدولة القائم مقام الحاجب خاصة، فبينما يذكر "ابن حيان" و"ابن الأبار" «أنّ الخصال التي اجتمعت فيه لم تجتمع في سواه من أهل زمانه، إلى ما كان عليه من البأس والجود والفروسية والكتابة والبيان والبلاغة، وقرض الأشعار القديمة»[3]، يصفه "ابن سعيد" بأنّه «كان تيَّاهـاً، مُعجباً، حقوداً لجوجاً، فأفسد الدولة»[4].

وكثيراً ما وصلت كتب من الرعية إلى الأمير يشكون فيها سوء سيرته[5]، لكنّ الأمير كان متساهلاً معه كثيراً مما أفسد الدولة. وكثيراً ما ثار ثائر بسبب سوء معاملة هذا الوزير، فقد قال لـ "ابن مروان الجليقي"[6] وهو بين الوزراء بقرطبة: «الكلب خيرٌ منك»، وأمر بصفع قفاه وبالغ في خِزْيه، فهرب مع أصحابه وثار ببطليوس[7].

ولعلّ ما يُفسّر تضايق الأمير "محمد" من سلوك "هاشم بن عبد العزيز" رفضه لافتدائه لمَّا علم بأسره في أحد المعارك بعد هذه الحادثة، فقال: «هذا

---

[1] - بعد وفاة حامد بن محمد الزجالي" تشوف إلى خطة الكتابة العليا كثير من الموالي وخاطبه كثير من الوزراء يعرضون عليه أنفسهم لتقلدها، فأعرض عنهم، وأمر بتقليدها لـ"عبد الملك بن عبد الله بن أمية"، مما أثار الوزير "هاشم بن عبد العزيز" وكلّف رجاله بتتبع زلاّت "عبد الملك". ابن حيان، المقتبس. ق02. ص143.

[2] - ابن عذاري، المصدر السابق ، ج2.ص160. ابن القوطية، المصدر السابق. ص95.

[3] - ابن الأبار، الحلة السيراء. ج1، ص 137. ابن حيان، المقتبس. ق02. ص156.

[4] - ابن سعيد، المصدر السابق. ج1، ص53.

[5] - مؤلف مجهول، أخبار مجموعة. ص127.

[6] - هو عبد الرحمن بن مروان الجليقي من المولدين الخارجين عل دولة بني أمية بالأندلس بسبب سوء معاملة هاشم بن عبد العزيز له، مما جعله يشعر بضرورة إعادته للطاعة، فخرج على رأس جيش لإخماد هذه الثورة، يصحبه الأمير المنذر، لكن هاشماً أسر في هذه المعركة. ابن حيان، المقتبس. ق02. ص ص 343-355. الحميدي ، المصدر السابق ، ص247، الترجمة: 619.

[7] - ابن عذاري، المصدر السابق. ج2، ص153-154.

- بطليوسBadajoz بفتحتين وسكون اللام وياء مضمومة وسين مهملة مدينة كبيرة بالأندلس من أعمال ماردة على نهر آنة غرب قرطبة ولها عمل واسع. الحموي، المصدر السابق، مج1، ص447. الحميري، المصدر السابق. ص93.

أمر جناه على نفسه بطيشه وعجلته»[1]. وهذا ما يفسر عدم تولية الأمير "محمد" منصب الحجابة لوزيره "هاشم" رغم علاقته الحسنة به، بل ولاه إياها ابنه"المنذر"[2]؛ فقد اتّصـل بـه، وهو ولي عهدٍ، فخرجا معاً للغزو قاصدين "سرقسطة"[3]، ثم تقدّمـا إلى"ألبة" و"القلاع" وافتتحا حصونـا كثيرة، لكنّ الأمور فسدت بينهما، لعدم احترام "هاشم" لمقام "المنذر"[4]، والغريب في الأمر، ورغم مـا حدث، فإنّ الأمير "المنذر" استحجب "هاشم" في بداية عهده، وأظهر رضاه عنه قبل أن ينكبه، ويصادر أموال أسرته[5]. وتتباين الآراء في هذا الأمر، ففي الوقت الذي يُؤكّد المؤرّخون أنّ "المنذر"لم ينس سوء معاملة "هاشم" له عندما خرجا للغزو معًا[6]، يُؤكّد البعض الآخر أنّه أراد أن يفي له لمكانته من أبيه، فولاّه الحجابة، لكنّ الوشاة سرعان مـا أوَّلوا قول "هـاشم" الذي رثا فيه الأمير "محمد"، حيث قال:

أَعَزِّي يَـا محَمَّدُ عَنْكَ نَفْسِي أَمِيـن اللهِ ذَا المِنَـنِ الجِسَـامِ

فَهَـلاَّ مَـاتَ قَـوْمٌ لم يمُوتُوا وَدُوفِعَ عَنْكَ لي كَأْسُ الحمَـامِ[7].

فتأوّلوا أنّـه يريد "المنذر"بقوله قوم لم يموتوا[8].

ورغم قصر عهد الأمير "المنذر" إذْ لم يبلغ إلا سنتين (273هـ/886م-275هـ/ 888م)، فإنّه اتّخذ خلال هذه المدّة حاجبين اثنين، فبعد أن بطش بـ

---

[1] - ابن عذاري، المصدر السابق ، ج2، ص154.

[2] - ولد"المنذر بن محمد" سنة (229هـ/843م) أمه أم ولد اسمها "أثل"، تولى الحكم سنة (273هـ/886م) دامت ولايته سنتين إلا 15 يوماً، توفي سنة (275هـ/888م). الحميدي، جذوة المقتبس. ص17. ابن عذاري، المصدر السابق. ج2، ص142.

[3] - سرقسطة Zaragoza تتصل أعمالها بأعمال تطيلية، ذات فواكه عذبة، وهي مبنية على نهر كبير. ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج3. ص212،213. ابن الشباط، المصدر السابق. ص122.

[4] - ابن عذاري، المصدر السابق ، ج2، ص157.

[5] - ابن الأبار، الحلة السيراء، ج1، ص138.

[6] - ابن عذاري، المصدر السابق ، ج2، ص157.

[7] - ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص174. ابن الأبار الحلة السيراء، ج1، ص138.

[8] - ابن الأبار الحلة السيراء، ج1، ص138، 139.

"هاشم بن عبد العزيز"، حجب له "عبد الرحمن بن أمية بن شُهيد" المدعو بـ "الدُحيم"[1].

وقد تميَّز الأمير "عبد الله" طوال مدَّة حكمه (275هـ/888م-300م/912م) «بكثرة جلوسه ومقاعدته لوزرائه ووجهاء دولته، فإذا انقضى خوضهم في الرأي والتدبير في شؤون مملكته وما كان يحاوله من حسم علق الفتنة، خاض معهم في الأخبار و العلوم»[2].

ولم يشغله ذلك عن القعود للمتظلّمين وذوي الحاجات، وقد صنع باباً مشرئبّاً في قصره اسمه "باب الحديد"، وكان يجلس عليه في أيام معلومة فترفع إليه الظُلامات، فلا يعتذر عن ضعيف[3]، وقد خصّ قعوده للعامة في مجلس دوري حُدِّدَ بيوم الجمعة، لا يُخِلّ به، فرتَّب قعوده فيه لهم بمجلس عند الباب الذي فتحه عند ركن القصر، وسمّاه "باب العدل"، وهو باب قبلي رسمه بأن لا يأتيه منه إلا متظلّم أو رافع كتاب بظلامة فلا يمنع حاجبه أحداً[4]. فجعل ذلك ذوي المكانات والمنازل والأقدار يتحفظون من كل أمر يوجب الشكوى نظراً لحزم الأمير "عبد الله" في ذلك[5].

وسرعان ما عزل الأمير "عبد الله" حاجبه "عبد الرحمن بن أمية بن شُهيد"، وولّى مكانه "سعيد بن محمد بن السليم"[6]، الذي كان من خاصته أيام كان ولداً بـ "شذونة"[7]، فكان قد ولاّه السوق ثلاثين يوماً، فضبط أمر العامة رغم قصر المدة، وظهر منه صرامة أكسبته مهابة، وأشهر ما رُوي من ذلك

---

[1] - ابن القوطية، المصدر السابق ، ص115؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص227.
[2] - المصدر نفسه، ص229. عبد الله عنان، المرجع السابق، ع1، ق1، ص 327.
[3] - ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص229. عنان، دولة الإسلام في الأندلس. ع1، ق1. ص 327.
[4] - ابن حيان، المقتبس. ق03. ص34.
[5] - ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص230.
[6] - ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص227. ابن حيان، المقتبس. ق03. ص53.
[7] - شذونة oniaSid بفتح أوله وبعد الواو الساكنة نون مدينة بالأندلس تتصل نواحيها بنواحي موورور من أعمال الأندلس وهي منحرفة عن موورور إلى الغرب مائلة إلى القبلة. ياقوت الحموي، المصدر السابق. مج3، ص329. ابن الشباط، المصدر السابق. ص107.

ما بدر عنه في أمر خادم الأمير "المُطرف" الذي حاول إلزام "سعيد" قضاء حاجته عزماً، فحسم "سعيد" طمعه، فأغلظ له الخادم وتخطّى إلى سَبِّه وقام يلعنه، فأمر "سعيد" رجاله فشقّوا ثيابه، وضربوه مائتي سوط، وأرسل به إلى السجن، وراسل الأمير "عبد الله" في القضية، فردَّ عليه يستصوب رأيه ويستحسنه، ثم قدَّمه لذلك على الوزارة ثم الحجابة[1]، وكان ذلك سنة (275هـ/888م)، وبقي فيها خمس عشرة سنة[2].

لقد تغيَّر شكل الحِجَابَة في هذه المرحلة عمَّا كان عليه في المشرق زمن الدولة الأموية، وفي الأندلس خلال مرحلة النشأة نظراً لأنّ مهام الحاجب اختلفت عما كانت عليه، ونظراً لأنّ الإدارة أصبحت أكثر تعقيداً، وأصبح دوره أكثر أهمية، وصوَّرنا الطريقة التي كان يترأس بها "عيسى بن شُهيد" مجلس الوزراء، ثم تتبّعنا كيف واجه الحاجب "عيسى بن الحسن بن أبي عبدة" المنافسة التي تعرض لها من طرف رجال دولة الأمير "عبد الله"، وقد كان للحاجب "سعيد بن السليم" دور كبير في محاولة إخضاع "ابن حفصون"[3].

3 - مرحلة الضُعف (290هـ/903م - 366هـ/976م) :

يُلاحظ التباين الواضح في سياسة الأمير "عبد الله" بين بداية عهده ونهايته، فقد استوسع في عدد الوزراء، وأكثر منهم في البداية حتى اجتمع له

[1] - ابن حيان، المقتبس، ق03. ص05.
[2] - ابن القوطية، المصدر السابق، ص115.
[3] - عمر بن حفص المعروف بابن حفصون، كان من الخارجين القائمين بالأندلس، بأعمال رية، قبل سنة (275هـ/888م)، وكان جلداً شُجاعاً أتعب سلاطين بني أمية، وطال أمره حتى وصل 25سنة و6 أشهر، لأنه كان يتحصن عند الضرورة، بقلعة ببشتر المنيعة. الحميدي، المصدر السابق، ص268، ترجمة:687 ؛ الضبي، المصدر السابق. ص394، ترجمة: 1162. ابن الخطيب، المصدر السابق. ج2، ص31.

في بيت الوزارة في بعض أوقاتـه ثلاثة عشر وزيراً، ولم يستبْقِ منهم إلا أربعة وزراء في نهاية عهده[1]، وذلك لأنّه كان يُفضِّل إدارة الأمور شخصياً، فلم يُبق من الوزراء إلا ما كان ضرورياً. أما الحجابة «فلم يُولِّ بعد "سعيد بن محمد بن السليم" أحداً فيهـا، واقتصر على تقريب "بدر بن أحمد"[2] الوصيف اللصيق به، الخفيف على نفسه، وتكليفه ببعض الأمور الإدارية، فناب عن الحاجب لديه واستولى على خـاصته إلى أن مات»[3]؛ ويشير "ابن عذاري" صراحة إلى تعطيل الأمير "عبد الله" لمنصب الحجابة حيث يقول: «ألفى الأمير "عبد الله" وقت وفاة "المنذر" على الحجابة "عبد الله بن أمية بن شهيد"، فأمضاه عليها، ثم عزله وولي مكانه "سعيد بن محمد بن السليم"، ثم عزله ولم يوَلِّ بعده الحجابة أحـداً»[4]، أما "ابن القوطية" فيحدّد مدة تعطيل منصب الحجابة بعشر سنوات[5]، ويمكن تفسير سبب تجميد الأمير "عبد الله" لمنصب الحجابة، برغبته في أن يظل بابه مفتوحا لوزرائه سعياً منه إلى سرعة تنفيذ تعليماته الخاصة في ظِلِّ الظروف السياسية الصعبة التي كانت تمر بها الإمارة أنذاك.

وقد حاول الأمير "عبد الله بن محمد" أن يكسب عَطف ومَودّة ومُساندة الأسر الكبيرة في المجتمع القرطبي، والتي كان لها نصيب في تولي منصب الحجابة في عهد أسلافه، فعجَّل بإصدار مرسوم العفو عن "آل عبد العزيز"،

---

[1] - ابن حيان، المقتبس. ق03، ص06.

[2] - يذكر "ابن حزم" في كتابه "نقط العروس": «أن عبدا لله بن محمد خرج إلى الصيد في حياة أبيه، فمرَّ بمسجد فسمع بكاء صبي منبوذ، فرقت له نفسه، وأمر بحمله إلى داره وتربيته، وسماه بدر»، وهو بدر الحاجب الذي توفي سنة (309هـ/ 921م). رسائل ابن حزم. تحقيق: د.إحسان عباس. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.ط1، 1981. ص96؛ ابن الأبار، الحلة السيراء. ص25. علي بن محمد بن سعيد بن حزم، نقط العروس في تواريخ الخلفاء. ص22. نشر:
Christian Federico Seybold. Granada: In Révista Del Centro De Estudios Historicos De Granada Y Su Reino-1911-

[3] - ابن حيان، المقتبس. ق03. ص04؛ ابن عذاري، المصدر السابق. ج2، ص227.

[4] - المصدر نفسه، ج2، ص227.

[5] - ابن القوطية، المصدر السابق. ص115.

بعد أن كان سلفه "المنذر" قد قرّر صلبهم قبل خروجه للغُزَاة التي توفي فيها، ثم قدَّم "عمر بن هاشم" على كورة جيان، وأخاه على الوزارة والقيادة[1]، أما القضاء فقد ولاّه عمهما "أسلم بن عبد العزيز"[2]. وقد احتوى مجلسه على أربعة وزراء من آل "أبي عبدة"[3]، هذه الأسرة التي أصبح لها نفوذ واضح في الدولة، وهذا منذ تولي أحد أفرادها منصب الحاجب في عهد الأمير "محمد"، وهو "عيسى بن الحسن بن أبي عبدة"[4].

لما ولي"عبد الرحمن الثالث" الحُكم سنة (300هـ/912م) «كانت الأندلس مضطربة بالمخالفين، مضطرمة بنار المتغلبين، فأطفأ تلك النيران، واستنزل أهل العصيان»[5]، لذلك يمكن اعتبار الفترة الممتدة من تاريخ ارتقائه إلى الإمارة إلى سنة (316هـ/928م) أي تاريخ إعلان الخلافة، فترة إخماد الثورات، لكن "المقري" يتحدّث عن مدة أطول فيجعلها نيفا وعشرين سنة[6].

استعان "عبد الرحمن الثالث" خلال تلك الفترة بمعرفته باصطفاء الرجال، واستمالة أهوائهم، وبذل الأموال[7] من أجل فرض سلطة دولته، فكان أول ما قام به مجموعة من التعيينات الجديدة تتعلّق بالشخصيات الهامة في الدولة[8]،

---

1 - ابن الأبار، الحلة السيراء، ج1، ص142.

2 - أسلم بن عبد العزيز هو أحد إخوة هاشم عرف بفقهه، له رحلة إلى المشرق التقى وسمع فيها بكثير من العلماء، ولي قضاء الجماعة بقرطبة مرتين، توفي سنة (309هـ/921م)؛ ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1. ص248؛ الخشني، المصدر السابق. ص213، 221.

3 - وهم "عبيد الله بن محمد بن أبي عبدة" وقاد الخيل ، و"أحمد بن محمد بن أبي عبدة" وولي الكتابة، و"سلمة بن علي بن أبي عبدة" وقاد الصوائف، و"عبد الرحمن بن حمدون بن أبي عبدة". ابن عذاري، المصدر السابق. ج2، ص227؛ ابن حيان، المقتبس. ق03. ص05.

4 - ابن عذاري، المصدر السابق. ج2، ص141.

5 - المقري، المصدر السابق، ج1، ص353.

6 - المصدر نفسه، ص352.

7- ابن سعيد، المصدر السابق ، ج1، ص182.

8 - ابن حيان، المقتبس. ق04. ص97 ؛ ليفي بروفسال، المرجع السابق. ص323.

فولى "موسى بن محمد بن حدير"[1] الوزارة زيادة على خطة المدينة، و"عبد الملك بن جَهْور" الخزانة، و"عيسى بن أحمد بن أبي عبدة" الشرطـة العليا[2].

وكان أهم تعيين قام به الأمير هو تكليف "بدر بن أحمد" مولاه بمهام الحجابة زيادة على ما كان له من وزارة وخطة الخيل[3]، بالإضافة إلى قيادة بعض الحملات العسكرية ضد المتمردين؛ وقد اصطفاه عبد الرحمن، وفوَّض إليه الأمر والنهي[4]، وكما يقول "ابن عذاري": «كان الحاجب بدر شمسا لملكه لملكه وبدراً»[5].

لقد أُعتبر الحاجب "بـدر" الرجل المناسب لهذه المرحلة، إذْ استطاع أن ينجح في كل المهام العسكرية التي أوكلت له، ففتح في أول الأمر مدينـة "إستجه"[6] سنة (300هـ/ 912م)، وقد كانت من مواطن الخِلاف التي أتعبت الدولة، وكانت خطورة هذه المدينة تكمُن في قُربها من دار الخلافة[7]؛ ثم غزا "لبلـة"[8]، فحاصرها وافتتحها في رمضان (304هـ/ 916م)[9]، وفتح في السنة

---

[1] - موسى بن محمد بن سعيد بن موسى موالى بني مروان الحاجب الوزير، من أهل العلم والأدب، أول ما تصرف فيه للأمير عبد الله خطة القطع، ثم ولي خطة المدينة، وعزل عنها ثم أعيد إليها؛ ابن الأبار، الحلة السيراء.ج1، ص ص232-233؛ الحميدي، المصدر السابق. ص302 ، ترجمة:787.

[2] - ابن عذاري، المصدر السابق ، ج2، ص 237، 238.

[3] - المصدر نفسه. ص237.

[4] - عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ع1، ق2. ص460.

[5] - ابن عذاري، المصدر السابق. ج2، ص334. عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ع1، ق2. ص460.

[6] - إستجه Ecija بالكسر ثم السكون وكسر التاء فوقها نقطتان وجيم وهاء اسم لكورة بالأندلس متصلة بأعمال رية بين القبلة والمغرب من قرطبة، وهي كورة قديمة واسعة الرساتيق والأراضي، على نهر سنجل وهو نهر غرناطة بينهما وبني قرطبة عشرة فراسخ، وأعمالها متصلة بأعمال قرطبة. ياقوت الحموي، المصدر السابق. مج1، ص174. ابن الشباط، المصدر السابق. ص112.

[7] - ابن حيان، المقتبس. ق04، ص55. ابن عذاري، المصدر السابق، ص 239.

[8] - لبلة Niebla مدينة بالأندلس كبيرة يتصل عملها بعمل أكشونية وهي شرق من أكشونية وغرب من قرطبة بينها وبين قرطبة على طريق إشبيلية خمسة أيام أربعة وأربعون فرسخا وبين إشبيلية اثنان وأربعون ميلا وهي برية بحرية غزيرة الفضائل والثمر والزرع والشجر ولأدمها فضل على غيره ولها مدن وتعرف ومنها يجلب الجنطيانا أحد عقاقير العطارين. الحموي، المصدر السابق، مج5، ص 10. ابن الشباط، المصدر السابق. ص117.

[9] - ابن عذاري، المصدر السابق. ج2، ص 254.

السنة التي بعدها مدينة "قرمونة"[1] قسرًا[2]، ثم قاد الصائفة في سنة (306هـ/918م) وفتح مدينة "مطـونية"[3].

ومـا فتئ الحاجب "بدر" يسهم بجهودٍ ذات صبغة اجتماعية إلى جانب تلك المهام العسكرية لترسيخ دعائم الدولة، ففي سنة (303هـ/915م)كانت المجاعة بالأندلس، فبلغت الحاجة بالناس مبلغاً لا عهد لهم بمثله، ووقع الوباء في الناس، وكثر الموت في أهل الفاقة والحاجة، حتى كاد يُعجز عن دفنهم، وكان "بدر" أكثر رجال الدولة بعد "الناصر" صدقة وأعظمهم بماله مؤاساة[4].

ونظراً لمكانة "بدر" عند "عبد الرحمن الثالث"، فقد عَيَّـن أبناءه في مناصب حسَّاسة، فولى "عبد الرحمن بن بدر" الخيل، واستخلفه على دار الخلافة يوم خرج غازياً إلى كورة "جيان"، حيث غاب عن قرطبة ثلاثة وعشرين يوماً[5]، ثم ولّى "عبد الله بن بدر" الكتابة سنة (301هـ/913 م)[6]، لكن سرعان ما نجد الأمير "عبد الرحمن" يعزل ابني الحاجب "بدر""عبد الله" و"عبد الرحمن" عن وظيفتي الكتابة والخيل[7]، ثم عيّن "عبد الرحمن" في وظيفة العمارة بإشبيلية[8].

---

[1] - قرمونة Carmona أو قرمونية كورة بالأندلس يتصل عملها بغرب قرطبة وشرق إشبيلية، تقع في سفح جبل عليها سور حجارة، قديمة البنيان عصت على "عبد الرحمن بن محمد الأموي" فنزل عليها بجنوده حتى افتتحها وخربها ثم بنيت من جديد، بينها وبين إشبيلية سبعة فراسخ وبين قرطبة اثنان وعشرون فرسخا. ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج3، ص330؛ الحميري، المصدر السابق، ص461. ابن الشباط، المصدر السابق. ص110.

[2] - ابن عذاري، المصدر السابق، ص 256.

[3] - نفسه، ص 258. عبد الله عنان، تراجم إسلامية شرقية وأندلسية، القاهرة: مكتبة الخانجي. ط2، 1390هـ/1970م. ص168.

[4] - ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص251.

[5] - ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص 241، 249.

[6] - ابن حيان، المقتبس. ق04، ص142. ابن عذاري، المصدر السابق، ص248.

[7] - ابن عذاري، المصدر السابق، ص241. ابن حيان، المقتبس. ق04، ص103.

[8] - ابن الأبار، الحلة السيراء. ج1، ص253.

وفي رجب من سنة (309هـ/921م) مات الحاجب "بدر بن أحمد"، وولي الحجابة بعده "موسى بن أحمد بن حدير"[1].

لقد كان للحاجب الجديد تجربة سياسية كبيرة، حيث تقلّد عدّة مناصب منذ إمارة "عبد الله"، فقد اُستعمل في خطـة القطـع[2]، ثم ولي خطة المدينة وعزل عنها[3]، ثم عاد وتولاها زمن "عبد الرحمن الناصر"[4].

أما أول نشاطات "موسى بن محمد بن حدير" بعد توليه الحجابة فكان خروجه للغزو برفقة الأمـير إلى كورة "إلبيـرة"[5]، في ذي الحجة (309هـ/921م).

ونظراً لمكانة أسرة "آل حديـر" عند الأميـر "عبد الرحمن" فقد تأثر لحزن الحاجب "موسى" وأخيه "أحمد" على وفاة "محمد بن أحمد بن حديـر" فولى خطة "العرض"[6] أخاه "موسى بن أحمد بن حدير" وهو صغير لم يبلغ الحلم تعزيةً لأبيه وعمه عن المفقود[7]، وإحياءً لذكره[8]، وكان لأخ الحاجب "أحمد بن محمد بن حدير" دور هام في الدولة، إذ استخلفه "عبد الرحمن" على

---

1 - ابن حيان، المقتبس. ق04، ص173.

2 - القطع جمع قطيعة وهي مصطلح إداري يقصد به أداء مبلغ من المال للسلطة المركزية بقرطبة من طرف سادة النواحي مقابل نوع من الاستقلال و الحرية دون قطع للطاعة. ابن الأبار، الحلة السيراء. ج1، ص233.

3 - نفس المصدر، نفس الصفحة؛ ابن حيان، المقتبس. ق04، ص103.

4 - ابن عذاري، المصدر السابق. ج2، ص237.

5 - إلبيرةElvira الألف فيه ألف قطع وليس بألف وصل فهو بعضهم يقول يلبيرة وربما قالوا لبيرة وهي كورة كبيرة من الأندلس ومدينة متصلة بأراضي كورة قبرة بين القبلة والشرق من قرطبة بينها وبين قرطبة تسعون ميلا وأرضها كثيرة الأنهار والأشجار وفيها عدة مدن منها قسطيلية وغرناطة وغيرهما، وفي أرضها معادن ذهب وفضة وحديد ونحاس ومعدن حجر التوتيا في حصن منها يقال له شلوبينية. ياقوت الحموي، المصدر السابق. مج1، ص244؛ الحميري، المصدر السابق. ص28.

6 - العرض وظيفة من وظائف التنظيم العسكري، وهي خاصة باستعراض الجنود المدونين في أوقات منتظمة للتأكد من وجودهم وسلامتهم واستعداداتهم، ويسمى صاحب هذه الخطة بالعارض. سالم خلف، المرجع السابق. ج2، ص519.

7 - كان عبد الرحمن الثالث قد ولى محمد بن أحمد بن محمد بن حديـر خطة العرض سنة (302هـ/914م). ابن عذاري، المصدر السابق. ج2، ص277 ؛ ابن حيان، المقتبس. ق04، ص97.

8 - ابن عذاري، المصدر السابق. ج2، ص293.

القصر حين غزا "بنبلونة"[1]سنة (312هـ/924م)، و"ببشتر"[2] معقل "ابن حفصون"، سنة (315هـ/927م)، و(316هـ/928م)، وكورة "إلبيـرة" سنـة (310هـ/922م)، وسنة (317هـ/929م)، ويوم خرج لغزو "بطليوس"[3]، «ولما أمر الناصر بإقامة دار للسكة داخل مدينة قرطبة لضرب الدنانير والدراهم في رمضان (316هـ/ 928م) ولى الخطة "أحمد بن موسى بن حديـر"»[4]. و«كان قبل ذلك قد ولي الخزانة العامة»[5].

وقد تميّز الحاجب "موسى بن حدير" بشخصية مؤثّرة حيث قال عنه الوزير "عبد الملك بن جَهْوَر"[6]: «ما رأيت مثل"موسى": لم يجمعه أمير المؤمنين مع أحد إلا كان المستحوذ على المجلس في الجد والهزل»[7].

ويُوضِّح "ابن الأبار" طبقة الناس الذين كان يُحْجَبُ عنها "الناصر" وترتيب الدخول عليه، «فقد كان "موسى بن محمد بن حديـر"، يحجبه عند قعـوده لسلام الجنود، ولوفود النواحي والأقاليم، ورسل الأمم، وأصحاب الخيل، والمدينة، والشرطة العليا، وباقي أهل الخدمـة على مراتبهم»[8].

---

[1]- بنبلونـةPamplona مدينة بالأندلس بينها وبين سرقسطة مائة وخمسة وعشرون ميلاً، عاصمة مملكة غرسية بن شانجه سنة330هـ، وهي بين جبال شامخة، وشعاب غامضة، قليلة الخيرات، أهلها فقراء جاعة، لصوص، يسكنون البحر المحيط في الجوف. الحميري، المصدر السابق. ص104.

[2] - ببشتـر Bodastro بالضم ثم الفتح وسكون الشين المعجمة وفتح التاء، حصن منيع بينه وبين قرطبة ثمانون ميلاً، وهو حصن تزل عنه الأبصار، يتصل بالشعاب، له قرى كثيرة وحوله مياه وأشجار، وثمار الكروم وشجر التين. ياقوت الحموي، المصدر السابق. مج1، ص333؛ الحميري، المصدر السابق، ص79.

[3] - ابن عذاري، المصدر السابق. ج2، ص،273 ، 278، 290، 293، 299.

[4] - المصدر نفسه. ص296.

[5] - نفسه، ص274.

[6] - كان "عبد الملك بن جهور" من أهم وزراء دولة الخليفة "عبد الرحمن الناصر" وقد تميز هذا الوزير ببراعته الأدبية، روى عنه ابنه محمد الكثير من الأبيات الشعرية. اشتهر بمساجلاته الشعرية مع "أحمد بن عبد الملك بن شُهيد". الحميدي، المصدر السابق. ص249. ترجمة: 626. ابن الأبار، الحلة السيراء. ج1، ص233، 238، 243؛ ج2، ص375.

[7] - ابن الأبار، الحلة السيراء. ج1، ص233.

[8] - نفسـه، ص233.

يبدو من خلال هذا الترتيب أنّ صاحب الخيل[1]، وصاحب المدينة[2]، والشرطة العليا[3]، هم أهم وزراء الدولة الأموية في تلك الفترة، فقد كانوا السابقين في الدخول على الأمير.

ظلّ "موسى" على الحجابة حتى وفاته سنة (320هـ/932م)[4]، وشهدت حجابته تحوّل الإمارة الأندلسية إلى خلافة[5]، حينما أعلن "عبد الرحمن الثالث" الثالث" نفسه خليفة، وتلقب بـ "الناصر لدين الله" سنة (316هـ/928م).

مثّـل إعلان الخلافة حدثاً محورياً وفاصلاً في تاريخ الدولة الأموية بالأندلس، وبِغَضِّ النظر عن الظروف التي أحاطت بهذا الإعلان والأسباب التي دعت إليه، فقد كان له أثر كبير على نظام الحجابة بالأندلس، ولابُدَّ أنّ هذا القرار كان مرتبطاً بشعور "عبد الرحمن" بأنّ دولته وصلت درجة من العظمة، وارتقى سُلْطَانُهُ إلى درجة من الأبهة يُضاهي أو يفوق ما وصل إليه نظيره العباسي بالمشرق، والفاطمي بإفريقية، ولابُـدَّ أنّ إجراءات الدخول والخروج على الخليفة الجديد ستتغير تمامـاً، وستعرف تشدداً أكثر.

لقد ارتبط بهذا الحادث المُهم حدثان آخران لا يقلان أهمية عنه، فقد شرع "الناصر لدين الله" في بناء مدينة الزهراء[6] يقيم فيها مع عائلته، وينقل إليها دواوين الحكومته، وذلك في محرم (325هـ/936م)[7]. أما الحدث الثاني فهو

[1] - صاحب الخيل هو المشرب على شؤون الخيل اللازمة للجيش، وما يتصل بها من سرج وغيره، وقد كانت في وقت سابق تابعة لقائد الجيش، لكنه انفصل عنه، وغالبا ما يقود صاحب الخيل بعض الصوائف والغزوات. ابن الأبار، الحلة السيراء، ج1، ص233.

[2] - صاحب المدينة هو المشرف على شؤون مدينة قرطبة، ولما أسست الزهراء عيِّن صاحب مدينة خاص بـها بالإضافة إلى صاحب المدينة بقرطبة. ابن الأبار، الحلة السيراء، ج1، ص233.

[3] - الشرطة العليا خاصة بأمن الأمير، وخاصته، وقصوره، وأهل بيته. المصدر نفس، ج1، ص233.

[4] - نفس المصدر. ص233. ابن عذاري، المصدر السابق ، ج2، ص313.

[5] - البيلي، المرجع السابق، ص132.

[6] - تقع مدينة الزهراء غرب قرطبة، وتبعد عنها بخمسة أميال، شرع الناصر في بنائها سنة 325هـ، وكانت همته في البناء طامحة فوق همم الملوك، فلما أتمها جعلها مقراً لملكه. الحميري، الروض المعطار، ص295. ابن الخطيب، المصدر السابق. ج2، ص 38، 39.

[7] - ليفي بروفنسال، المرجع السابق. ص397.

قراره إجلاء كل أبنائه عن قصر الخلافة وإسكانهم في بيوت واقعة بأحياء قرطبة، باستثناء "الحَكَم"[1] الذي ظلّ يضطلع ببعض المهام العسكرية من حين لآخر، بالإضافة إلى أنّه ولي العهد؛ وقد تَمَّ اكتمال خروج هؤلاء الأبناء من قصر الخلافة في شوال (330هـ/941م)[2].

لكن رغم كل هذه الإجراءات، عطّل الخليفة "عبد الرحمن الناصر" منصب الحاجب، فلم يُعَيِّنْ بعد وفاة "موسى بن محمد بن جدير" في هذا المنصب أحداً وتُـرِك شاغراً[3]؛ أي طيلة ثلاثين سنة، من (320هـ/932م)، إلى (350هـ/961م)[4].

ويعود سبب تعطيل الخليفة "عبد الرحمن الناصر" لهذا المنصب إلى السياسة المركزية المتشدّدة التي عمد إلى تنفيذها والإشراف عليها بنفسه[5]، حيث عهد بالمناصب الكبيرة إلى رجال وضيعي المنبت من الصقالبة والموالي المعتقين أو الأرقاء، وهم رجال لا إرادة لهم يوجههم كيفما شاء، وكان يثق بالصقالبة بنوع خاص، ويوليهم من السلطان والنفوذ ما لا يوليهم سواه[6].

ورغم أنّ "عبد الرحمن" ألغى منصب الحاجب إلا أنّه اصطفى من بين وزراء دولته "أحمد بن عبد الملك بن شهيد"[7] فرفع مرتبته على سائر

[1] - تولى الحكم المستنصر الحكم سنة (350هـ/961م)، وعمره 47 سنة، يُكنى بأبي العاص، أمه أم ولد اسمها مرجان، تميز باهتمامه بالعلوم، وإكرامه لأهلها، بقي في الحُكم 15 سنة، و7 أشهر، و3 أيام، توفي سنة (366هـ/976م). الحميدي، المصدر السابق. ص19. ابن عذاري، المصدر السابق. ج2، ص348. ابن الخطيب، المصدر السابق. ج2، ص41.

[2] - ابن حيان، المقتبس، ق04، ص16.

[3] - ابن الأبار، الحلة السيراء. ج1، ص233؛ ابن حيان، المقتبس، ق04، ص314.

[4] - سالم الخلف، المرجع السابق ، ج2. ص419.

[5] - نفس المرجع. ص419، الهامش4.

[6] - عنان، دولة الإسلام في الأندلس. ع1، ق2. ص450.

[7] - هو الوزير أبو عامر أحمد بن عبد الملك بن شهيد الأشجعي، ولد سنة (382هـ/992م). وتوفي (426هـ/1035م) بقرطبة له شعر جيد يهزل فيه ويجد، حتى قورن بالجاحظ في أدبه. ابن خاقان أبو النصر الفتح، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس. تحقيق: مديحة الشرقاوي. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية. 1422هـ/2001م. ص81؛ الحميدي، المصدر السابق. ص116. المقري، المصدر السابق، ج1. ص237.

المراتب[1]، حتى إنّ "المقري" و"الفتح بن خاقان" يُلقبانه بحاجب الخليفة "الناصر"[2]. وتصرف "أحمد" هذا لـ "الناصر عبد الرحمن" في ولاية الكور والوزارة وقاد الصوائف[3]، «وهو أول من سُمِّيَ بـ"ذي الوزارتين" بالأندلس وكان من أهل الأدب البارع، وصار الوزير الذي ينوب عن الملك يعرف بـ"ذي الوزارتين"، وأكثر مـا يكون فضلاً في علم الأدب، وقد لا يكون كذلك، بل عالما بأمور المُلك خاص»[4].

«ولما تولى "الحَكم المستنصر" الخلافة سنة (350هـ/961م) جرى على رسم أبيه، ولم تَفْقِدْ الدولة من ترتيبها إلا شخص "الناصر"»[5]. فكانت الأمور الدولة تسير بطريقة آلية، مُعتمدة على الرجال الذين انتقاهم الخليفة السابق لتلك المهام، مما جعل الانشغال أكثر بالأمور العُمرانية والعِلمية، فكـان أول ما افتتح به خلافته النظر في الزيادة في المسجد الجامع بقرطبة، و«قلَّـد متابعة ذلك حاجبه وسيف دولته "جعفر بن عبد الرحمن الصقلبي"»[6]. وقد كان اعتماد اعتماد "الحَكم" على حاجبه كبيراً، إذْ كلَّفـه بعد ذلك بتصريف مال الأحباس[7]. ويبدو أنّ انشغال "الحَكَم" بهذه الأمور أظهر نوعا من الإهمال عند الولاة، لذلك كثيراً ما نجده يراسل من بدر منه أمور سيئة، محذراً من سطوته[8].

وتكرّر مرّة أخرى تعطيل منصب الحجابة، وكان ذلك خلال فترة طويلة من حُكم الخليفة "المستنصر"، وقد عوَّض ذلك باعتماده على رجال نابهين ذوي كفاءات سياسية وعسكرية عالية، ومن بينهم "جعفر بن عثمان

---

1 - ابن حيان، المقتبس. ق04. ص448.
2 - المقري، المصدر السابق، ج1. ص380.
3 - ابن الأبار، الحلة السيراء، ج1، ص238.
4 - المقري، المصدر السابق ، ج1. ص216.
5 - نفسـه، ص382.
6 - ابن عذاري، المصدر السابق. ج2، ص348.
7 - نفسـه، ص348.
8 - عنان، دولة الإسلام. ع1، ق2. ص511.

المصحفي"[1]، والقائد "غالب بن عبد الرحمن" الذي يعتبر من أعظم قادة الجيوش الأموية، وصاحب "مدينة سالم"[2]؛ كما عرف هذا العهد ظهور شخصية "محمد بن أبي عامر"[3] الذي تدرّج في خدمة الدولة الأموية، وحرص وحرص من أجل دعم وتعزيز مكانته عند الخليفة على كسب مودَّة وعطف نساء القصر، وخاصة السيدة "صبح"[4] أم ولي العهد، وقد استطاع بذكائه استمالتهم. ونستدل على ذلك بشهادة "الحكم المستنصر" الذي قال لبعض ثقاته: «ما الذي استلطف به هذا الفتى حرمنا حتى مَلَكَ قلوبهن مع اجتماع زخرف الدنيا عندهن، حتى صِرْنَ لا يصفن إلا هداياه ولا يرضيهن إلا ما أتاه! إنه لساحر عليم أو خادم لبيب، وإنّي لخائف على ما في يده»[5].

لقد كان للرجال الثلاثة المذكورين دور مُهم ومُؤثّر في تاريخ الحجابة بعد ذلك، دون أن ننسى مساهمة السيّدة "صبح" ودورها في صدور بعض

[1] - أبو الحسن جعفر بن عثمان بن نصر بن فوز بن عبد الله بن كسيلة القيسي، كان لطيف المنزلة من الحكم المستنصر، قديم الصحبة وسبب ذلك تأديب والده عثمان للحكم في صباه، استخدمه الناصر واستكتبه، ثم استوزره الحكم، ثم حجب للمؤيد قبل أن ينكبه المنصور بن أبي عامر. ابن خاقان، المصدر السابق. ص56. ابن عذاري، المصدر السابق. ج2، ص379.

[2] - مدينة سالم Medenacelli كانت من أعظم مدن الثغر الأوسط، بينها وبين واد الحجارة خمسون ميلاً، وكانت أول عاصمة لهذا الثغر ثم حلت محلها طليطلة، من أعظم مدن الأندلس وأغناها ماءً وشجراً. المقري، نفح الطيب،ج1، ص345؛ ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج3، ص172.

[3] - هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عامر بن أبي عامر بن الوليد ابن يزيد بن عبد الملك المعافري، أصله من الجزيرة الخضراء، ولسلفه بها قدر ونباهة، كان لمحمد همة ترمى بها المرامي، تصرَّف في وكالة "عبد الرحمن بن الحكم المستنصر"، ثم لأمه "صبح"، فوزيراً لهشام المؤيد ثم حاجبا، قبل أن يستأثر بالحكم دونه. ابن الأبار، الحلة السيراء. ج1، ص268. ابن عذاري، المصدر السابق، ج2. ص382؛ ابن بسام أبو الحسن علي الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس. لبنان، تونس: الدار العربية للكتاب (1395هـ/ 1975م). مج1، ق1.ص56؛ ابن خاقان، المصدر السابق. ص 57. هامش1. الحميدي، المصدر السابق. ص69. ترجمة:121. ابن الخطيب، المصدر السابق. ج2، ص59.

[4] - "صبح" جارية بشكنزية، واسمها ترجمة للكلمة الإفرنجية Aurora، ومعناها الصباح الباكر، ويُختلف في بقائها جارية أو أعتقت وأصبحت زوجة"الحَكم"، وفي كل الحالات فقد استأثرت لديه بكل النفوذ والرأي، ثم ازداد هذا النفوذ توطداً لما رُزِقَ منها "الحَكم" بولي العهد. عبد الله عنان، تراجم إسلامية شرقية وأندلسية. ص199؛ عبد الله عنان، المرجع السابق ،ع1، ق2، ص520.

[5] - ابن عذاري، المصدر السابق. ج2، ص375.

القرارات الحاسمة في عهديْ "الحَكم" (350هـ/961م- 366هـ/976م أو ابنه "هشام" (366هـ/976م-403هـ/ 1014م)[1].

ويختلف "ابن حيان" وابن عذاري" مع ابن خلدون" في حجابة "جعفر بن عثمان المصحفي" لـ "الحكم المستنصر"، حيث يذكر "ابن خلدون" في معرض حديثه عن الهدية التي أهداها "المصحفي" للخليفة قائلاً: «وولي على حجابته جعفر المصحفي، وأهدى له يوم ولايته هدية»[2]. أما "ابن حيان" فيلقبّه بالوزير صاحب المدينة[3]، ويتحدّث "ابن عذاري" صراحة عن توليته الحجابة في بداية عهد "هشام المؤيد"[4]. لكنّ نصاً تاريخياً أورده يدلّ على عكس ذلك، فبعد أن أخفى الفتيان الصقلبيان "فائق" و"جوذر" خبر وفاة الخليفة، وجرى بينهما حوار وهما يدبّران تحويل ولاية العهد من "هشام بن الحكم" إلى عمّه "المغيرة بن عبد الرحمن الناصر"؛ فقال "جوذر": «ينبغي أن نحُضر "جعفر بن عثمان" الحاجب فنضرب عنقه فبذلك يتم أمرنا»[5].

والنص يدّل على أنّ تولي "المصحفي" الحجابة كانت في حياة الخليفة "الحَكم"، بدليل تاريخ هذا الحوار، ويُساند الرأي الأخير "عصام شبارو"[6].

والواضح أنّ "جعفر المُصحفي" تولّى الحجابة في عهد الخليفة "هشام المؤيد"، ويرجع سبب اختلاف المؤرخين في حجابته للمستنصر إلى تلك المكانة التي تبوَّأها عنده، فقد كان قديم الصحبة له، قريب الخاصة به؛ لأنّ

---

[1] - يُكنى هشام المؤيد بأبي الوليد، أمه أم ولد تسمى صبح، كان له يوم تولى عشرة أعوام وأشهر، فعاش طول دولته متغلباً عليه لا ينفذ له أمر، توفي سنة (403هـ/1014م)، ولم يترك ولداً. الحميدي، المصدر السابق. ص21. ابن الخطيب. المصدر السابق. ج2، ص48.

[2] - ابن خلدون، العبر، مج4. ص173.

[3] - ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس. تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي. بيروت: دار الثقافة. (د.ت)، القطعة 05، ص 22.

[4] - ابن عذاري، المصدر السابق. ج2، ص 379، 378. 387.

[5] - نفس المصدر. ج2، ص 379، 378، 387؛ ابن الأبار، الحلة السيراء.ج1. ص258.

[6] - شبارو، المرجع السابق. ص190.

"عثمان" والد "جعفر" كان مُؤدّب "الحَكم" في صباه[1]، ويُذكر سبب ثاني لهذا الاختلاف وهو أنّ علّة الخليفة "الحكم" قد طالت بسبب الفالج، وكان "المصحفي" خلال تلك المدة يُدير شؤون الدولة[2]. وقد كانت حجابة الخليفة خلال تلك الفترة حكراً على الصقالبة بزعامة "فائق" و"جوذر".

ويُعد تكرار تجميد منصب الحجابة مرتين في تاريخ الدولة الأموية بالأندلس ظاهرة سياسية ملفتة للنظر، وقد تم ذلك في عهدي الأمير "عبد الله بن محمد" والخليفة "عبد الرحمن الناصر". والمتمعِّن لتاريخ الحجابة خلال هذه الفترة يجد أنّهـا كانت خاضعة كل الخضوع للأمير أو الخليفة، الذي جمع في يده كل السلطات وهو الحاكم الأعلى للبلاد، فالحاجب لا يتعدّى أن يكون موظّفـاً في الدولة ومنفذا للأوامر التي تصدر إليه.

[1] - ابن عذاري، المصدر السابق. ج2، ص379.
[2] - نفسـه، ص385.

4 - مرحلة تسلّط الحجاب على الخلفاء (366هـ/976م–422هـ/ 422هـ/ 1031م):

توفي "الحَكَمُ المستنصر" سنة (366هـ/976م)، تاركاً وراءه ابناً وحيدا لا يتعدّى عمره إحدى عشرة سنة وثمانية أشهر[1]، وخوفاً منه على مصير الخلافة بعده، وتفادياً لأي مفاجأة عقد البيعة لولي عهده الطفل "هشام" قبل وفـاته (365هـ/975م)، وعَيَّن له وكيلاً يسهر على حفظ مصالحه، وتولّى "محمد بن أبي عامر" إعطاء نسخ من كتاب البيعة للناس حسب مراتبهم، و أُعلن ذلك على المنابر[2].

لكن وفي غفلة من الجميع، وقبل أن يَشِيعَ خبر وفاة الخليفة، كان الفتيان "فائق" و"جوذر" يُدبّران لقلب كل ما رسمه الحكم، وتحويل الخلافة من "هشام" إلى عمه "المغيرة بن عبد الرحمن الناصر"[3]، سعياً منهما للتحكّم

[1] - ابن عذاري، المصدر السابق. ج2. ص388.
[2] - المصدر نفسه. ج2. ص371.
[3] - ذكر ابن حيان أن المغيرة هو أصغر أولاد الناصر، وآخر من خرج من القصر. ابن حيان، المقتبس. ق04، ص16. ابن بسام، المصدر السابق. ق4، مج1، ص58.

بزمـام أمور الدولة. لكنّ ذكاء "جعفر المصحفي" الرجل الأول في حكومة "المستنصر"، ومن ورائه مجموعة رجاله المخلصين، ومن بينهم "محمد بن أبي عامر"، حال دون نجاح مشروع الصُقلبيين؛ لأنّهم قدَّروا مدى خطورة هذا الأمر، فوقفوا حجر عثرة أمـام مخططهما، وأسرع "ابن أبي عامر" بتصفية "المغيرة" جسدياً، والحد من حركة الصقالبة داخل القصر وعزلهم عن العامـة. ولمـا كان عددهم كبيراً فكَّر "ابن أبي عامر" بالاستعانة ببربر "بني برزال" عليهم فهَـانَ خطرهم[1].

وعلى الرغم من أنّ الدَّافع إلى هذه الإجراءات كان شخصيا، إلاّ أنّه رفع "المُصحفي" و"ابن أبي عامر" في أعين العامة، وذلك لشدّة كراهية أهل قرطبة للصقالبة الذين كانوا قد أسرفوا في إيذاء الناس بصورة تمنّوا لهم الهلاك[2].

لم تنس السيّدة "صبح" زوجة "الحكم المستنصر" أبداً فضل "المصحفي" و"ابن أبي عامر" في إنقاذ عرش ابنـها، فلما استتب الأمر للخليفة الجديد "هشام" في صفر (366هـ/976م) أسهمتْ في تقليد الحجـابة وزير أبيه، والمدبّر لشؤونه، "أبا الحسن جعفر بن عثمان المُصحفي"، ورفع "محمد بن أبي عامر" إلى خطة الوزارة، وقـد كان قبل ذلك مسؤولاً عن الشرطـة الوسطى، ووكيل ولي العهـد[3].

لم يكن للخليفة الجديد أي سلطة على رجـال دولته، فقد استأثروا بالأمر دونه، فكان لا يُنسب إليه تدبير، ولا يُرجع إليه من الأمُـور قلـيل ولا كثير؛ إذ كان الشخصية، مشغولاً بالنزّهـات، حريصاً على جمع الآلات المنسوبات إلى الأولياء والصالحين[4].

[1] - ابن عذاري، المصدر السابق. ج2. ص391.
[2] - دوزي، المرجع السابق، ج2، ص91.
[3] - ابن الأبار،الحلة السيراء.ج1. ص258. ابن عذاري، المصدر السابق. ج2. ص 378.
[4] - ابن الخطيب، المصدر السابق ، ج2. ص58.

وقد قام "جعفر المصحفي" باعتباره الحاجب ورجل الحكومة الأول بتعيين ابن أخيه "هشام بن عثمان" في خطة الخيل ثم إلى الوزارة، وولى بنيه "محمد" و"عثمان"، و"عبد الرحمن" و"سعيد" الشرطة العليا والوسطى، ثم خلّف على المدينة ابنه "محمد" فأساء السيرة[1]، وقد أخذ الناس عليه استعماله أقاربه في دفة الأمور ووضعه المناصب الهامة في يد أبنائه[2]، كما استأثر المصحفي بخيرات الدولة وحرم منها غيره، وابتنى القصور والضياع[3].

ولم تكن تولية الأقارب العيب الوحيد الذي اشتهر بها "المصحفي"، فقد كان غير مُوَفَّق في اتّخاذ الأصدقاء بسبب تجبّره، كما أن غطرسته غير المُتَحَمَّلة جرحت كبرياء الأشراف الذين كانوا يحتقرونه[4]، ويحسدونه لاصطفاء الحكم له دونهم رغم أنّه من أصل بسيط فهو من بربر "بلنسية"[5]، وكان قد بدأ حياته السياسية بتعيينه على ولاية "ميورقة"[6] بعد توسُّط "الحَكم" في عهد "الناصر" لأنّ أباه عثمان كان مربيه؛ وكان من بين الأشراف الذين نشأت بينهم وبين "المُصحفي" منافسة أكبر أسر قرطبة، ومنها "آل أبي عبدة" و"آل شُهيد" و"آل فُطيس"، «فعارضه "محمد ابن أبي عامر" وأخذ معه بطرفي النقيض، بالبخل جوداً، وبالاستبداد أثرة، وباقتناء الضياع اصطناع الرجال، فشايع الأشراف "ابن أبي عامر"، فزاد شعور "المصحفي" بالخطر الذي يهدّد مركزه»[7].

---

[1] - ابن الأبار، الحلة السيراء.ج1. ص258.
[2] - عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي. بيروت: دار العلم للملايين، ط2، 1984. ج4، ص 294.
[3] - ابن بسام، المصدر السابق. ق4، مج1، ص59. ابن خاقان، المصدر السابق. ص56.
[4] - دوزي، المرجع السابق. ج2. ص95.
[5] - بلنسية Valencia كورة ومدينة مشهورة بالأندلس متصلة بحوزة كورة تدمير، وهي شرقي تدمير وشرقي قرطبة وهي برية بحرية، ذات أشجار وأنهار، وتعرف بمدينة التراب، وتتصل بها مدن تعد في جملتها، وبينها وبين تدمير أربعة أيام، ومنها إلى وطرطوشة أيضا أربعة أيام. ياقوت الحموي، المصدر السابق. مج1، ص49.
[6] - ميورقة Mallorcaجزيرة في شرقي الأندلس بالقرب منها جزيرة يقال لها منورقة، غربها جزيرة يابسة. المصدر نفسه. مج5، ص246. الحميري، المصدر السابق. ص567.
[7] - ابن بسام ، المصدر السابق. ق4، مج1، ص59. ابن خاقان، المصدر السابق. ص63.

في الوقت الذي كانت صورة "جعفر المصحفي" تسوء في أعين العامة والأشراف وعند "صبح" أم الخليفة، كان "محمد بن أبي عامر" لا يدع أي فرصة تمر دون أن يعزّز مكانته في قلوب الجميع؛ وهكذا بدأ ذلك التنافس الخفي بين الحاجب والوزير، وبدأ كل طرف يستعد ليوم الحسم.

حـاول "محمد بن أبي عامر" كسب ودِّ العامة بعدّة طرق، فقد نسب لنفسه إسقاط ضريبة الزيتون، وقد كانت مستكرهة عند الناس، فأحبّوه بذلك[1].

ولم يمض وقت طويل على تنصيب الخليفة الجديد، حتى بدأ خطر المماليك المسيحية يهدّد الأندلس[2]، فأشار الحاجب "جعفر" بتجهيز الجيش، وعرض قيادته على أكابر رجال الدولة لمواجهة العدو، فامتنع الجميع إلا "ابن أبي عامر" فإنّه بادر إلى أن يختار من يخرج معه من الرجـال، ويتجهّز لغزوه بمـائة ألف دينار، فاستكثر ذلك بعض من حضر، فقال له: «خذْ ضعفهـا وامض وليحسن غناؤك». فتراجع المعترض عن ذلك وسُلّـم الجيش و المال إلى "ابن أبي عـامر"[3].

استطاع "ابن أبي عامر" أن يحقّق الانتصار في هذه الغزوة، وكان لهذا الظفر الحربي أكبر الأثر في نفوس الجند، ونفوس سكان قرطبة، فقد رأى الجند فيه قائدهم المظفر[4]. وقد استولى على قلوبهم ببذله ووفرة عطائه، «ونال «ونال الجند من سعة ذرعه وكرم لقائه وحسن عشيرته وبذخ مائدتهمـا ما أحبوه واغتبطوا به»[5].

---

[1] - ابن عذاري، المصدر السابق. ج2. ص386.
[2] - ابن الأبار،الحلة السيراء.ج1. ص259.
[3] - ابن عذاري، المصدر السابق. ج2. ص394. ابن بسام، المصدر السابق. ق4، مج1، ص62.
[4] - عبد الله عنـان، دولة الإسلام في الأندلس. ع1، ق2، ص527.
[5] - ابن الخطيب، المصدر السابق. ج2. ص60.

تعدّدت بعد ذلك غزوات "محمد بن أبي عامر"؛ فقد قاد الغزوة الأولى إلى منطقة "الحمامات"[1]، في رجب 366هـ/فبراير977م. أما الثانية فقد قادها إلى حصن "مجريط"[2] يوم عيد الفطر (366هـ/ماي977م). أما الثالثة فقط التقى فيها بالقائد "غالب"، وكانت قرب "طليطلة" في مستهل سنة (367هـ/977م)[3]. وأدّت تلك الغزوات إلى تمرسه على قيادة الجيش، كما قربته من غالب قائد الثغر، فأَظْهَرَ موافقته له والسعي لمرضاته[4].

كان الحاجب والوزير يعرفان وزن ومكانة "القائد" في الدولة، فسعى كل منهما إلى توطيد علاقته به، ففكّر "جعفر" في قطع الطريق على خصمه، وإصلاح ما كان بينه وبين "غالب" من عداوة ومنافسة قديمة، وطلب مصاهرته، بتزويج ابنته لولده؛ وكادت الصفقة تتم لولا تَدَخُّل "ابن أبي عامر" في آخر لحظة، فطلب بدوره مصاهرة القائد بزواجه من ابنته، واستعان عليه ببعض ذوي النفوذ من أجل إقناعه بذلك، وكان له ما أراد[5].

واستطاع "محمد بن أبي عامر" أن ينتزع من الخليفة قراراً مثيراً لم يسبق له حدوث بالأندلس، وكان ذلك بالاستعانة بسلطة السيّدة "صبح" على ابنها، هذا القرار هو مشاركة "أبي تمام غالب الناصري" لـ "جعفر بن عثمان المصحفي" في الحجابة، وتلقيبه بـ "ذي الوزارتين" بعد أن كان قد لُقّبَ في زمن المستنصر بـ "ذي السيفين"[6]. وحمل القرار كذلك مشاركة "ابن أبي

---

[1] - تقع منطقة "الحمامات" Los Banios جنوب بلدة بخار، في السفح الغربي لجبال جريدوس. عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ع1، ق2. ص527.

[2] - مجريط (مدريد عاصمة إسبانيا الحالية) Madrid مدينة بالأندلس بناها الأمير محمد بن عبد الرحمن، ومن مجريط إلى آخر حيز الإسلام أحد وثلاثون ميلاً، وفي مجريط تربة مشهورة يصنع منها الخزف، وحصنها من الحصون الجليلة. الحميري، المصدر السابق. ص523.

[3] - ابن عذاري، المصدر السابق. ج2. ص ص394-398.

[4] - ابن الخطيب، المصدر السابق. ج2. ص61.

[5] - ابن عذاري، المصدر السابق. ج2. ص395 ؛ دوزي، المرجع السابق. ج2. ص99.

[6] - النويري، المصدر السابق، ص120 ؛ ابن الأبار،الحلة السيراء.ج1. ص259 ؛ ابن عذاري، المصدر السابق. ج2. ص399 ؛ ابن الخطيب، المصدر السابق. ج2. ص61.

عامر" لـ "غـالب" في التدبير للصوائف، على أن يدير "ابن أبي عامر" جيش الحضرة، ويدير "غالب" جيش الثغر[1]. وبذلك استطاع الوزير أن يضرب عصفورين بحجر واحد فمن جهة يوشك أن يتخلّص من الحاجب "المصحفي"، ومن جهة أخرى وضع يده على قطاع مهم من الجيش المُكلف بتنظيم أمور الدولة وإخضاع الثورات المناوئة في الداخل وهو جيش الحضرة.

ورغم أنّ تعيين "غالب" في منصب الحاجب كان أمراً شكلياً بحيث لم يقم أبداً بمهام الحاجب، حيث كان دائم الإقامة في الثغر لانشغاله بتنظيم أمور الجيش هناك، فقد كان إجراء التعيين في حد ذاته أمراً استثنائيا، فقد اجتمع لأول مرة على رأس الدولة الأموية حاجبان، وقد أظهرت هيئة جلوس الخليفة للاحتفال بزواج الوزير "محمد بن أبي عامر" بـ "أسماء"[2] بنت الحاجب الجديد أنّ نهـاية "المصحفي" قد دنت؛ فقد صُيِّر فراش "غالب" في صدر المجلس، وعن اليمين "جعفر"، وعن اليســار "ابن أبي عامر"[3].

لم تمر إلا أيام حتى أصدر الخليفة أمره بعزل الحاجب "المصحفي" (شعبان367هـ/ 977م) والقبض عليه وعلى آله، والتحقّظ على جميع أموالهم، فقتل "هشام" ابن أخ الحاجب وأشد الناس عداوة لـ "ابن أبي عامر"، وقُدِّم

[1] - ابن عذاري، المصدر السابق، ج2. ص395.

[2] - أسماء بنت غالب مولى الناصر عبد الرحمن، تزوجها المنصور محمد بن أبي عامر في أول أمره، ولم يفارقها المنصور طول حياته، ولما قتل المنصور أباها غالب، امتحنها بأن أمر بعرض رأس أبيها عليها، فقالت: "الحمد لله الذي أراحك وحكم لمولاك أما لولا طاعة الإمام المولى وحق الزوج المطاع لقضيت للحزن عليك أوطارا، وإني بالحزن لك لأولى مني بالحزن عليك؛ علي بماء الورد والطيب فهذا آخر العهد ببر الأب!" فغسلت وجهه ورجلت شعره ونثرت عليه مسكا كثيرا وأسلمته إلى الرسول فأنفذ إلى الخليفة هشام المؤيد. وكان هلاك غالب يوم السبت لأربع خلون من المحرم سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة . ابن الأبار أبي عبيد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي ، التكملة لكتاب الصلة. تحقيق: عبد السلام الهراس. بيروت: دار الفكر، 1995، ج4، ص248، 249.

[3] - ابن الأبار، الحلة السيراء. ج1. ص259.

"جعفر" للمحاسبة بتهمة الاختلاس، ودام سجنه أعواماً، وبالغ "ابن أبي عامر" في إذلاله حتى مات سنة (372هـ/982م)[1].

ويُظهر شعر "جعفر المصحفي" مدى المذلة التي وصل إليها مع طول سنين النكبة والسجن:

صَبرْتُ على الأيـام لما تَـوَالَتْ   وَألْزَمَتُ نَفْسِي صَبْرَهَا فاسْتَمَـرَّتْ

فَوا أعْجَبَا لِلْقَلْبِ كَيْـفَ اعْتِرَافُـهُ   وَلِلنَّفْسِ بَعْدَ العِزِّ كَيْفَ اسْتَذَلَّـتْ

وَمَـا النَفْسُ إلاَّ حَيْثُ يجْعَلُهَا الفتىَ   فَـإنْ طمَعَتْ تَاقتْ وَإلاَّ تَسَلَّـتْ

وَكَانَتْ عَلَى الأيـَّامِ نَفْسِي عَزِيزَةٌ   فَلَمَّا رَأَتْ صَبْرِي عَلَى الذُلِّ ذَلَّـتْ

فَقُلْتُ لَـهَا يَا نَفْسُ مُوتِي كَرِيمَـةً   فَقَدْ كَانَتْ الدُنْيَا لَنَـا ثُمَّ وَلَّتْ[2].

وكان تنصيب "محمد بن أبي عامر" حاجباً يوم حُبس "جعفر المصحفي"، وذلك يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر شعبان سنة (367هـ/977م)، وبذلك لم تتجاوز مدة حجابة "المصحفي" للخليفة "هشام المؤيد" أكثر من ستة أشهر وثلاثة أيام[3]، وفرض الحاجب الجديد الأمن داخل مدينة "قرطبة" بتعيين ابن عمه مشرفا عليها[4]، وقضى على اللصوص والآفات الاجتماعية التي ظهرت زمن الوالي السابق "محمد بن جعفر بن عثمان المصحفي" فأنسى بذلك العامة سابقيه[5].

بعد تخلّص "ابن أبي عامر" من منافسه "المصحفي"، شرع في القيام بتعديلات في صفوف الجيش، فقد أصبح منذ مدة قائد جيش الحضرة بقرار من الخليفة -الواقع تحت تأثير أمه "صبح"- فاستدعى أهل العدوة المغربية من

---

[1] - ابن عذاري، البيان المغرب. ج2. ص399. ابن الأبار،الحلة السيراء.ج1. ص259؛ عنان، المصدر السابق، ع1، ق2. ص530. دوزي، المرجع السابق. ج2، ص101.
[2] - الفتح بن خاقان ، المصدر السابق. ص59.
[3] - النويري، المصدر السابق. ص121.
[4] - ابن بسام الذخيرة، ق4، م1، ص64. ابن الخطيب، المصدر السابق. ج2، ص61؛ سالم خلف، المرجع السابق، ج2. ص923.
[5] - ابن عذاري، المصدر السابق. ج2. ص407. ابن الخطيب، المصدر السابق. ج2، ص61.

رجال زناتة والبربر، ورتَّب منهم جنداً، ثم ألحق بهم رجـالاً من مغراوة وبني يفرن وبني برزال ومكناسة وغيرهم، وقدَّم البربر وأخَّر العرب[1]، وبذلك كوَّن جيشا خاصا به يضمن ولاءه.

وقد كانت "صبح" أم الخليفة دائما إلى جانب "ابن أبي عامر" مادام يضمن لها سكون الحال، وزوال الخوف، واستقرار مُلْكِ ابنِها[2]، أما القـائد"غالب" فقد بدأ ينظر إلى تصرفات الحاجب نظرة ريبة وشك، خاصة بعد التعديلات التي قام بها في صفوف الجيش، وكانت النقطة التي أفاضت الكأس، وأشعلت فتيل الفتنة بين الرجلين، هي قرار "ابن أبي عامر" بناء مدينة الزاهرة[3] حيث نزلها سنة (368هـ/978م)، وكان الهدف من إنشائها هو عزل الخليفة عن العامة نهائياً، والاستئثار بالأمر دونه، فأصبح في عزلة تامة، «وكان "ابن أبي عامر" إذا خرج للغزو وَكَّلَ بـ "هشام" من يمنعه من التصرّف والظهور، والإذن في دخول أحد من الناس إلى أن يعود من سفره، فإذا أراد أن يخرجه ألبسه برنساً، وألبس جواريه البرانس، حتى لا يُعرف من بينهن. ولم يبقَ له من الملك إلا الدعاء على المنابر، وإثبات اسمه على السكة»[4]. حينئذ قرّر "غالب" أن يوقف الحاجب عند هذا الحد[5]، فاستعان بجنود من نصارى الشمال الشمال فعزَّز بهم جيشه، لما رأى من قوة جيش الحاجب بعد جلبه لجنود العدوة وعلى رأسهم "جعفر بن علي بن حمدون"[6].

---

[1] - ابن خلدون. العبر. ج4، ص177. ابن عذاري، المصدر السابق. ج2. ص409.
[2] - ابن الأبار، الحلة السيراء.ج1. ص269.
[3] - الزاهرة مدينة تقع شرق بقرطبة وهي متصلة بها، بناها الحاجب المنصور بن أبي عامر، تم تحطيمها في بداية الفتنة الأندلسية سنة (399هـ/ 1009م). الحميري، المصدر السابق ، ص283.
[4] - النويري، المصدر السابق. ص122.
[5] - ابن الخطيب، المصدر السابق. ج2، ص62.
[6] - جعفر بن علي بن حمدون بن الأندلسي، كانت أسرته ذات رياسة ونباهة أيام العبيدين في المغرب الإسلامي، حيث بنى أبوه علي مدينة المسيلة في بلاد الزاب، كانت لجعفر مكانة أيام هشام عند المنصور بن أبي عامر، قتل ليلاً في طريقه إلى حصن العقاب، فأظهر المنصور الحزن عليه وهو المتهم به ؛ ابن الأبار، الحلة السيراء. ج1، ص ص305-306.

ويقدّم "ابن حزم" في "نقط العروس" أبرع وصف لأطوار المعركة التي جرت بين الطرفين؛ وكاد "غالب" أن ينتصر فيها لولا سوء الحظ، فقد سقط القائد من جواده صريعاً بعيدا عن أجواء المعركة، فسارع مساعدوه لنقل البشرى، وتهنئة ابن أبي عامر[1]؛ «وكان هلاك غالب يوم السبت لأربع خلون من المحرم سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة»[2]. ثمّ «صار "ابن أبي عامر" صاحب التدبير، والمتغلّب على جميع الأمور، فدانت له أقطار الأندلس كلّها، وأمنت البلاد، ولم يظهر فيها شيء من الثورة عليه أيام حياته، لحسن سياسته وعِظَم هيبته»[3].

ويُلخص"ابن خلدون" خطّة "المنصور بن أبي عامر" للانفراد بالحُكم قائلاً: «وأوّل ما بدأ بالصقالبة الخصيان الخدام بالقصر فحمل الحاجب المصحفي على نكبتهم فنكبهم، ثم أصهر إلى غالب مولى الحكم، وبالغ في خدمته والتنصح له، واستعان به على المصحفي فنكبه ومحا أثره من الدولة، ثم استعان على غالب بـ "جعفر بن علي بن حمدون" صاحب "مسيلة"[4] بمن معه من زناته والبربر، ثم قتل "جعفر" عماله من أولياء الدولة»[5].

«وأخذ "محمد بن أبي عامر" في قتل من يخشى من بني أمية خوفاً أن يثوروا عليه، ويُظهر أن يفعل ذلك شفقة على "المُؤيد"، حتى أفنى من يصلح منهم للولاية، ثم فرَّق البقية في البلاد، وأدخلهم زوايا الخمول، وربما سكن

---

[1] - ابن حزم، نقط العروس، ص22. رسائل ابن حزم. ص94. ابن الخطيب، المصدر السابق. ج1، ص63.
[2] - ابن الأبار، التكملة. ج4، ص249.
[3] - ابن الأبار، الحلة السيراء. ج1، ص269.
[4] - المسيلة مدينة بالمغرب تسمى المحمدية اختطها أبو القاسم محمد بن المهدي في سنة 513هـ وهو يومئذ ولي عهد أبيه، وأبو القاسم هذا هو الذي يلقب بالقائم بعد المهدي من المنتسبين إلى العلويين الذين كانوا بمصر. الحموي، المصدر السابق. مج5. ص130.
[5] - ابن خلدون، العبر. ج4، ص177.

بعضهم البادية وترك مجلس الأبهة وناديه»[1]. فقال بعض من ينقم على المنصور:

أَبَنِي أُمَيَّةَ أَيْـنَ أَقْمَـارُ الدُجَى مِنْكُمْ؟ وَأَيْنَ نجُومُـهَا وَالكَوْكَبُ؟

غَـابَتْ أُسُـودٌ مِنْكُمْ عَنِ غَابِهَا فَلَذَاكَ حَـازَ المُلْكَ هَذَا الثَعْلَبُ[2].

وبذلك خلا الجو لـ"محمد بن أبي عامر" فتسمّى سنة (371هـ/981م) بـ "المنصور" ودُعِيَ له على المنابر، استفاء لرسوم الملك، فكانت الكتب تنفذ عنه: من الحـاجب "المنصور" "أبي عامر محمد بن أبي عامر" إلى فلان، وأخذ الوزراء بتقبيل يده، ثم تابعهم على ذلك وجـوه بني أمية، فكان من يدخل عليه من الوزراء وغيرهم يقبّلون يده وينحنون له عند كلامه ومخاطبته، فتساوى "ابن أبي عامر" مع الخليفة في هذه المراتب، فلم يجعل فرقاً بينهم وبينه إلا في الاسم وحده[3].

ولم يكتف "المنصور" بذلك، بل تعدَّاه بالتدخّل في العدوة المغربية[4] من أجل إخضاع "زيري بن عطية المغراوي"[5]، ومنح المساعدة للممالك الإسبانية بعضها على بعض، ومُعاقبة من خرج منها على الطاعة أو أخـلَّ بالعهدِ[6].

وتنامت مطامح "ابن أبي عامر"، ولم يتوقّف المنصور عند هذا الحد، ولم يقنع بما وصل إليه من سلطة، ففي سنة (381هـ/991م) حذف لقب الحجابة

---

[1] - المقري، المصدر السابق، ج1، ص591.

[2] - المصدر نفسه والصفحة نفسها.

[3] - ابن عذاري، المصدر السابق. ج2. ص417.

[4] - ابن أبي الزرع، أبو الحسن علي الفاسي، الأنيس المطرب في روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور. الرباط: المطبعة الملكية، ط2، 1420هـ/1999م. ص116.

[5] - زيري بن عطية بن عبد الله بن تادلت بن محمد بن خزر الزناتي المغراوي الخزري زعيم زناتة سنة (368هـ/789م)، أول من ملك منهم المغرب، غلب على جميع البوادي المغرب، فعقد له المنصور بن أبي عامر عليها، ثم انقلب زيري على المنصور، توفي سنة(391هـ/1001م). ابن أبي الزرع، المصدر السابق. ص128، 129؛ مؤلف مجهول، مفاخر البربر. تحقيق: عبد القادر بوباية. الرباط: دار أبي الرقراق. ط1، 2005. ص127. دوزي، المرجع السابق. ج2. ص135، 136.

[6] - ابن عذاري، المصدر السابق. ج2. ص421. دوزي، المرجع السابق. ج2. ص121.

المتقدم لاسمه في مراسلاته الرسمية وتعاملاته الإدارية، اقتصر على التسمية بـ "المنصور"، فأصبحت الكتب تصدر عنه: «من المنصور أبي عامر وفَّقه الله إلى فلان»؛ ورشَّح "المنصور" ولده "عبد الملك" للحجابة من بعده، وقدَّم أخاه "عبد الرحمن" للوزارة[1]، ثم «تلقب بـ"السيد" سنة (386هـ/996م) فنفذت الكتب بذلك، وجرى العمل عليها بقية حياته وخوطب هذا الوقت بالملك الكريم، واستبلغ في تكريمه وتعظيمه»[2]. وبذلك ضمن لآله استمرار الملك.

ويذكر صاحب "نقط العروس" أنّه كان لـ "المنصور بن أبي عامر" مطامح أكبر من التي وصل إليها أو صرَّح بها، فقد نقل خبر جمعه لعدد من وجهاء دولته وطرح عليهم قضية تنصيب نفسه خليفة رسمياً مكان "هشام المؤيد"، فكان موقف المجتمعين هو إنكار ذلك والتحذير من عواقب قرار من هذا النوع[3].

توفي الحاجب المنصور في رمضان من سنة (392هـ/1002م)، و أُعتبر من أشهر رجال الأندلس، فقد كُتب على قبره حين مات:

آثَارُهُ تُنْبِئُكَ عَنْ أَخْبَارِهِ حَتىَ كَأَنَّكَ بِالعِيَّانِ تَـرَاهُ

تَالله لاَ يَأْتِي الزَّمَانُ ِبمِثْلِـهِ أَبَداً وَلاَ يحْمِي الثُّغُورَ سِوَاهُ[4].

وولي الحجابة بعده ابنه "عبد الملك"[5]، واتّبع سيرة أبيه في الحجر على الخليفة "هشام المؤيد"، وكذا في توجيه الغزوات إلى الشمال في الصوائف والشواتي، ولُقّب بعد سنوات من ذلك بـ "المظفّر سيف الدولة أبي مروان عبد

---

1 - ابن عذاري، المصدر السابق. ج2. ص 438.
2 - نفسه، ص417.
3 - رسائل ابن حزم. ص86 .
4 - النويري، المصدر السابق. ص124.
5 - هو أبو مروان عبد الملك بن المنصور بن أبي عامر ولي الحجابة بعد موت أبيه في رمضان(392هـ/1002م) لقب بالمظفر وسيف الدولة. ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب. تحقيق: ج.س.كولان، ليفي بروفنسال. بيروت: دار الثقافة. ط3، 1983. ج3. ص03.

الملك بن المنصور"[1]، فكان أول من اجتمع له لقبان في تاريخ الأندلس. والتمس من الخليفة تلقيب ابنه الغلام "محمد" بذي الوزارتين، وتعلى بذلك مرتبته على الوزراء، فأجابه الخليفة إلى مـا ذهب إليه، وزاده أن يكنى بـ "أبي عامر" كنية جده، فصدر مرسوم الخليفة بذلك[2].

وقد وصِفَ شاعرٌ "عبد الملك" وزمنه قائلاً:

زَمَـانٌ جَدِيدٌ وَصُنْعٌ جَدِيـدٌ وَدُنْـيَا تَـرُوقُ وَنِعْمَى تَزِيـدُ

وَغَيْثٌ يَصُوبُ وَعَيْشٌ يَطِيبُ وَعِزٌّ يَـدُومُ وَعِيـدٌ يَعُـودُ

وَدَهْرٌ يُنِيرُ بِعَبْـدِ المَلِيـكِ كَشَمْسِ الضُحَى سَاعَدَتـهَا السُعُودُ[3].

وقد اتّخذ "عبد الملك" بدوره الحجاب والوزراء، ونظراً لأنّه كثيراً ما كان ينغمس في اللذّات، فقد استأثر أعوانه وبطانته بتدبير شؤون الدولة. ونذكـر من هؤلاء "طرفـة" الفتى الصقلبي، فسعى بعضهم على بعض عنده حتى هلك جميعهم[4]. ونذكر الوزير الأول لـ "المظفر" "أبا الأصبـغ عيسى بن سعيد اليحصبي"، فقد تبحبح "عيسى" بعد مهلك "المنصور" فتناهى في اكتساب الضياع والدُور في الحضرة وفي جميع أنحاء الأندلس ، واشتمل على الملك هو وولده وصناعه، وكان لهم مع ذلك في سائر أعمال السلطان نصيب. ولم ينفذ توقيع إلا بأمره، ولا تمَّ أمرٌ إلا بمشورته، فكثر أعداؤه، فصاهر العامريين قطعاً للطريق على الحساد، لكنّ العداوة ظهرت بينه وبين "عبد الرحمن بن أبي عامر" والسيّدة "الذلفـاء" أم "عبد الملك المظفر"، فأراد الانتقام بإغراء "هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر" بالثورة على خلافة "هشام المؤيد"، وانتزاع الحكم من"عبد الملك"، فسأله "ابن عبد الجبار" يوماً: «يا أبا

---

[1] - ابن الخطيب، المصدر السابق، ج2، ص83.
[2] - ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ص ص15-17. ابن الخطيب، المصدر السابق. ج2، ص88.
[3] - ابن عذاري، المصدر السابق. ج3. ص 21.
[4] - نفسـه، ج3. ص 24.

الأصبغ! والله إنّي خائف والخطر عظيم»، فقال له عيسى: «ومن تخـاف؟ أليس الملك بيدي والجند طوعي والناس رِضْوَان؟»[1] فلمـا اكتشف "المظفّر" المؤامرة قتل الاثنين[2].

زار "عبد الرحمن بن المنصور"[3] الملقب بـ "شنجول" الخليفة في قصره يوم وفاة أخيه "عبد الملك"، حيث عزّاه، وقلّـده الحجـابة، ثم جلس في الزاهرة مجلساً عامـا فبايعه الأعيان، وتلقّب منذ ذلك الحين بـ "الحاجب الأعلى المأمون ناصر الدولة"[4].

لقد استحدث "عبد الرحمن شنجول" أمراً جديداً في تاريخ الدولة الأموية وهو المبايعة بالحجابة، وهذا شرف لم يسبق لحاجب أن ناله. وكانت المبايعة قبل ذلك خاصة بالأمراء والخلفاء فقط، مما يضعنا أمام صورة المكانة التي وصلت إليها الحجابة في هذه المرحلة من الدولة الأموية.

لم يختلف منصب الحاجب منذ بداية الدولة الأموية، وحتى نهاية عهد الخليفة "الحكم المستنصر" عن منصب الوزارة بشيء، إذا استثنيا بعض الرسوم، فهو أشبه ما يكون بوزير تنفيذ، ولكن هذا المنصب بلغ أوج عظمته عندما تسلط العامريون على الخلافة، فقد أصبح الحاجب العامري بحق رئيساً للوزراء، فبيده عزلهم وتعيينهم، ولذا فقد تحوّل منصب الحاجب في تلك الفترة إلى وزير تفويض[5].

بعد شهر ونصف من شغل "عبد الرحمن" لمنصب الحجابة حدث حادث خطير هزّ أركان الدولة،فقد كان "المنصور بن أبي عامر" قد تجنّبه خوفاً من

---

[1] - ابن بسام ، المصدر السابق، ق، 1مج1. ص126.
[2] - ابن عذاري، المصدر السابق. ج3،ص27.
[3] - هو عبد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر ، الملقب بشنجول تصغيرا لشانجو جده لأمه، تولى الحجابة سنة(398هـ/ 1008م). ابن عذاري، المصدر السابق، ج3. ص38.
[4] - النويري، المصدر السابق، ص125. ابن عذاري، المصدر السابق. ج3، ص 38. ابن الخطيب، المصدر السابق، ج2، ص90.
[5] - سالم خلف، المرجع السابق، ج2، ص930.

أنّه سيفتح باب الفتنة على نفسه ويغرق فيها الأندلس، حيث طلب "شنجول" من الخليفة "هشام المؤيد" أن يُوَلّيهِ العهد من بعده، فتسمى بـ"ولي عهد المسلمين"، وخرج كتاب من قبل الخليفة بذلك[1].

وكرد فعل على محاولة "العامريين" سلب الحكم من الأمويين ثار "محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر"[2]، وقتل "عبد الرحمن شنجول" سنة (399هـ/1009م)، وتلقّب بـ"المهدي" على سُنَّةِ أسلافه، وعيّن أبناء عمومته مساعدين له، فشغل منصب الحاجب ابن عمه "عبد الجبار"، وقلّد "محمد بن المغيرة" كرسي الشرطة، فردَّ به هجمة العامة، ثم أدنى "سليمان بن هشام" وسماه ولي العهد[3]. واستكمالاً لرسوم الملك تظاهر بقتل الخليفة السابق "هشام المؤيد بالله"، وأعلن صراحة بغضه للبربر[4]. فخلق هذان الإجراءان عداء كل من البربر والأمويين بزعامة "سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر"[5]، فثاروا على "المهدي"، وأخرجوه من قرطبة سنة (400هـ/1010م).

ويذكر "ابن عذاري" حاجباً آخر كان لـ"محمد المهدي" في بداية عهده، حيث لعب دوراً كبير في تتبّع "عبد الرحمن شنجول" وقتله، واسم هذا الحاجب "ابن ذرى"[6].

وبذلك دخل "سليمان" قرطبة وطلب البيعة لنفسه، وتلقَّب بـ "المستعين بالله"، ولكنّه لم تكن له أدنى سلطة أمام تغلب البربر عليه، فكان منهم الحاجب

[1] - ابن عذاري، المصدر السابق. ج3، ص 38. النويري، المصدر السابق، ص126. ابن الخطيب، المصدر السابق، ج2، ص91.
[2] - المصدر نفسه، ص109.
[3] - ابن الخطيب، المصدر السابق، ج2، ص110. ابن عذاري، المصدر السابق. ج3، ص59.
[4] - ابن الخطيب، المصدر السابق. ج2، ص112.
[5] - قام سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر في شوال 399هـ/1009م وتلقب بالمستعين واستعان بالبربر، ثم دخل قرطبة للمرة الثانية في شوال403هـ/1013م، قتل في محرم 407هـ/م. الحميدي، المصدر السابق. ص23. ابن الخطيب، المصدر السابق. ج2، ص119.
[6] - ابن عذاري، المصدر السابق. ج3. ص ص72-73.

والوزير[1]؛ فما كان من "محمد المهدي" إلا أن بحث عن حليف يرجح به كفته، وعمـلاً بنصيحة "الفتى واضح"[2] طلب مساعدة المماليك النصرانية في الشمال، فأمدوه بالمحاربين المسيحيين، وبذلك استطاع التغلّب على خصمه، ودخول العاصمة، حيث طلب البيعة لنفسه للمرة الثانية، وحجب له هذه المرة "واضح الصقلبي"[3].

كان "واضح" من الموالي العامريين المخلصين، لذا كان يسمى أيضاً "واضحا العامري"، فقد أعـان البربر على قتل "المهدي"، آخذا بثأر مـواليه وممهـداً الأمر لنفسه[4]؛ إذْ تولى الحجـابة بعدهـا لـ "هشام المؤيد"[5]، لكنّه عندمـا عندمـا شعـر بقرب "سليمان المستعين" والبربر، وعدم قدرة أهـل قرطبة ردّهم هرب إلى الثغر، فأظهر "هشام" الاستغناء عن الوزير والحاجب، والتجرّد لمباشرة الأمر بنفسه[6]، وقال: "أنا ما أريد حاجبا، أنا أباشر أمـوري بنفسي"[7]، بنفسي"[7]، وأظهر تجلّده، وجلس أياماً للناس ثم عـاد إلى طبعه وصار الوزراء يدبّرون أمور الدولة، وأراد زعماء الجيش أن يقدّمـوا رجلا يدعى "ابن وداعة" على الحجابة، فرفض هشام المؤيّد ذلك لرغبته المذكورة سابقاً، فقدّموه على الشرطة واستطاع أن ينظّم أمور المدينة، وهابه أهل الريب والجند[8].

---

[1] - دوزي، المرجع السابق. ج2. ص173.
[2] - ابن الخطيب، المصدر السابق. ج2، ص116.
[3] - ابن الخطيب، المصدر السابق. ج2، ص116.
[4] - عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب. تحقيق: محمد سعيد العريان. القاهرة: مطابع شركة الإعلانات الشرقية (لجنة إحياء التراث) (1383هـ/1963م). ص89.
[5] - ابن خلدون ، العبر، مج 4. ص181. ابن الخطيب، المصدر السابق. ج2، ص116.
[6] - المصدر نفسـه، ص118.
[7] - ابن عذاري، المصدر السابق. ج3. ص105.
[8] - المصدر نفسـه، الصفحة نفسها.

وفي مُستهـل سنة (403هـ/1014م) دخل "سليمـان المستعين" قرطبة للمـرّة الثانية، وجلس على كرسي الخلافة، وتغلّب عليه البربر من جديد، فكانوا الحُكّـامَ الحقيقيين، ولم يكن يستطيع أن يقرِّر أمراً إلا بعد إقرارهم له[1].

وقد استحجب "عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر" الملقب بـ "المستظهر بالله[2]" "أبا محمد بن أحمد بن حزم"[3]، وكانا غاية في الشبه خُلقاً، فقد وُصف كلاهمـا بالتقوى والزهد. ولم تـدُم فترة حكمهمـا أكثر من سبعة أسابيع[4]، حيث قُتل الخليفة وانصرف الحاجب لحياة العلم والزهد والعبادة.

ثم تولّى "محمد بن عبد الرحمن"[5] الملقب بـ "المستكفي" الخلافة، وقد نعته نعته "عبد الواحد المراكشي"(ت:625هـ/1228م) بـ "السخف وركاكة العقل وسوء التدبير"[6]؛ حيث حجب له رجل حائك يعرف بـ "أحمد بن خالد"، وكان المدبّر لدولته ؛ «فَقَلَّ في دولة يديرها حائك!»[7].

---

[1] - ابن الخطيب، المصدر السابق. ص119.

[2]- هو عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر، كنيته أبو المطرف، أمه اسمها"غاية" لقب بالمستظهر بويع في رمضان(414هـ/1023م)، وقُتل في ذي القعدة من نفس السنة.اشتهر بالذكاء والفطنة والأدب والورع. ابن عذاري، المصدر السابق. ج3، ص135. ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص12. الحميدي، المصدر نفسـه، ص27.

[3] - عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص93.

- ولد "ابن حزم" بقرطبة ،في رمضان (384هـ/994م)، كان أبوه "أحمد" عالماً جليلاً ووزيراً لـ"المنصور" وابنه "المظفر". اشتغل "ابن حزم" بالسياسة لـ"المستظهر" عندما بويع بالخلافة، وبعد قتل هذا الخليفة سجن دهراً، ثم نبذ السياسة وأقبل على العلم فطلبه أشد ما يكون الطلب، من مؤلفاته "جمهرة أنساب العرب"، "نقط العروس في تواريخ (نوادر) الخلفاء"، "طوق الحمامة في الألفة والألاف"، "الفصل في الملل والأهواء والنحل". الحميدي، المصدر السابق، ص277. ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب. ص ص05-12.

[4] - دوزي، المرجع السابق، ج2. ص213.

[5] - هو "محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن الناصر"، تولى الحكم في ذي القعدة(414هـ/1023م)، وتلقب بـ"المستكفي بالله"، خُلع سنة (416هـ/1025م). ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص140. ابن الخطيب، المصدر السابق. ج2، ص135.

[6] - عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق. ص107.

[7] - عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق. ص107.

ولم يزل الأمر كذلك إلى أن خُلع المُستكفي سنة (416هـ/1025م)، وقُتـل حاجبه المذكور في داره، حيث دخل عليه عوام أهل قرطبة نهاراً فقتلوه[1].

وقد بلغت الأمور بالحجابة أدناهـا في آخـر أيام الدولة الأموية بالأندلس، ففي سنة (418هـ/1027م) جلس على كرسي الحُكم "هشام بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر"[2] الملقب بـ "المعتد بالله الأموي"، وتولّى تدبير أمور دولته شخص يدعى بـ "حكم بن سعيد القَـزَّاز"؛ ويُكنى بـ "أبي العاصي"، ولم تكن له سالفة بشرف ولا جاه، وكان قبل ذلك قد اشتغل حائكـاً، فبدرت منه أمور سيئة، فكان يأخذ أموال التجار فيتكرّم بها على البربر، ويجزل لهم العطاء، فبغضه أهل قرطبة[3].

وقد «جرى هذا الحاجب مجرى من سبقه، فحجر الخليفة "المعتد" لتقدّمه في السن الذي بقي في قصره ينظر بعينه، ويسمع بأذنه، ويدني من أدناه حاجبه ويقصي من أقصاه، وتركه وعظام الأمور يُدبِّرها بجهله وتهوُّره، وجمع حوله كل ماجن سفيه أو سوقي رذل فاتخذهم بطانته، وعادى الأحرار وذوي البيوتات، والخليفة راضٍ بما يقوم به، ساكت عنه»[4]، فـ «دبّر العامة القيام عليه، وكان الناظر لهذه الجمـاعة ابن عمٍّ لـ "هشام المعتد"، وهو "أمية بن عبد الرحمن"»[5]، «فرصدوا "حكم" الوزير الحائك، وقتلوه وطافوا برأسه في

---

[1] - نفســه. ص107.

[2] - أجمع فقهاء قرطبة على ردِّ الأمر لبني أمية فبايعوا هشام بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر، وتلقب بالمعتد بالله سنة (418هـ/1027م)، وكان هشام آخر خلفاء بني أمية بالأندلس. ابن عذاري، المصدر السابق. ج3، ص145. الحميدي، المصدر السابق، ص28. ابن الخطيب، المصدر السابق، ج2، ص138.

[3] - ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص146.

[4] - ابن عذاري، المصدر السابق. ج3، ص138.

[5] - أمية بن عبد الرحمن العراقي، من ذرية الناصر فتى شديد التهور والجهالة، ذُكر أن أهل قرطبة قالوا له: «إنا نخاف عليكم في هذا اليوم القتل لما نرى من انقلاب الناس عليكم»، فقال لهم أمية: «بايعوني أنتم اليوم واقتلوني غداً ». حرصاً منه على الخلافة. المصدر نفسه، ص151.

الشوارع ، ونصبوه أمام العِلِّية التي كان أعدَّها لدفاعه عن نفسه، فصار عُرضة للمتأمِّلين»[1].

كان "هشام المعتد بالله" آخر الخلفاء الأمويين، فخُلع سنة(422هـ/1031م)، ونودي في الأسواق والأرباض ألا يبقى بقرطبة أحد من بني أمية[2].

وقد كان حال الحجابة في هذه المرحلة لا يختلف عن حال الأندلس بصفة عامة، فكثيراً ما عانت الخلافة من الضعف، ففُسح المجال للحُجَّاب للتلاعب بمصير الدولة، واختفت جميع الرسوم التي درجت عليها الدولة الأموية في زمن الفتنة التي تركت آثارها السلبية على كافة مجالات الحياة[3]. ويمكن القول إنّ الحالة التي آلت إليها الدولة الأموية سببها سوء اختيار الحُجَّاب، وفي كثير من الأحيان كانوا يُفرضون على الخلفاء فرضاً فلا يمكن ضبط تصرفاتهم بعد ذلك.

[1] - نفسه، ص150.
[2] - نفسه، ص152.
[3] - سالم خلف، المرجع السابق، ج2، ص930.



الفصل الثاني

التقاليد والرسوم الأموية في الحجابة بالأندلس.

1- تعيين الحُجَّاب.

2- أنواع الحُجَّاب:

أ - حجابة الحاكم عن العامة.

ب - حجابة الأمير عن الخاصة.

ج -حجابة الحُكَّام في الاحتفالات الرسمية والمناسبات والأعياد.

3- ألقاب الحُجَّاب.

4- مهام الحُجَّاب.

1 – تعيين الحُجَّاب:

تَحَمَّلَ الحُجَّابُ في كثير من الأحيان أعباءً ومهاماً سياسية وعسكرية لم يكونوا في مستواها لولا التكوين الذي استفادوا منه من خلال مسيرتهم في صعود سُلَّم وظائف الدولة، فهل المؤهلات والكفاءات الشخصية هي المعيار الوحيد لاختيار الحاجب؟ وهل كانت الحجابة حِكراً على رجال من أسرٍ معينةٍ فتداولوها فيما بينهم، وتوارثوا هذا المنصب فلم تخرج منهم؟ وهل هناك شروط ومعايير أخرى كانت تُراعى عند تعيين الحاجب؟

نظراً للأهمية التي أصبحت تحتلها الحجابة في تنظيم الإدارة الأندلسية، دأب الحُكَّام الأمويون على اختيار رجال ثقات وأكفاء لهذا المنصب، بالإضافة إلى صفات ومميزات يجب أن تتوافر فيمن يقع عليهم الاختيار، فكانت الميزة المشتركة بين أغلب هؤلاء الأمراء هي القيام بمجموعة من التعيينات الجديدة على رأس الإدارة أوَّل مبايعتهم على الحُكم، وحتى لو احتفظ أحدهم بنفس رجال سلفه، فذلك لفترة قصيرة يتمكن من خلالها التعرف على خبايا الدولة ثم يشرع في تعديل جهازه الإداري بعد ذلك، فـ"عبد الرحمن الناصر" قام بتعيين "بدر بن أحمد" حاجباً[1] نظرا لحاجته الملحة لوجود رجل دولة وقائد عسكري يُعِينُه على القضاء على الفتن المنتشرة في البلاد. أما ابنه "الحَكم المستنصر" فقد استعان بحاجبه "جعفر بن عبد الرحمن" في إنجاز الكثير من الأعمال العمرانية، وكان تعيينه له بمجرّد مبايعته على الحُكم سنة (366هـ/ 1031م) [2]. أما الأمير "عبد الرحمن الأوسط" فرغم التغييرات الكثيرة التي أجراها على نظام الحُكم والإدارة الأندلسية فقد احتفظ بحاجب أبيه "الحَكم الربضي" "عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث" للاستفادة من تجربته السياسية الكبيرة فقد كان

[1] - ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص237، 238 .
[2] - المصدر نفسه، ص348. البيلي، المرجع السابق، ص133.

ضليعاً في القيادة العسكرية والكتابة الديوانية والأعمال الإدارية المختلفة، وقد وصف "ابن الأبار" تعدد محاسن هذا الحاجب أحسن وصف[1].

غير أنّ الأمور تختلف عند الحديث عن شروط تعيين الحاجب فلا يوجد شيء مُحدّد في هذا الأمر، وبخلاف ما هو الحال عليه عندما يتعلّق الأمر بتعيين القضاة مثلاً، فإذا كان للقاضي شروط معروفة سلفاً خاض فيها علماء الفقه والنُظم الإسلامية، ومنها البُلوغ والذُكورة والإسلام والحرية والعدالة وسلامة الحواس من سمعٍ وبصرٍ، زيادة على الدِّراية بالأحكام الشرعية[2]، فإنّهم تحدثوا عن معايير عامة عند التطرّق للقضية نفسها عند الحاجب أو حتى الوزير. ويمكن أن نقول إنّ ما يُسمى بالشروط عند القاضي يُسمى بالمعايير أو المُواصفات عند الحاجب. ذلك أنّ طبيعة منصب القاضي تختلف عن طبيعة منصب الحاجب، فالأول خطة دينية تعتمد على الاجتهاد الفقهي، والثاني سياسية تعتمد على وجهة نظر كل حاكم وكذا على تصوره لمحيطه السياسي. ويُمكن تلخيص المعايير ومواصفات تعيين الحاجب فيما يلي:

1- المواصفات الشخصية: يمكن اعتبار العدالة والعفة والأمانة من أكثر المعايير المطلوب مراعاتها عند تعيين الحُجَّاب[3]، ويعود الفضل للتكوين الشخصي في اكتساب الحاجب لهذه الصفات لأنّها نابعة من التنشئة الأسرية ثم من المكتسبات العلمية، فقد نشأ معظم حُجَّاب الدولة الأموية في الأندلس في أسر مقربة من البيت الحاكم مما سمح لهم بأن يتلقوا تربية جيدة، فقد نشأ "جعفر بن عثمان المُصحفي" قريباً من "الحكم المستنصر" لأنّ والد الحاجب

---

1 - ابن الأبار، الحلة السيراء. ج1، ص135.

2 - الماوردي، أبو الحسن علي البغدادي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية. بيروت: دار الكتاب العربي، ط2، 1415هـ/ 1994م. ص192، 132.

3 - صالح المزيد، المرجع السابق. ص28.

كان مُؤَدِّبَ الخليفة فغرس في "جعفر" ملكة الشعر، وغرس في "الحَكم" حبَّه للعلم.

ويمكن أن نلاحظ فارقاً مهماً يميز بين حاجبٍ وآخر، وذلك لأنّ الأنظمة الإدارية التي تحكم الموظف والوظيفة تختلف في ضوابطها من مرحلة لأخرى ومن شخص لآخر، فقد كان الحاجب "عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث" يقبل الهدية ويقّدم صاحبها، وكان الحاجب "عيسى بن شهيد" يرفضها ويهجر صاحبها[1]، ورغم الاختلاف بين الرجلين فهذا لا يُنقص من قيمة الحاجب "ابن مغيث" فقد كانت له إسهامات مشهودة في تطوير الإدارة الأموية بالأندلس.

ومن المُستحب أن تتوافر في الحاجب صفات أخرى تساعده على الأداء الجيد لمهامه، ومنها أن يكون حسن المنظر، جميل المخبر، عارفاً بمقادير الناس، بعيداً عن الهوى، معتدلاً بين الشدة واللين[2]. غير أنّ هذه المعايير لم تكن مطلقة عند اختيار الحاجب، فقد كان الحاجب "عيسى بن الحسن بن أبي عبدة" رثيثاً بعيداً عن الرشاقة في الخدمة، تغلب عليه غفلة السلامة[3]، وكثيراً ما كان عرضة لمكائد الوزراء بسبب ذلك[4]، لكنّ علم الأمير بهذا الصراع واستيعابه له جعل الحاجب في مأمن من نتائجه السلبية.

ويمكن أن تكون المواصفات الدينية كالورع مقياسا للارتقاء إلى منصب الحجابة مثلما حدث في أواخر أيام الدولة الأموية يوم انعدمت الأخلاق السامية في السياسية، فقد استحجب "المستظهر" "أبا محمد بن أحمد بن حزم"، وكانت

[1] - ابن القوطية، المصدر السابق، ص89.
[2] - صالح المزيد، المرجع السابق. ص28.
[3] - ابن حيان، المقتبس، ق02، ص152.
[4] - المصدر السابق، ص155.

التقوى والزهد صفتا الرجلين، لكن لم تـدُم تجربتهما السياسية أكثر من سبعة أسابيع، فقُتل الخليفة وانصرف الحاجب لحياة العلم والزهد والعبادة[1].

2 – أولوية إسناد الحجابة إلى موالي بني أمية:

حَرِصَ الحُكَّام الأمويون على تعيين مواليهم في الخطط الشريفة، فهذا الأمير "محمد" كان يفضل ركوب سنن سلفه في إحياء بيوتات الشرف، حتى وصل به الأمر تفضيل بعضهم رغم قلة صنعته، وقد رَدَّ يوماً على انتقاد "هاشم بن عبد العزيز" في تعيين "عبد الملك بن أمية" في منصب الكتابة العليا قائلاً: «مهلاً يا هاشم! فقد علمنا أنك ما قلت إلا بالنصيحة لنا والرغبة في رفعة الخدمة لنا، غير أنّ مذهبنا أن نقصر لخططنا هذه النبيهة على أبناء موالينا وأهل السوابق في خدمتنا، وأن نخلفكم فيمن بعدكم بما خلفنا به فيكم من قبلكم، ولو كنا فارقنا هذا المذهب لما اتصلت النعم إلى صلحاء موالينا، وذوي القدمة في خدمتنا، وهذا أمر يجب عليك أن تقف على مقدار النعمة فيه عليك وعلى ذويك، وتقل عليه الملامة»[2]. فاعتذر له هاشم من قوله، وتشكر فعله، واستكرم رأيه، واعترف بصواب رأيه، وأقصر عن ذكر "ابن أمية"[3].

لقد تنَّوع موالي بني أمية بين من سبقوا "عبد الرحمن الداخل" إلى الأندلس، وينتمون إلى موالي العتاق وقد كان لهم اتصال بهم في الشام، ومواليهم بالاصطناع وهم الذين كان لهم اتّصال بهم بعد قدومهم إلى الأندلس. وقد حرص بنو أمية على تولية الحجابة مواليهم بغض النظر لأي نوع من الموالي كان النصيب الأوفر في ذلك، مع وجود قاعدة سياسية دأب الحُكَّام على الحفاظ عليها وهي تقديم الموالي من العتاق على الموالي من الاصطناع، أو

---

[1] - دوزي، المرجع السابق، ج2. ص213.
[2] - ابن حيان المقتبس. ق02. ص144.
[3] - نفس المصدر، نفس الصفحة.

بمصطلح آخر تقديم الشامي على البلدي[1]، ويرجع "ابن خلدون" سبب التحام المَوالي بمُصطنعيهم إلى العشرة والمُدافعة وطول المُمارسة والصحبة بالمَربى والرِّضاع، وإذا حصل الالتحام بذلك جاءت النعرة والتناصر[2].

لقد غالى الأمويون في تكليف مواليهم بهذا المنصب، فقد كان تعيين بعضهم على حساب المصلحة العليا للدولة، وكان ذلك يَتِمُّ في بعض الأحيان دون مراعاة لمعايير العدالة والعفة والأمانة، وهذا ما جرَّ الدولة إلى فتن لا نهاية لها، فقد سكت الأمير "محمد بن عبد الرحمن" عن سوء تصرفات مُدبِّر دولته "هاشم بن عبد العزيز" رغم كثرة شكاوى الرعية منه واكتفى بمجرد تنبيهه على ذلك قائلاً: «يا هاشم من آثر السرعة أفضت به إلى الهفوة، ولو أنَّا أصغينا نحو زلاتك وأصَخْنا إلى هفواتك لكنّا شركاءك في الزلة وقسماءك في العجلة، فمهلاً عليك رويداً بك، فإنك إن تعجل يُعجل بك»[3].

ورغم أن هذه الأسر كان لها الأفضلية في شغل هذه المناصب إلا أنّ أفرادها مثل غيرهم من الحُجَّاب كان عليهم أن يتمرسوا في المناصب الدُنيا حتى يصلوا إلى أعلى منصب في الدولة بعد الأمير أو الخليفة وهو منصب الحاجب، فقد ولى "عبد الرحمن الناصر" الوزارة في بداية عهده رجل من "آل حدير" وهم من موالي بني أمية وهو "موسى بن محمد بن حدير"، وأعيد على خطة المدينة التي كان قد شغلها زمن الأمير "عبد الله"[4]، وكثيرا ما كان يستخلفه في القصر حينما كان يخرج للغزو[5].

---

[1] - ابن الأبار، الحلة السيراء. ص120؛ سيتم شرح ذلك أكثر عند الحديث عن ترتيب الجلوس في مجلس الوزراء في الفصل الثالث المبحث الثالث.
[2] - ابن خلدون، المقدمة. ص327.
[3] - ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص120.
[4] - المصدر نفسه، ج2، ص237.
[5] - نفسه. ج2، ص240، 246، 259.

كانت أول وأهم الأسر اشتغالا بمنصب الحجابة في تاريخ الدولة الأموية هي أسرة "المغيث"، ورأس هذه الأسرة في الأندلس هو "مغيث بن الحارث بن الحويرث بن جلبة بن الأيهم الغساني"، سُبِيَّ من الروم بالمشرق وهو صغير، فأدَّبه "عبد الملك بن مروان" مع ولده الوليد"، فصارت له مكانة مهمة في الدولة الأموية في المشرق، دخل الأندلس في الطلائع الأولى للفتح الإسلامي، فقدَّمه "طارق بن زياد" لفتح قرطبة، ووقع له مع "موسى بن نصير" خلاف كبير، فرحل معه ومع "طارق" إلى دمشق لطرح خلافهم على الخليفة، فعاد ظافراً إلى الأندلس، ولم يعرف له سنة ميلاد ولا وفاة[1]، وصار منه بنو مغيث الذين نجبوا في قرطبة، وسادوا وعظم بيتهم، ونالوا أعلى المناصب في الدولة في بداية عصر الإمارة، وكان أولهم "عبد الرحمن بن مغيث" حاجب "عبد الرحمن بن معاوية"[2]، ثم صاروا عماد الدولة في عهد "هشام الرضا" فَعُيِّنَ "عبد الواحد بن مغيث" في منصب الحاجب، وتولى ابناه "عبد الكريم" و"عبد الملك" قيادة كثير من الصوائف[3]، مما جعل الأمير "هشام" يثق فيهما ويليهما بعض المدن، فولى "عبد الكريم" كورة "جيان" بالإضافة إلى الحجابة، وولى عبد الملك "سرقسطة"[4]. واستمرت هذه الأسرة في ممارسة مهامها في عهد "عبد الرحمن الأوسط"، فكان تعيين "عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث" في وظائف عديدة في الدولة بالإضافة إلى الحجابة[5].

---

[1] - استشار سليمان بن عبد الملك "مغيث" في تولية "طارق بن زياد"على الأندلس، فسأله: "كيف أمره في الأندلس؟"فرد: "لو أمر أهلها بالصلاة إلى أي قبلة شاء لتبعوه ولم يروا أنهم كفروا"، فلما لقي طارق مغيث أخبره عما قاله لسليمان فقال طارق: "ليتك وصفت أهل الأندلس بعصياني، ولم تضمر في الطاعة ما أضمرت". المقري، المصدر السابق، ج3. ص13.

[2] - المصدر نفسه، ج3. ص13.

[3] - ابن خلدون، العبر. ج4. ص150.

[4] - ابن الأبار، الحلة السيراء، ج1، ص135 .

- سرقسطةZaragoza تتصل أعمالها بأعمال تطيلية، ذات فواكه عذبة، وهي مبنية على نهر كبير، وقد انفلادت بصناعة السِّمّور؛ ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج3. ص212،213.

[5] - ابن حيان، المقتبس. ق02، ص31؛ ابن الأبار، الحلة السيراء. ج2، ص135، 136.

و قد تقلص دور هذه الأسرة على مستوى الساحة السياسية سوف بمجرد وفاة الحاجب "عبد الكريم" سنة (209هـ/825م)، وذلك لأنّه لم يعد لهم ذكر في كتب التاريخ الأندلسي بعد ذلك ما عدا ما أورده "ابن حيان" عندما ذكر ما طلبه الأمير "محمد" من حاجبه "عيسى بن أبي عبدة" أن يبلغ "عبد الحميد بن عبد الواحد بن مغيث" صفحه وقد كان عَتِباً عليه قبل ذلك قائلاً: «أعلموه بصفحنا عما كان منه، وبحسن رأينا فيه، وأنا قد رأينا توليته الغرب كله اعترافا منا على كفايته، ولما قد سبق من عمله عليه وعمل سلفه قبله، وأنه منزلهم، وأنا جمعناه له إلى "قلمرية"[1]، فليعقد سجله، ولينظر في شأن مصيره»[2].

وقد مارست أفراد أسرة "آل المُغيث" نشاطهم جنباً إلى جنب مع أفراد أسر أخرى ومنها "آل أبي عبدة"، ويعود اتّصال هذه الأسرة بالأمويين إلى دولتهم الأولى بالشام، إذْ كان جدهم "عبد الله" مملوكاً لـ"مروان بن الحَكم" فأبلى يوم وقيعة "مرج راهط"[3] بلاءً حسناً فأعتقه[4]. والداخل إلى الأندلس من أجداد هذه الأسرة "حسان بن مالك بن عبد الله" وهو المسمى "أبو عبدة" وكان دخوله سنة (113هـ/731م)، أي قبل دخول "عبد الرحمن الداخل" بخمس وعشرين سنة، وكان لـ "حسان" أولاد قتلوا إلا "عبد غافر" لصغر سنه، فنشأ مع "عبد الرحمن بن معاوية"، وتأدَّب معه في المشرق. ولما قَدِمَ "بدر" مولى "عبد الرحمن" بخبره إلى مواليه الشاميين، كان "أبو عبدة" أول المرحبين به،

---

[1] - قلمرية COIMBRA مدينة تقع على مصب نهر منديق في المحيط الأطلسي على الساحل الغربي للأندلس (بلاد البرتغال حالياً) على بعد نحو مائة كيلو متر إلى شمال غرب غرناطة، وشمال شرق الأشبونة. ابن حيان، المقتبس. ق02. ص526. ترجمة: 320. الإدريسي، نزهة المشتاق. ج2، ص726.

[2] - ابن حيان، المقتبس. ق02. ص154.

[3] - معركة حاسمة وقعت بين مروان بن الحكم والضحاك بن قيس الفهري، وكان ذلك يوم جمعة 10 من ذي الحجة (عيد الأضحى) سنة 64هـ، فدارت الدائرة لمروان على الفهري وقتل معه سبعون ألفاً، من قيس وقبائلهم. ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس. ص49.

[4] - ابن الأبار، الحلة السيراء. ج1، ص246.

فوجَّه ابنه "عبد غافر" إليه، ولما توطد حُكم "الداخل" أصبح لـ "أبي عبدة" شأن كبير في دولته فقد اتخذه من بين أهم مستشاريه[1]، ثم استعمله على القيادة وولاه "إشبيلية" فملك الغرب أجمع خمسة أعوام إلى أن تُوفي[2].

واشتهر العديد من أفراد أسرة "آل أبي عبدة" فشغل منهم الكثيرون منصب الحجابة بالإضافة إلى مناصب أخرى، فقد تولى "أبو أمية عبد غافر" الشرطة لـ "هشام الرضا"[3]، ثم عُين في الحجابة، وتولى حفظ خاتمه وخاتم ابنه "الحَكم الربضي"[4]، وقد أورد ابن الأبار" اسم عبد العزيز بن أبي عبدة" أخا "عبد غافر" أيضاً ضمن حُجَّاب الأمير الحكم الربضي[5]، وقد تصرّف بعد ذلك "أبو عثمان عبيد الله الغمر بن أبي عبدة" لـلأمير "عبد الله" في الكور وحجابة الأولاد، والمدينة والخيل والقيادة، ثم في الكتابة الخاصة والوزارة[6]. وقد تولى "عيسى بن الحسن بن أبي عبدة" الحجابة للأمير "محمد" سنة (243هـ/857م)[7]. وعرف عهد الأمير "عبد الله" أزهى أيام هذه الأسرة فقد جمع مجلسه أربعة وزراء منها[8].

ويتفرّع من هذه الأسرة "بنو جهور" الذين سادوا قرطبة بعد ذلك، وينسب هذا الفرع إلى الوزير "أبي حزم جهور بن عبيد الله بن محمد بن الغمر بن يحي بن عبد الغافر بن حسان بن عبد الملك المكنى بأبي عبدة"[9]، ولا ننسى أن أن نذكر "أبا محمد بن أحمد بن حزم" الذي حجب "عبد الرحمن بن هشام بن

[1] - المقري، المصدر السابق.ج3، ص45.
[2] - ابن الأبار، الحلة السيراء. ج1، ص246.
[3] - ابن عذاري، المصدر السابق. ج2، ص91.
[4] - ابن الأبار، الحلة السيراء، ، ج2، ص30.
[5] - نفس المصدر ونفس الصفحة.
[6] - نفسه، ج1، ص247.
[7] - ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص141.
[8] - نفسه. ج2، ص227. ابن حيان، المقتبس. ق03. ص5.
[9] - ابن الأبار، الحلة السيراء. ج1. ص245.

عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر المستظهر بالله"[1] في السنوات الأخيرة من من عمر الدولة الأموية[2] .

ويجب التفريق بين "بني جهور البختيين"، وبين "بني جهور" الذين ينتمون إلى بيت "أبي عبدة"[3].

وقد كان بيت "آل شُهيد" من أهم البيوتات التي شغلت منصب الحجابة، ويعودون بنسبهم إلى "الوضاح الأشجعي" مولى "معاوية بن مروان بن الحكم"، وكان "الوضاح" مع "الضحاك بن قيس" في معركة "مرج راهط" وجدّهم الداخل إلى الأندلس هو "شُهيد بن عيسى"، الوافد إليها زمن "عبد الرحمن الداخل"[4].

وقد كان لـ "عبد الرحمن" ثقة كبيرة في " شُهيد "[5]، حتى إنّه استخلفه على على قصره حينما عزم على الخروج لإخماد ثورة "عبد الغفار اليحصبي" سنة (154هـ/771م) وكان له دور كبير في استتباب الأمر لـ "ابن معاوية" بالأندلس[6]، حيث أسندت له بعض المهام العسكرية، ومنها خروجه لقتال "وجيه

---

[1]- هو عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر، كنيته أبو المطرف، أمه اسمها"غاية" لقب بالمستظهر بويع في رمضان(414هـ/1023م)، وقُتل في ذي القعدة من نفس السنة. اشتهر بالذكاء والفطنة والأدب والورع. ابن عذاري، المصدر السابق. ج3، ص135؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص12؛ الحميري، المصدر السابق، ص27.

[2] - عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق. ص93؛ دوزي، المرجع السابق، ج2. ص213.

[3] - يميل فريق من المؤرخين المُحدثين إلى التمييز بين "بني جهور" أصحاب قرطبة وهم الذي ينتمي نسبهم إلى "أبي عبدة حسان بن مالك" وبين أسرة أخرى تسمى كذلك بـ"الجهاورة البختيين" نسبة إلى "جهور بن يوسف بن بخت" حاجب عبد الرحمن الداخل، في حين أن بعض المصادر العربية قد خلطت بين البيتين، فـ"ابن عذاري" يذكر في معرض حديثه عن دولة "بني جهور" في قرطبة أن مؤسسها هو "جهور بن محمد بن جهور بن عبد الملك بن جهور بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الغمر بن يحي بن عبد غافر بن يوسف بن بخت بن أبي عبدة"' وذكر أن الجد الأول لهذه الأسرة كان فارسي الأصل وأنه كان مولى لعبد الملك بن مروان وأن ابنه "يوسف بن بخت" دخل الأندلس قبل دخول عبد الرحمن بن معاوية بعدة سنين، وكان أحد كبار الموالي بقرطبة؛ وقد سار "ابن الخطيب" في نفس طريق "ابن عذاري" في نسبة أبي حزم جهور بن محمد بن جهور إلى عبد غافر بن يوسف بن بخت بن أبي عبدة" الذي كان لدخوله على حد وصفه أثر كبير في جمع كلمة الأموية.

[4] - ابن الأبار، الحلة السيراء، ج1، ص238.

[5] - المقري، المصدر السابق.ج3، ص45.

[6] - ابن الأبار، الحلة السيراء، ج1. ص ص236-237.

"وجيه الغساني (دحيه الغسـاني)"[1] بين سنتي (150هـ) و(160هـ)[2]، ثم أغزى تدمير[3] بصحبة "تمام بن علقمة" و"عبد الرحمن بن الحكم"، وهو ولي للعهد سنة (175هـ/ 792م)، وتصرّف بنوه بعده في مختلف الخطط من حجابة ووزارة والكتابة القيادة، إلى نهاية الدولة الأموية بالأندلس[4]، فقد عين الأمير "عبد الرحمن الأوسط" في منصب الحجابة "عيسى بن شهيد" سنة (218هـ/ 833م) مكان "سفيان بن عبد ربه"، واستمر فيها حتى وفاته سنة (243هـ/ 858م)، وكان قبلها قد ولاه خطة الخيل[5]، ثم استوزره[6]، وولاه النظر في المظالم، فلمـا استحجبه استخصَّه دون أصحابه، واشتهر بالحلم والوقار والحصافة والعلم والمعرفة والحزم والجزالة، ولأنّه كان من أعيان رجال الموالي في الدولة فقد أعاده الأمير "عبد الرحمن" إلى الحجابة بعد أن احتال "نصر" الفتى الخصي في صرفه عنها[7].

ومن أشهر رجال هذه الأسرة كذلك "أحمد بن عبد الملك بن عمر بن محمد بن عيس بن شهيد" وهو أول من لقب بـ "ذي الوزارتين" بالأندلس[8]، وقد اشتهر بالهدية التي قدمها لـ "عبد الرحمن الناصر" والتي أفاض المؤرخون في وصفهـا[9]. وتدلّ ضخامة هذه الهدية على مدى الغنى الذي وصلت إليه هذه الأسرة، والمال يعني عُلُـوَّ القيمة السياسية والاجتماعية.

---

[1] - ابن خلدون، العبر، ج4، ص149.
[2] - مؤلف مجهول، أخبار مجموعة. ص101 .
[3] - تدمير Todmir كورة بالأندلس تتصل بأحواز كورة جيان، وهي شرقي قرطبة، ولها معادن كثيرة ومعاقل ومدن وبساتين. ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج2، ص19.
[4] - ابن الأبار، الحلة السيراء، ج1. ص ص236-237.
[5] - ابن حيان، المقتبس. ق02. ص26.
[6] - ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس.ص89.
[7] - ابن حيان، المقتبس. ق02. ص27.
[8] - ابن الأبار، الحلة السيراء، ج1.ص238.
[9] - ابن خلدون، العبر، مج4. ص165.

كثيراً ما عين الأمراء حُجَّابا من غير الأسر المعروفة، فكان ذلك تتويجاً لمشوار سياسي طويل، وولاء تام للدولة، فكان الحصول على هذا المنصب نتيجة نباهة وكفاءة شخصيتين، فهذا الأمير "عبد الله بن محمد" يعزل حاجبا من أسرة كبيرة وهو "عبد الرحمن بن أمية بن شُـهيد"، ويولي مكانه "سعيد بن محمد بن السليم"[1]، لما كان قد أظهره من كفاءة وحزم عندمـا ولاه السوق ضبط أمر العامة رغم قصر المدة التي بلغت ثلاثين يوماً فقط، وكان قد اختبره قبل ذلك يوم أن كان بـ "شذونة"[2]، وهو لا يزال ولياً للعهد، وظهر منه صرامة أكسبته مهابة، حيث عاقب خادماً للأمير المطرف فاستحسن عبد الله ذلك، وقدمه لذلك على الوزارة ثم الحجابة[3].

ورغم الحضور القوي لسلطة "الناصر لدين الله" إلا أنّ تنافسا قويا حدث بين بعض الوزراء دولته، ويخفي هذا التنافس جانبا من الصراع الذي كان يحدث في الخفاء بين الأسر الكبرى من موالي بني أمية بقرطبة، ويبرز كذلك دور الخليفة القوي في كبح الصراعات بين أفراد حكومته.

وقد حرصت هذه البيوتات أن يبقى أمر الحجابة بينها وعدم خروجه عنها، واعتبرت ذلك حقاً مشروعاً، فوقفت بكل قوة أمام من يريد سلبها إياه، ولم يُدرك الحاجب "جعفر المُصحفي" هذه الحقيقة، فقد عمل على السيطرة على مناصب الدولة بعد تعيينه حاجباً، فعين أقاربـه عل رأس الخطط الهامة في الدولة[4]، مما جلب له عداء الأهم أسر قرطبة، وكان مما أعان ابن أبي عامر" على "جعفر المصحفي" ميل الوزراء إليه وإيثارهم له عليه، وسعيهم في

---

[1] - ابن عذاري، المصدر السابق. ج2، ص227.
[2] - شذونة Sidonia بفتح أوله وبعد الواو الساكنة نون مدينة بالأندلس تتصل نواحيها بنواحي موررور من أعمال الأندلس وهي منحرفة عن موررور إلى الغرب مائلة إلى القبلة. ياقوت الحموي، المصدر السابق. مج3، ص329.
[3] - ابن حيان، المقتبس. ق03. ص05 ؛ ابن القوطية، المصدر السابق. ص115.
[4] - سالم خلف، المرجع السابق. ج1، ص427.

ترقيه، وأخذهم بالعصبية فيه، فإنها وإنْ لم تكن حمية أعرابية، فقد كانت سلفية سلطانية، يقتفي القوم فيها آثار سلفهم، ويمنعون بها ابتذال شرفهم، فقد كان ذلك العداء لـ"المُصحفي" عداءً قديماً، فلما أحضى "المستنصر" "المصحفي" واصطنع وقدمه على غيره، حسدوه وذموه، وخصوه بالمطالبة، وكانت أشهر الأسر التي عادت "المُصحفي" وأعانت "ابن أبي عامر" عليه "آل أبي عبدة" وآل شُهيد" و"آل جهور" و"آل فطيس"[1]. ويصف "ابن عذاري" مكانة هذه الأسر قائلاً: «وكانوا في الوقت أزمَّة المُلك، وقوام الخدمة، ومصابيح الأمة»[2]. «فأحضوا "محمد بن أبي عامر" مشايعة و"المُصحفي" منازعةً، فرجحت كفَّة "ابن أبي عامر" بمُشايعة هذه الأُسر له، فأيقن "المُصحفي" بالهلاك وأيقن بالنكبة وزوال الرتبة»[3].

وخير ما يُعبرُ عن هذا الصراع ما قال "المُصحفي":

لا تأمن من الزمـان تقلُّباً إن الزمـان بأهله يتقلـب

ولقـد أراني والليوث تهابني وأخافني من بعد ذاك الثعلب

حسب الكريم مهانة ومذلـة ألا يـزال إلى لئيم يطلـب[4].

3 - التدرج الوظيفي: كُلِّف مُعظم حُجَّاب الدولة الأموية بمناصب عديدة قبل الوصول إلى هذا المنصب الرفيع، وأشهر مثال على هذا التدرج الوظيفي الذي يمكن أن يرتقي من خلاله المُوظف ليصل إلى أعلى المناصب في الدولة، ذلك الذي مرَّ به "محمد بن أبي عامر"، فهو من قبيلة "معارف" اليمنية، وكان جده "عبد الملك بن عامر المعارفي" من العرب القلائل الذين دخلوا، مع حملة

---

1 - ابن عذاري، المصدر السابق. ج2، ص405.
2 - ابن عذاري، المصدر السابق. ج2، ص405.
3 - المصدر نفسه، ص406.
4 - نفس المصدر والصفحة.

طارق الأولى فأقتطع له قطعة من الأرض بالجزيرة الخضراء[1]. قدم "ابن أبي عامر" إلى "قرطبة" شاباً لا يملك إلا همة كان يحدث بها نفسه لإدراك المعالي[2]، وفتح دكانا عند باب القصر يكتب فيه للخدم والمُرافعين للسلطان، وبقي على هذا الحال مدة حتى طلبت السيدة "صُبح" من يكتب عنها، فعرفها به من كان يأنس إليه بالجلوس من فتيان القصر، فجرَّبته واستحسنته[3]، ثم توسط له "جعفر المصحفي" القائم بدولة الحَكم عند القاضي "محمد بن إسحاق بن السليم"[4]، لكنّه سرعان ما سئم من تصرّفاته، وشكا ذلك لـ "المُصحفي"[5]، فلما طلب الخليفة "الحَكم" وكيلاً لولده "عبد الرحمن" الدَّارج في حياته، ذكر له "محمد بن أبي عامر" بخير، فأُختير من بين جماعة وُصفت لأم "عبد الرحمن" وذلك باختيار"جعفر" له، فلما مات "عبد الرحمن" صار وكيلا لأخيه الأصغر وولي العهد "هشام"، ثم عُيِّن لأمانة دار السكة والمواريث وقاضياً على إشبيلية ولبلـة، وفي سنة (361هـ/ 970م) عينه "الحَكم" على الشرطة الوسطى وأقره على المواريث، وبعث به إلى العدوة المغربية وجعله قاضي القضاة بالغرب من العدوة، وأمر عُمَّاله بأن لا ينفذوا شيئاً إلا بمشورته[6]، ثم ارتقى إلى الوزارة

[1] - ابن حزم، جمهرة أنساب العرب. ص419، 420. ابن بسام، المصدر السابق. ق4، مج1، ص56.
- الجزيرة الخضراء Algeciras مدينة مشهورة بالأندلس وقبالتها من البر بلاد البربر سبتة وأعمالها متصلة بأعمال شذونة وهي شرقي شذونة وقبلي قرطبة ومدينتها من أشرف المدن وأطيبها أرضا. ياقوت الحموي، المصدر السابق. مج2، ص136.
[2] - الحميري، جذوة المقتبس، ص69.
[3] - المقري، نفح الطيب، ج1. ص399.
[4] - كان "محمد بن اسحاق بن السليم أبو بكر" من الفقهاء المشهورين وله عند أهل بلاده جلالة مذكورة ومنزلة في العلم، ولد سنة302هـ/914م، ورحل إلى المشرق سنة 332هـ/943م، ولما عاد ولي أحكام المظالم ثم قاضي الجماعة سنة (356هـ/ 967م) بعد وفاة منذر بن سعيد. الحميري، جذوة المقتبس، ص39. ابن حيان، المقتبس. ق05. ص149.
[5] - دوزي، المرجع السابق، ج2. ص74.
[6] - المرجع نفسه، ص78.

الوزارة في أوائل خلافة "هشام المؤيد"[1]، ولبث فيها ستة أشهر وثلاثة أيام، وبعدها ترقى إلى الحجابة بعد عزل "المصحفي"[2].

والأمثلة على ارتقاء الموظفين إلى أعلى هرم الدولة المتمثل في منصب الحجابة كثيرة، فقد كّلف " الخليفة الناصر" "جعفر المصحفي" بالشرطة الوسطى، والنظر في العديد من الأعمال والكور، وعُيِّن على ولاية "ميورقة"[3] بعد توسُّط "الحَكم" عند أبيه فلمَّا أفضت الخلافة إليه قلَّده خطة الوزارة، وأمضاه على الكتابة الخاصة، ثم جمع له الكتابة العليا بالخاصة، ثم عين في منصب صاحب المدينة، ثم الحجابة[4].

والملاحظ في عملية ارتقاء الموظفين من منصب الوزير إلى منصب الحاجب أن كثيراً مـا يكون لصاحب المدينة بقرطبة النصيب الأوفر في ذلك[5]، فقد نقل الخليفة "عبد الرحمن الناصر" الوزير صاحب المدينة بقرطبة "موسى بن محمد بن حدير" إلى منصب الحجابة خلفا لمولاه "بدر بن أحمد" المتوفي سنة (309هـ/921م)[6]. وهذا الوزير صاحب المدينة بقرطبة المصحفي"، يشغل منصب الوزير القائم بشؤون الدولة أثناء العلة الطويلة للخليفة الحكم "المستنصر"، ثم يُعَيَّن حاجبا للخليفة "هشام المؤيد" سنة (366هـ/ 976م)[7].

ويرجع سبب ذلك إلى أهمية منصب صاحب المدينة واكتساب صاحبه لتجربة سياسية مهمة تخلقها طبيعة المنصب من خلال احتكاكه بالعامة.

1 - ابن الأبار،الحلة السيراء.ج1. ص258. ابن عذاري، المصدر السابق. ج2، ص378،371،363.
2 - النويري، المصدر السابق. ص121.
3 - ميورقة Mallorca جزيرة في شرقي الأندلس بالقرب منها جزيرة يقال لها منورقة، غربها جزيرة يابسة. الحميري، المصدر السابق. ص567. ياقوت الحموي، المصدر السابق. مج5، ص246. الحميري، المصدر السابق. ص567.
4 - ابن عذاري، المصدر السابق. ج2، ص379. ابن حيان، المقتبس، ق05. ص 22.
5 - البيلي، المرجع السابق. ص130
6 - ابن حيان، المقتبس . ق04. ص103، 173.
7 - ابن حيان، المقتبس. ق04. ص 22. ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص379.

ومنصب صاحب المدينة من الخطط الدينية التي تفرعت عن منصب القاضي زمن الأمير "عبد الرحمن الأوسط" حيث مَيَّزَ صاحب السوق عن صاحب المدينة[1]. وجعل الأُمويون لكل مدينة صاحب وهو المسؤول عن أمنها الداخلي، لكنّ الأقرب إلى الحَاكم هو صاحب المدينة بـ "قرطبة". وتتعدّد مهام صاحب المدينة، فزيادة على فرضه الأمن والأمان داخل المدينة فقد يكلف بحجابـة الخليفة أثناء الاحتفالات الرسمية وزيارات وفود الأجانب[2].

ورغم أنّ صاحب المدينة لا يأخذ لقب الوزير بل هو أقل مرتبة منه، فإنّه يمكن أن يجمع لشخص في الدولة بين اللقبين بعد تكليفه بمهام أخرى، وهذا ما حدث لـ "عبد الواحد بن يزيد الإسكندراني" حيث استخدمه الأمير "عبد الرحمن الأوسط" ونقله من منازل الخدمة حتى خوَّلـهُ المدينة، ثم رقاه إلى الوزارة والقيادة[3].

4 - وراثة منصب الحاجب: لقد توارثت الأسر الكبرى في الأندلس بطريقة غير مباشرة منصب الحجابة، بتداولها في أحيان كثيرة بين "آل مغيث" و"آل أبي عبدة" وآل حدير" وغيرهم. وعلى العكس من ذلك فقد توارث "آل المنصور بن أبي عامر" للحجابة توارثاً مباشراً، فقد حرص "محمد بن أبي عامر" على توريثها أبنائه من خلال ضغطه على الخليفة "هشام المُؤيد" الذي أصدر مرسوماً في هذا الشأن فرقَّاه ولقَّبه بـ "المنصور" وجرَّده من لقب الحجابة، ومنحها ابنه "عبد الملك" رغم حداثة سنِّه، كما عيَّن في منصب الوزارة ابنه الأصغر "عبد الرحمن شنجول"[4]، الذي سار على خُطا أبيه فبعد أن أجبر الخليفة "هشام المُؤيد" على تعيينه ولياً للعهد حرص على تعيين ابنه

---

[1] - ابن سعيد، المصدر السابق. ج1، ص46.
[2] - نفس المصدر. نفس الصفحة. ابن حيان، المقتبس، ق02. ص81.
[3] - ابن حيان، المقتبس، ق2. ص31.
[4] - ابن عذاري، المصدر السابق. ج2. ص 438.

"عبد العزيز" خطّة الحجابة مجموعة له بسيف الدولة لقب عمه "المظفر"، فرُسِّم هذا الطفل بالحجابة بقية مدة ولاية أبيه.

لقد كان لهذا الحادث رموز ودلالات كثيرة، فهو يُبرز مدى المُستوى الذي وصلت إليه الحجابة في تلك المرحلة من مراحل عمر الدولة الأندلسية، ويجعلنا نحكم أن مرحلة أفول الدولة الأموية قد بدأت فِعلياً، وبالفعل لقد أدخل الحاجب "عبد الرحمن بن أبي عامر" الدولة في متاهة، وأشعل فتنة كان نتيجتها مصرعه ثم سقوط الدولة الأموية في الأندلس، وذلك من خلال تلاعبه بأمور الدولة وعدم احترامه لحدود صلاحياته.

ويمكن أن يكون الوصول إلى هذا المنصب بالقرعة مثل ما حدث مع "سفيان بن عبد ربه"، فبعد شغور منصب الحاجب بوفاة "عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث" تنافس الوزراء على خُطة الحجابة فأخذت الأمير "عبد الرحمن الأوسط" ضَجْرَةٌ، وأقسم أن لا يُولي واحدا منهم، وأمر بالإقراع بين الخُزّان، فخرجت القرعة إلى "سفيان بن عبد ربه"[1]، وكان من بربر مصمودة[2]، لا قديم لأسلافه في هذا المنصب، وكانت هذه حالة فريدة في تاريخ الحجابة الأندلسية.

ويمكن القول إنّ طُرق تعيين الحُجّاب قد تنوعت، فلم تخضع عملية الاختيار لمعايير معينة مضبوطة، بل اختلفت من حالة إلى حالة ومن حاجب إلى آخر.

لقد كان تعيين الحُجّاب يتمُّ عن طريق إصدار الأمير لكتاب ينصُّ على ذلك، ويتّضح ذلك جلياً عند الحديث عن تزوير "نصر" الصقلبي لكتاب اِدّعى أنّ الأمير "عبد الرحمن الأوسط" قد كلّفه بتنفيذ مضمونه، وكان هذا الكتاب

---

1 - ابن القوطية، المصدر السابق. ص78.
2 - ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص500.

يحمل قرار عزل الحاجب "عيسى بن شهيد" وتعيين "عبد الرحمن بن رستم" بدلاً عنه[1]، وكان الكتاب الذي يُصدره الأمير يُخْتم بخاتم الدولة الرسمي ويُسلَّم بعد تنفيذه إلى مصلحة الخزانة العامة حيثُ يُسجَّلُ ذلك في سجلات خاصة، فتُضبط من خلالها رواتب الموظفين[2].

ورغم أنّ كُتب التاريخ الأندلسي تحدثت كثيراً عن تعيين الحُجَّاب فإنّها قلَّما تحدثت عن عزلهم، وحالة الوحيدة التي نجدها من خلال المصادر المُتوافرة هي عزل الأمير "عبد الله" لحاجبه "عبد الرحمن بن أمية بن شُهيد" وتوليَّة "سعيد بن محمد بن السليم" مكانه[3]. وكثيراً ما كان عزل الحاجب عن منصبه يتم آلياً بوفاة الأمير أو الخليفة أو عزله عن الخلافة مثلما تكرَّر حدوثهُ زمن الفتنة، فكان الحاجب يترك منصبه مع ذهاب من يحجبه.

2 – أنواع الحُجَّاب:

[1] - ابن حيان، المقتبس، ق2. ص67.
[2] - ليفي بروفنسال، المرجع السابق. ص207.
[3] - ابن حيان، المقتبس. ق03. ص53. ابن القوطية، المصدر السابق. ص115. ليفي بروفنسال، المرجع السابق، ص227.

يُركّز الباحثون عند الحديث عن الحجابة بالأندلس على نوع معين منها وهو "حجابة الحاكم عن الخاصة"[1]، فرغم أنّ "حجابة الحاكم عن العامة" كانت امتداداً للحجابة بالمشرق، وكانت سباقةً للظهور بالأندلس، وأن "حجابة الحاكم في الاحتفالات الرسمية والأعياد" تمثل صورة واضحة لتلك المراسيم التي اقترنت بفخامة الخلافة الأموية بالأندلس، فقد كان اهتمام الباحثين بهذين النوعين أقل بالمقارنة مع اهتمامهم بالنوع الأول. والإشكالية المطروحة: كيف مورس كل نموذج؟ وما هي المراحل التاريخية التي انحصر فيها؟ ولماذا اقتصرت الدراسات التاريخية على الحديث عن النموذجين الأولين دون آخرين؟

سنحاول في هذا المبحث تحديد مميزات ومراحل كل النوع من الأنواع المذكورة سابقاً:

أ- حجابة الحـاكم عن العامة:

يحدّد "ابن خلدون" مفهوم الحجابة في هذه الفترة بالأندلس بأنّها "لمن يحجب السلطان عن العامة والخاصة، ويكون واسطة بينه وبين الوزراء"[2].

ونحن نتساءل إذا كانت الحجابة بهذا المفهوم، ولم يكن هناك منصب الوزير في المرحلة الأولى للدولة الأموية كما يذكر "المقري"[3]، فما وظيفة الحاجب في هذه الحالة ؟

أوضحنا في بداية الفصل الأول أنّ "عبد الرحمن الداخل" قد وضع الحجابة على طريقة أجداده في المشرق، أي حجبه عن العامة وتنظيم الدخول عليه، فقد كان حُجَّابه ممن يتوسطون بينه وبين الرعية، وليسوا ممن يتوسطون بينه وبين الوزراء[4]، وهم بهذا ينتمون إلى النوع الثاني من الحُجَّاب هذا النوع

[1] - البيلي، المرجع السابق، ص119.
[2] - ابن خلدون، المقدمة. ص426.
[3] - المقري، المصدر السابق. ج3، ص45.
[4] - البيلي، المرجع السابق. ص120.

الذي ظهر مع قيام الدولة الأموية بدمشق سنة 40هـ/660م، وبالتالي فالتعريف الذي ذكرناه ليس له علاقة بمرحلة حكم "عبد الرحمن الداخل".

إنّ عدم اهتمام المصادر التاريخية بالتفصيل عند الحديث عن نظام الإدارة في بداية عصر الإمارة، وخاصة في عهد الداخل، واكتفائها ببعض الإشارات البسيطة، يجعل الصورة غامضة أمامنا حين نريد الحديث عن تقاليد الحجابة في هذه الفترة.

وكل ما نجده في كتب تاريخ الأندلس معلومات متناثرة، ومجموعة من الأسماء لحُجَّاب "عبد الرحمن بن معاوية"، ويرجع الفضل الكبير لصاحبي "أخبار مجموعة" و"نفح الطيب" في إزالة بعض الغموض، فقد ذكر الأول المجهودات الكبيرة التي قام بها "تمام بن علقمة" وتكفله بتوزيع المال على البربر من أجل السماح للأمير بالسفر إلى الأندلس، ثم تعامله بحزم مع من أراد منهم اعتراض المركب المُقِل له[1]، ثم تحدّث عن جهود "أبي الحجاج يوسف بن بخت" الحاجب الثاني للأمير في جمع كلمة الأمويين[2]، وعقده البيعة لـ "الداخل" في قرية "طُرَّش"[3].

أما "المقري" فيذكر في معرض حديثه عن نظام الإدارة حُجَّاب "عبد الرحمن الداخل"؛ وهم على الترتيب "تمام بن علقمة"، و"يوسف بن بخت"، و"عبد الرحمن بن مغيث بن الحارث"، ثم "عبد الكريم بن مهران بن الحارث بن أبي شمر الغساني"[4].

---

[1] - مؤلف مجهول، أخبار مجموعة. ص72.
[2] - نفسه. ص72.
[3] - طُرَّش Torrox بضم أوله وتشديد ثانيه وضمه أيضا وآخره شين معجمة ناحية بشرق الأندلس تعرف بحصنها تشتمل على قرى. ياقوت الحموي، المصدر السابق. ج4، ص29.
[4] - المقري، المصدر السابق. ج3، ص 45.

ومثّل تَعْيين "عبد الرحمن الداخل" لـ "منصور الخصي"[1] نقطة فاصلة في سياسته، وقد كان هذا الحدث مقترناً بتخلصه من كل معاونيه القدامى، الذين أعزوا الدولة في بدايتها بما فيهم "بدر" مولاه و"أبو عثمان" صهره وأول من قام بضيافته عند نزوله بالأندلس وغيرهما كثيرون[2].

لقد سنَّ "الداخل" سُنَّةً سار عليها الكثير من أحفاده فقد كلَّف الكثير من الفتية الصقالبة بمهام غير رسمية شبيهة بوظيفة الحاجب، وتختلف عنها فقط في الاسم، ورغم أنّ هؤلاء الفتية لم يُسموا بعد ذلك باسم الحاجب، فقد مارسوا نفس مهامه، وقد عُهدت لهم مهمة تنظيم أمور القصر، ووُجدهم كان بموازاة مع وجود الحُجَّاب الرسميين المعروفين.

ومن أشهر هؤلاء الصقالبة "نصر الخصي" الذي يظهره "ابن حيان" بأنّه رجل القصر القوي، وخليفة الأمير "عبد الرحمن الأوسط" الغالب على أمره المُقدَّم على جميع خاصته، المُدبر لأمر داره، المشارك لأكابر وُزرائه في تصريف مُلكه، وقد اشتمل على قصره ومن فيه، وشرك في تدبير سلطانه[3].

ويشير "ابن حيان" صراحة إلى حجب "نصر" لـ "الأمير عبد الرحمن الأوسط" عندما اعتل علته الطويلة، حيث اتّخذ قرارات خطيرة دون علم سيِّده، ومنها صرفه لـ "عيسى بن شُهيد" عن منصب الحجابة، وتعيين "عبد الرحمن بن رستم" مكانه[4]، وهذا يدل دلالة واضحة على أمرين:

الأول: ازدواجية الحجابة في هذه الفترة، فالنوع الأول يمثله الفتى "نصر"، رغم أنّ المؤرِّخين لا يسمونه بالحاجب صراحة، بل يصفونه بكل الأوصاف الدالة على ذلك، ورغم أنّ "نصر" حجب الأمير على "عيسى بن

[1] - نفس المصدر والصفحة.
[2] - المقري، المصدر السابق. ج3، ص44.
[3] - ابن حيان، المقتبس. ق2. ص 149.
[4] - المصدر نفسه. ص166.

شهيد" حاجبه الرسمي، وإلا كيف تمكّن من الاحتيال في صرف الحاجب وتعويضه بآخر؟ أما النوع الثاني فيمثله "عيسى بن شهيد" المُقدَّم على باقي وزراء الدولة والمسؤول عن أعمالهم أمام الأمير.

الثاني: قوة الحجابة التي يمثلها "نصر" وشدّة تأثيرها، بالمقارنة مع الحجابة التي يمثلها "عيسى بن شُهيد"، نظراً لقربه من الأمير، وملازمته الدائمة له، مما يزيد من إمكانية التأثير عليه، بكسب عطف سيدة القصر الأولى السيدة "طروب"[1]. وهذا ما نلاحظه جلياً عند قراءة قول "ابن حيان": «كان "نصر" الخصي قد غلب على قلب مولاه الأمير "عبد الرحمن بن الحَكم" واستظهر على حراسة مكانه لديه بانقطاعه إلى حضيته "طروب" أُمُّ الأمير "عبد الله" واستوى له بذلك أمره، وأصبح مُلك "عبد الرحمن" في يده، يُدَبِّر كيف يشاء، فلا يُرَدُّ أمره»[2].

ويدلُّ استخلاف الأمير لـ "نصر" بـ "سعدون"[3] دلالة واضحة على ضرورة وجود مثل هذا المنصب داخل القصر، فقد كان لـ "سعدون" دور مُهم في استتباب الأمر لولي العهد "محمد" وعقد البيعة له بعد إبلاغه بوفاة أبيه الأمير "عبد الرحمن"[4].

وقد كانت السيطرة على هذا النوع من الحجابة في فترة حكم "عبد الرحمن الناصر" من نصيب العرب، وقد استأثر بها بعد ذلك الفتيان الصقالبة، فقد اقتفى "عبد الرحمن الناصر" أثر سياسة جدّه "الداخل" في الاستراب من القبائل العربية ذات البأس والعصبية، وفي إقصاء زُعمائها من مناصب النفوذ والثقة.

---

[1] - طروب من جواري الأمير عبد الرحمن بن الحكم وهي أم ابنه عبد الله والغالبة عليه وإليها ينسب المسجد بصدر الربض الغربي ولها فيه آثار سواه ؛ ابن الأبار، أبو عبيد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي ، التكملة لكتاب الصلة. تحقيق: عبد السلام الهراس. بيروت: دار الفكر، 1995، ج4، ص242.

[2] - ابن حيان، المقتبس. ق02. ص149.

[3] - نفس المصدر، ص159.

[4] - ابن القوطية، المصدر السابق. ص93.

واستأثر بكل سلطة حقيقية في الدولة، وجمع مقاليد الحُكم كلُّها في يده، فلم يُبْـق سلطة فعلية لحاجب أو وزير[1]، وأحاط نفسه بـ(3750) من الصقالبة في مدينة الزهراء، فكان منهم الخدم والحرس[2]، وكانت هذه ظاهرة عصر الخلافة إذْ استعان "الناصر" ثم "المستنصر" بعدد هائل من الصقالبة لحراسة القصر الملكي بالزهراء، وكان هؤلاء الصقالبة تحت الإشراف المباشر للخليفة، حيث كان يُعَيَّنُ أحدهم لوظيفة "كبير الفتيان" وهو رئيسهم[3]، وقد بلغ عدد الصقالبة الذين تحت إشراف الفتيين "جوذر" و"فائق" (500) في نهاية عهد "المستنصر"[4].

ويُبرز لنا "المقري" الدور المهم للفتيان الصقالبة عند الحديث عن استقبال رسول ملك "القسطنطينية"[5] حيث قال: «ولقيهم بعض القوَّاد، فاستبان لهم بخروج الفتيان إليهم بسط "الناصر" وإكرامه؛ لأنّ الفتيان حينئذ هم عظماء الدولة، لأنّهم أصحاب الخلوة مع "الناصر" وحرمه وبيدهم القصر السلطاني»[6]. وكثيراً ما دخل هؤلاء الصقالبة في تنافس مع الطاقم الحكومي الرسمي وصل إلى حد محاولة التأثير في ولاية العهد، وتوجيه الحكم حيث يشاؤون.

وهذا يقودنا إلى الحديث عن الفَتَيَانِ "فـائق" و"جـوذر"«فقد كانا المُقَرَّبَيْن إلى الخليفة "الحكم المستنصر" القائمَيْن بخاصة أمره المستأثرين بحجابة

[1] - عنان، المرجع السابق. ع1، ق2. ص450.
[2] - ابن عذاري، المصدر السابق، ج02، ص 346.
[3] - البيلي، المرجع السابق .ص125.
[4] - ابن عذاري، المصدر السابق. ج2، ص391.
[5] - قسطنطينية هي دار ملك الروم، واسمها إسطنبول بينها وبين بلاد المسلمين البحر المالح، عمرها ملك من ملوك الروم يقال له "قسطنطين" فسميت باسمه، والحكايات عن عظمها وحسنها كثيرة، ولها خليج من البحر يطوف بها من وجهين مما يلي الشرق والشمال، وجانباها الغربي والجنوبي في البر، وذكر أن لها أبوابا كثيرة نحو مائة باب منها باب الذهب وهو حديد مموه بالذهب. ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج4، ص347.
[6] - المقري، المصدر السابق، ج1، ص366.

القصر»[1]، إلى درجة أنّهما استطاعا إخفاء خبر وفاة الخليفة مدّة كافية للتخطيط لتنصيب "المغيرة بن عبد الرحمن الناصر" خليفةً بدل "هشام بن الحَكم"، وقد حاولا فرض الأمر على الحاجب "جعفر المصحفي"، فقال جوذر لفائق: «"ينبغي أن نحضر "جعفر بن عثمان" الحاجب ونضرب عنقه، وبذلك يتم أمرنا"»[2]. فردَّ "فائق": «سبحان الله يا أخي تشير بقتل حاجب مولانا وشيخ من شيوخنا دون ذنب، ولعله لا يخالفنا فيما نريد»[3]. فأرسلا في طلبه وقد قرّرا أنّه لن يخرج من عندهما إلا وهو مقتنع برأيهما أو يُحمل مقتولاً، لكنّ الحاجب فطن للأمر وتظاهر بقبوله، فلمَّا خرج من القصر اتّفق مع معاونيه على قتل "المغيرة"، وحصار الصقالبة في القصر وتم إجلاؤهم عنه[4].

ويدل أمر إخفاء أمر وفاة الخليفة "الحكم المستنصر" دلالة واضحة على مدى تحكم الفتية الصقالبة بزعامة "فائق" و"جوذر" في أمور القصر وسيطرتهم عليه، إلى درجة محاولة تغيير ولاية العهد، رغم أنّ الخليفة "الحَكم المستنصر" كان قد أخذ البيعة لابنه في حياته.

لقد استمر وجود النوع الأوّل الخاص بـ "حجابة الحاكم عن العامة" جنباً إلى جنب مع وجود النوع الثاني الخاص بـ "حجابة الحاكم عن العامة والخاصة"، فعاشت الدولة الأموية بالأندلس ازدواجية الحجابة، وتقاسم النوعان الأدوار داخل القصر وخارجه مع ظهور تنافس متباين الحِدَّة تراوح بين الشديد والخفيف، وذلك حسب قوة الحاكم أو ضعفه.

ب- حجابة الحاكم عن الخاصة:

---

[1] - ابن الخطيب، المصدر السابق. ج2. ص60.
[2] - ابن عذارى، المصدر السابق. ج2 . ص 387.
[3] - المصدر نفسه، ص388.
[4] - ابن عذارى، المصدر السابق. ج2. ص392، 393.

لقد كانت البداية الحقيقية لهذا النوع من الحجابة مع ظهور الوزارة وتعدّدها، وانفراد كل وزير بمهمة خاصة، ويحدّد "المقري" مكانة الحاجب بين الوزراء قائلاً: «أما قاعدة الوزراء بالأندلس، فإنّها كانت في مدّة بني أمية مشتركة في جماعة يُعَيِّنُهُمْ صاحب الدولة للإعانة والمشاورة، ويختار منهم شخصاً لمكان النائب، فيسميه بالحاجب»[1].

وكما أشرنا عند حديثنا عن تطور الحجابة فإنّ الوزارة لم تظهر في الأندلس إلا في عهد "عبد الرحمن الأوسط" مما يرجِّح فرضية ظهور هذا النوع من الحجابة مقترنة مع ظهور الوزارة.

وينسب "ابن الأبار" إلى هذا الأمير الفضل في إنشاء نظام حكومي متكامل مما زاد من الارتقاء بالدولة إلى مصاف الدول العُظمى في ذلك العصر، فوضع هيكلاً إدارياً اعتمد على نظام تعدّد الوزراء والذي يعتبر الحاجب رأسه المُدبّر، حيث يقول: «عبد الرحمن الأوسط هو الذي استكمل فخامة الملك بالأندلس، وكسا الخلافة أبهة وجلالة، وظهر في أيامه الوزراء والقواد وأهل الكور»[2].

ويرجع "عبد الواحد المراكشي" بداية الاحتجاب إلى عهد "عبد الرحمن بن الحكم"، ويدل ذلك دلالة واضحة على بداية هذا نوع جديد من الحجابة في عصره، فقد نسب له هذا المُؤرخ «ترتيب رسوم المملكة، والاحتجاب عن العامة»[3].

والأمر المؤكّد أنّ الاحتجاب كان معروفاً عند أسلافه، لكنّه في عهده أخذ معنى جديداً، وذلك ما جعل أكثر المؤرّخين ينسب إليه إنشاءه وابتكاره.

[1] - المقري، المصدر السابق، ج1، ص216.
[2] - ابن الأبار، الحلة السيراء. ج1، ص 113، 114.
[3] - عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق. ص48.

وبهذا ظهر نوع جديد من الحجابة يختلف كل الاختلاف عن ذلك الذي ساد في المشرق وفي بداية عصر الإمارة في الأندلس حتى نهاية إمارة "الحكم الربضي"، حيث صارت مهمة الحاجب زيادة على تنظيم الدخول على الأمير التكفل برئاسة الوزراء، وتولي مهام عسكرية وإدارية جنباً إلى جنب مع موظفيه.

وما زاد من وضوح طريقة عمل الحاجب هو تأسيس مجلس للوزراء يشرف من خلاله على مختلف أمور الدولة، ويقدم تقاريره للأمير بعد أن يلتقي بالوزراء ويسمع منهم[1]. ويسمي "ابن خلدون" هذا النوع من الحِجَاب بالنوع الثاني، ويأتي نتيجة استفحال المُلك، «فيقيم الحاكم على بابه حِجاباً يفصله عن العامة والخاصة»[2].

ويؤكد "ليفي بروفنسال" أنّ مهمة هذا النوع من الحُجَّاب في الأندلس خاصة بعد (206هـ/ 822م) هي نفسها مهمة الوزير في الدولة العباسية بالمشرق، لأنّ كليهما يتحمّل مسؤولية تسيير شؤون الحُكم بدلاً عن العاهل (الأمير أو الخليفة) بحيث يُشرف مباشرة على الإدارة المركزية والعسكرية، كما يلتقي الحاجب بـ "العاهل" من أجل تقديم تقرير يومي[3]، وبالفعل ترتبط بوظيفة الحاجب كل الاختصاصات التي كانت للوزير في المشرق، ويصبح الحاجب ثاني شخصية في الدولة بعد الأمير مثلما كان الوزير ثاني شخصية في الدولة بعد الخليفة في الدولة العباسية[4].

والجدير بالذكر هو تكليف الحُكَّام الأمويون لبعض صنائعهم بالقيام بمهمة تدبير شؤون الدولة أثناء تجميد منصب الحجابة في بعض مراحل تطور الدولة،

---

[1]- Lévi provencal, Histoire de l`Espagne Musulmane.Tome3. P18.

[2] - ابن خلدون، المقدمة. ص515.

[3] - Ibid, P19.

[4]- حسين مؤنس، موسوعة تاريخ الأندلس. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية. ط1، 1996. ص81.

و منصب المُدبر لشؤون الدولة منصب شبيه بالنوع الثاني من الحجابة، فهو مجرّد وزير لكنّه مُقدم على بقية الوزراء، وأبرز من شغل هذا المنصب هو "هاشم بن عبد العزيز"، وقد اشتمل على الأمير "محمد بن عبد الرحمن" اشتمالاً كبيراً[1]، فقد تجاوز منزلة الاستحسان إلى حال العلاقة، فكان لا يعدل به أحداً من قريب ولا حميم، ولا خاصة ولا بطانة، وذلك كان رأيه فيه قبل أن يصير السلطان[2]، ويصف لنا "الخشني" مكانة "هاشم" عند الأمير "محمد"قائلاً: «وذلك أن "هاشم بن عبد العزيز" كان محله من الأمير محلاً لطيفاً، فكان الناهض بأعباء الخلافة، والمتصرف في وجوه النظر، والمستولي على أسباب التدبير، لا تنفذ العقود إلا به، ولا يحكم الأمير إلا على يده، وكان لا يجد معارضا»[3]؛ وقد اتّخذ الأمير "عبد الله" مثل ذلك فقد استغنى عن الحاجب وكلّف مولاه "بدر بن أحمد" بمهمة تدبير مختلف شؤون الدولة[4].

كما شغل الوزير صاحب المدينة "جعفر المُصحفي" هذه المهمة عندما اعتلَّ الخليفة "الحَكم المُستنصر" علته الطويلة التي تُوفي على إثرها، وقد سبب تشابه صلاحيات هذا الوزير مع الحاجب التباسا عند المؤرخين، فاختلفوا في حقيقة منصب "المُصحفي" في آخر خلافة "الحَكم المُستنصر"، بين من يقول بأنه كان الحاجب، وبين من يقول أنه كان وزيراً فقط.

وقد يجمع من يتولى هذا النوع من الحجابة خططاً أخرى إلى خطته، فالحاجب "بدر بن أحمد" حاجب الخليفة "عبد الرحمن الناصر" كان يتولى مع الحجابة خطة الوزارة والخيل والبرد، بالإضافة إلى قيادته للجيوش[5]. وقد سبقه

---

1 - ابن سعيد، المصدر السابق. ج1، ص52.
2 - ابن حيان، المقتبس. ق2، ص159.
3 - الخشني، المصدر السابق. ص189.
4 - ابن حيان، المقتبس. ق03. ص04. ابن عذاري، المصدر السابق. ج2، ص227.
5 - ابن حيان، الحلة السيراء. ج1، ص253. سالم خلف، المرجع السابق. ج1، ص416.

الحاجب "عبد الكريم بن عبد الواحد بن المغيث" فتولّى الكتابة والحجابة وقيادة الجيش واستمر على هذا الحال معظم خلافة "هشام الرضا" وبداية عهد ابنه "عبد الرحمن"، وهذا ما يبرز عظم المسؤولية التي أنيطت بهذا النوع من الحُجَّاب، وقدرتهم على تحملها[1].

لقد صار منصب الحاجب في آخر أيام الدولة الأموية بالأندلس أكثر تأثيراً، فقد مارس "المنصور محمد بن أبي عامر" وابناه "عبد الملك المظفر" و"عبد الرحمن شنجول" الحَجْرَ على الخليفة "هشام"، فقد مُنع من ملاقاة العامة والخاصة على حد سواء؛ وحتى خروجه من القصر كان يتم في مراسيم معينة يطبعها التشدد، حتى إنّه لم يكن ينفذ له أمر في داره ولا على حرمه إلا بإذنه، وجعل متولي قصره من قبله من يثق به، وصيَّره عيناً على السلطان لا يخفى عليه شيء من حركاته وأخباره، وأشاع المنصور أن الخليفة منشغل بالعبادة[2].

وتسمية عهدهم بـ "الدولة العامرية" دليل على قوة تلك الأسرة إلا أنّ ذلك كان حالة استثنائية، بسبب حداثة عمر الخليفة أولا وتحكم أمه "صبح" بزمام الأمور.

لكن المتتبّع لسيرة "المنصور بن أبي عامر" يطـرح مجموعة من الأسئلة ومنها: مـا الغـاية التي كان يطمح إليهـا "ابن أبي عامر"؟ وهل اكتفى بما استطاع أن يحققه باستئثاره بالسلطة الفعلية؟

لقد تصرف "ابن أبي عامر" بذكاء كبير منذ كان في الوزارة فقد استعان بسلطة السيدة "صبح" على ابنها الأمير فأزاح بذلك الحاجب السابق "جعفر بن عثمان المصحفي" من طريقه.

[1] - ابن حيان، الحلة السيراء. ج1، ص136 . سالم خلف، المرجع السابق. ج1، ص416.
[2] - ابن عذاري، المرجع السابق، ج2. ص415.

وعمل أثناء ذلك على إقصاء وإخضاع رجال الدولة الحكمية، محتجاً أنّ في بقائهم كثرة الخلاف وإيثارٌ للفتن[1]. لقد اعتمدت الدولة الأموية منذ قيامها على أسر مساندة حصرت على جعل الخطط في أبنائها، فعاشت قوية متماسكة، وصمدت أمام الهزّات. هذه السياسة حاربها "المنصور بن أبي عامر"، فأخمل ذكر تلك الأسر، واختار أسوأ الرجال وأقلهم كفاءة، فجعل الخطط في أيديهم، لذا فقد عاشت الدولة من بعده فراغاً سياسياً كبيراً، أدّى إلى انهيارها بسرعة بعد وفاته[2].

لم تخفَ على "ابن أبي عامر" الأهمية التي يلعبها الفقهاء في الدولة لذلك عمل على كسب وُدِّهم، فأمر بحرق وإتلاف كتب الفلسفة والفلك بمكتبة "الحَكم المستنصر" الشهيرة[3]، وكان مع كل ذلك يحرص على كسب عطف العامة من خلال تنظيم حملات عسكرية متكرّرة نحو الممالك المسيحية في الشمال[4].

لقد سما "محمد بن أبي عامر" بنفسه إلى مرتبة الخلفاء فتسمى بـ "المنصور"، وحذف لقب الحاجب السابق لاسمه من المراسلات الرسمية[5]، وكتتويج لذلك ورَّث ابنه "عبد الملك" منصب الحجابة من خلال إصداره لمرسوم بذلك[6].

ولم يقنع "محمد بن أبي عامر" بكل هذا، «بل جعل اسمه يضرب على السكة مثله مثل الخلفاء، وأمر بالدعاء له على المنابر استفاءا لرسوم المُلك»[7].

---

[1] - ابن بلقين عبد الله ، كتاب التبيان، تحقيق: أمين توفيق الطيبي. منشورات عكاظ. الرباط 1995، ص 34.

[2] - سالم خلف، المرجع السابق. ج2، ص932.

[3] - عبد الله بن بلقين، المصدر السابق، ص30.

[4] - ذكر "عبد الواحد المراكشي" في كتابه "المُعجب في تلخيص أخبار المغرب" أن "ابن حيان" أحصى في كتابه "المآثر العامرية" غزوات المنصور بن أبي عامر التي بلغت نيفاً وخمسين غزوة فاستقصاها كلها بأوقاتها وذكر آثاره فيها. عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص60. وذكر "العذري" في كتابه "ترصيع الأخبار" 18غزوة تحت عنوان :"ذكر بعض غزوات المنصور بن أبي عامر إلى بلاد الروم". العذري، أحمد بن عمر بن أنس، نصوص عن الأندلس من "كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك على جميع الممالك". تحقيق: عبد العزيز الأهواني. مدريد: معهد الدراسات الإسلامية. 1965. ص210.

[5] - ابن عذاري، المصدر السابق. ج2. ص417.

[6] - نفس المصدر. ص 438.

[7] - نفســه. ج2. ص417.

لقد فاق غرور "المنصور بن أبي عامر" كل حَدٍّ، فقد وقف يوماً على ما في المخازن من أطعمة فوجد فيها أكثر من مائتي ألف مدي، فلحقه العجب بذلك حتى قال: «أنا أكثر طعاماً من يوسف صاحب الخزائن!» [1]، وكأنّ الله أراد أن يعاقبه على تلك الكلمة، فقد اعْتَوَرَتْه السنون الشداد المتوالية من (سنة 378هـ/988م) فنفذت الأطعمة باتّصال الإنفاق وعدم الإغلال، حتى شارف على المجاعة، وهمَّ بالجواز إلى العدوة لخصبها يومئذٍ، حتى أغاث الله بلاد الأندلس، وأخرج أرزاقها، وجعل بعد ذلك لا يستكثر شيئاً من الأطعمة[2].

وتتويجاً لكل ذلك جمع "المنصور بن أبي عامر" ذات يومٍ قوما من خواصه للمشورة في أمر شغله طويلا بل عاش له طول حياته، وفيهم الوزراء "ابن عياش" و"ابن فطيس"[3]، و"ابن حزم"[4]، والفقهاء "محمد بن يبقى بن زرب"[5]، و"أبو عمر بن المكوي"[6] و"الأصيلي"[7]، وكان موضوع المَشُورَةِ أنّ أنّ المنصور أراد أن يتسمى بالخلافة، فكان موقف الحاضرين متبايناً، فأما "ابن عياش" و"ابن فطيس" فقد صوَّبَا ذلك له. أما"ابن حزم" فقال: «أخاف من هذا تحريك ساكن»؛ أما الأصيلي فقال: «يا مولاي عربي ضابط خير من

---

[1] - ابن الخطيب، المصدر السابق. ج2، ص98.
[2] - ابن الخطيب، المصدر السابق. ج2، ص98.
[3] - أبو المطرف عبد الرحمن بن محمد ابن فطيس كان من جهابذة المحدثين، تولى القضاء سنة (394هـ-1004م) هو من أعظم وزراء السلطان، تولى المظالم والشرطة زمن الدولة العامرية اتصف بالصرامة المخلوطة بالتسرع. ابن سعيد، المُغرب في حلى المغرب. ج1. ص216. ابن بشكوال أبي القاسم خلف، كتاب الصلة. ضبط : صلاح الدين الهواري. بيروت: المكتبة العصرية. ص255، ترجمة رقم685.
[4] - أبو حزم جهور بن محمد بن جهور بن عبيد الله ابن محمد ابن الغمر بن يحي بن الغافر ابن أبي عبدة، كان ذا بأس وشجاعة وعلم، أحسن ترتيب الجند، فكان يلجأ إليه كل خائف ومخلوع عن ملكه، توفي سنة (430هـ/1039م). ابن سعيد، المصدر السابق، ج1. ص56. ابن الأبار،الحلة السيراء. ج1. ص245.
[5] - محمد بن يبقى بن زرب قاضي الجماعة بقرطبة، كان فقيهاً فاضلاً له كتاب في الفقه سماه "الخصال"، ولي القضاء وبقي فيه 14 سنة لحسن سيرته. ابن سعيد، المصدر السابق.ج1. ص214، ص89.
[6] - أبو عمر أحمد بن عبد الملك الاشبيلي المعروف بابن المكوي مولى بني أمية، كان شيخ الفقهاء في بالأندلس في عصره توفي أول انبعاث الفتنة البربرية سنة (401هـ/1012م). الحميري، المصدر السابق. ص117. ابن بشكوال، ص35. ترجمة رقم 38.
[7] - عبد الله بن ابراهيم بن محمد الأصيلي أبو محمد، تفقه بقرطبة، منذ صباه ورحل إلى المشرق، ولاه المنصور قضاء سرقسطة، ثم عاد إلى قرطبة وأصبح رأسا في الشورى توفي (392هـ/1002م). الحميدي، المصدر السابق. ص225. ترجمة رقم 542.

قرشي مضيع». أما ابن زرب فسأل: «وصاحب الأمر ما شأنه؟» فقال المنصور: «لا يصلح لهذا»، فقال: «يُنظر في قريش»، فأعرض عنه غاضباً، وسأل: "ابن المكوي" فجعل يضحك ويقول: «يا مولاي ومثلك يفكر في هذا وأنت الكل، وكل شيء بيدك، وإنما يرغب في الأسماء من لا يُحَقِّقُ!» فسكت "ابن أبي عامر". فلما أرادوا الانصراف قال: «أخرجوا بين يدي الفقيه». ويقصد ابن زرب، فعظم ذلك على ابن زرب[1]. ومعنى كلمة "المنصور" الأخيرة أنّه سيقلع عن فكرة تحويل الخلافة لنفسه، وسيعمل برأي ناصحه.

وقد شكا الخليفة "هشام المُؤيد" لبعض مقربيه قائلاً:

أليس من العجائب أن مثلي يرى ما قلَّ ممتنعاً عليه

وتُملك الدنيا جميعاً وما من ذاك شي في يديه![2]

ولابدّ أنّ "ابن أبي عامر" تصوَّر خطورة ما يطمح له من خلال آراء مستشاريه الذين هوَّلوا له حجم الخطأ الذي يمكن أن يقع فيه، الأمر الذي لم يتوقع عواقبه ابنه "عبد الرحمن شنجول" الذي فرض على الخليفة "هشام المؤيد" تنازلاً للخلافة من خلال إصدار كتابٍ يَنُصُّ على منحه إياه ولاية العهد وذلك في شهر ربيع الأول سنة (399هـ/ (نوفمبر 1009م) بيَّن فيه الخليفة أن اختياره لولي العهد كان من لصالح الأمة فهو يخشى أن يوافيه الأجل دون أن يترك للأمة من تأوي إليه، وأن اختياره لـ "عبد الرحمن شنجول" كان أمراً طبيعياً لعدم وجود من هو أكفأ منه، بالإضافة إلى أنه يرى فيه القحطاني الذي سوف يسوق الناس بعصاه، وفي نهاية الخطاب تعهد "هشام المؤيد" بأنّه لن يغيِّر نيته أبدا[3].

---

[1] - رسائل ابن حزم. ص86 .

[2] - ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص418.

[3] - ابن الخطيب، المصدر السابق ، ج2، ص 91. ابن عذاري، المصدر السابق. ج3،ص 38. النويري، المصدر السابق، ص126.

أثار طول غياب الخليفة عن أعين الناس شوقاً في النفوس لرؤيته، فعمل المنصور على استغلال هذه النقطة لصالحه، فأبرز للناس في أحد أيام الجمع من سنة (387هـ/997م) فصلى بجامع قرطبة، ولم يكن لهشام عَهدٌ بشهود صلاة الجمعة –بسبب الحجر المفروض عليه من المنصور- وبعد الصلاة توجه الجميع إلى الزاهرة وهناك جُدِّدت البيعة للخليفة "هشام المُؤيد"، وبالمُقابل تبرأ الخليفة من المُلك لبني عامر وولى المنصور الإشراف التام على شؤون الدولة[1].

ولم يختلف الحاجب "عبد الملك" عن أبيه "المنصور" في الاعتناء بأبهة الملك ومظاهر الفخامة، فقد أقام حفلاً سنة (393هـ/1003م) بعد حملته على برشلونة وما حولها من ديار النصارى، إذ أنّه بعد عودته إلى قرطبة مظفراً غانماً، وصل إليه رسول من صاحب برشلونة، فأعد "عبد الملك لوروده أكمل العدة من ترتيب الجنود، فكان يوم دخول ذلك الرسول بقرطبة آخر أيام الزينة، إذ انتقض الملك على أثره سريعاً ووقعت الفتنة.

رغم أنّ "المنصور بن أبي عامر" وابنيه بدؤوا بكونهم حجاباً للخليفة "هشام المؤيّد" إلا أنّهم تصرّفوا بعد ذلك بكونهم الحُكام الحقيقيين، فقد اتّخذوا الألقاب مثلهم مثل الخلفاء، وعينوا لأنفسهم حجاباً؛ فهذا "المنصور بن أبي عامر" يتَّخِذ "كوثر" الفتى حاجباً فيفضي له بالكثير من أسراره[2]، وفوَّض ابنه "عبد الملك المظفر" فتاه "طرفة" الصقلبي أمر حجابته، وقد علا شأنه في الدولة وكان مولاه يؤثره ويزيد حضوته إلى أن غطى على جميع وزرائه،

---

[1] - ابن بسام، المصدر السابق. ق4، م1، ص73.

[2] - يذكر ابن الخطيب كوثر الفتى ضمن كبار الفتيان الصقالبة العامريين الذين كانوا في خدمة "المنصور بن أبي عامر" وولده "عبد الملك". ابن كردبوس أبو مروان عبد الملك التوزري، تاريخ الأندلس (الإكتفاء في تاريخ الخلفاء) مدريد: المعهد المصري للدراسات الإسلامية. مج13، سنة 56-1966، ص65.

واستبدَّ بأمر تدبير الحُكم، واشتدَّ أمر "طَـرَفَـة" بعد العلّة الطويلة لـ "عبد الملك المظفر"، وهابه الجند وطلبوا موافقته ورضاه"[1].

وكان من بين ضحايا الفتى "طرفـة" رجل اسمه "عيسى بن سعيد"[2]، وزير دولة "المظفر"، ومُدبِّر شؤونها قبل استئثار هذا الفتى الصقلبي بأمر الحكم[3].

لقد وصل منصب الحاجب زمن الدولة العامرية إلى أوج قوته وتحكمه في مختلف شؤون الدولة، فقد تجاوز الحُجَّاب سلطة الخليفة، وتمَّ الحجر عليه، وأصبحت له المكانة رمزية في نفوس الرعية، فحاول "المنصور" وابنه "عبد الملك" الحفاظ عليها، لكن ابنه الأصغر "عبد الرحمن" لم يحسن تقدير الأمور فوقع في المَحْضُور، وورَّط نفسه والأندلس في فتنة كان نتيجتها سقوط الدولة الأموية.

جـ- حجابة الحاكم في الاحتفالات الرسمية والمناسبات والأعياد:

وصلت الدولة الأموية في عهد الخلافة إلى مستوى من القوة والعظمة فاق ما كانت عليه باقي الدُول المعاصرة لها، ونتيجة لذلك سعى حُكام هذه الدول لكسب ودِّها وصداقتها، «وبعثوا الوفود إلى قرطبة طالبين العون ومُلتمسين الصداقة ومقدمين الطاعة والولاء»[4]. حيث يقول المقري: «كان مُلك الناصر بالأندلس في غاية الضَّخامة ورفعة الشأن، وهادنته الروم، وازدلفت إليه تطلب مهادنته ومتاحفته بعظيم الذخائر، ولم تبق أمة سمعت به من ملوك الروم

---

[1] - ابن عذارى، المصدر السابق. ج3، ص ص24،25.

[2] - أبي الأصبـغ عيسى بن سعيد اليحصبي كان وزير المنصور بن أبي عامر ولاه الإشراف على المملكة عند غيابه، فعرف له عبد الملك حقه فأمضاه على خاصته وعامته؛ ابن عذاري، المصدر السابق. ج3. ص 24. ابن بسام، المصدر السابق. ص123.

[3] - ابن عذارى، المصدر السابق. ج3، ص26.

[4] - الحجي عبد الرحمن علي، التاريخ الأندلسي (من الفتح حتى سقوط غرناطة)، دمشق، بيروت: دار القلم، المنارة. ط3، 1407هـ/ 1987م، ص302.

والإفرنجة والمجوس وسائر الأمم إلا وفدت عليه خاضعة راغبة، وانصرفت عنه راضية»[1].

وقد دعت ضرورة ازدحام القصر الخليفي بالوفود، إلى تكليف أهم رجال الدولة مؤقتاً واستثناءاً بمهمة حجب الخليفة أثناء دخول الزوار والمُهنئين. خاصة إذا كان الخليفة قد جمَّد منصب الحاجب خلال هذه الفترة.

وكانت هذه المجالسُ تتطلّب ترتيباً خاصاً، فقد وصفه "ابن خلدون" حين يتحدث عن استقبال وفد القسطنطينية قائلاً: «وزُيِّن القصر الخلافي بأنواع الزينة وأصناف السُتور، وجُمِّلَ السرير الخلافي بمقاعد الأبناء والإخوة والأعمام والقرابة، ورتَّب الوزراء و أهل الخدمة في مواقفهم، ودخل الرُّسل فهالهم ما رأوا وقربوا حتى أدَّوا رسالتهم»[2].

وتختلف الأمور عندما تتعلّق بحجابة الخليفة " عبد الرحمن الناصر" أثناء استقبال الوفود بعد سنة (320هـ/932م) أي بعد وفاة الحاجب "موسى بن حدير"[3]، وكذلك بعد وفاة "جعفر بن عبد الرحمن"[4] الحاجب في عهد "الحَكم المستنصر"، فقد عرف موكب الاستقبال ترتيبا جديداً.

ويتحدّث "المقري" عن إحدى صور هذا الاستقبال قائلاً: «ورحل الناصر لدين الله من قصر "الزهراء" إلى قصر "قرطبة" لدخول وفود الروم عليه، فقعد لهم يوم السبت لإحدى عشر ليلة خلت من ربيع الأول من سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة في بهو المجلس الزاهر قعوداً حسناً نبيلاً، وقعد عن يمينه ولي العهد من بنيه "الحَكم" ثم "عبيد الله" ثم "عبد العزيز أبو الأصبغ" ثم

---

[1] - المقري، المصدر السابق، ج1، ص366.
[2] - ابن خلدون، العبر. ج4، ص171.
[3] - ابن الأبار، الحلة السيراء. ج2، ص233. ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص313.
[4] - يُجهل تاريخ وفاة الحاجب"جعفر بن عبد الرحمن الصقلبي" لأن المصادر التاريخية تخلو من ذكر تاريخ محدد لذلك.

"مروان"، وقعد عن يُسْراه "المنذر" ثم "عبد الجبار"، ثم "سليمان"، وحضر الوُزراء على مراتبهم يميناً وشمالاً، ووقف الحُجَّاب من أهل الخدمة من أبناء الوزراء والموالي والوكلاء وغيرهم، فوصل رُسل ملك الروم حائرين ممَّا رأوه من بهجة المُلك، وفخامة السلطان، ودفعوا كتاب ملكهم صاحب القسطنطينية»[1]. ويبدو أنّ الناصر كان يفضل استقبال وفود الدول الأجنبية بقصر "قرطبة" بدل "الزهراء"، وكان يُقدِّم لحجابته ولي عهده "الحَكَم"، ثم باقي أبنائه، رغم أنّه كان قد أمرهم في وقت سابق بالخروج من قصر الخلافة، والإقامة وسط مدينة "قرطبة"[2]، وكان موقع الوزراء وأهل الخدمة موزعاً على جانبي المجلس على التوازي يميناً وشمالاً.

أما في خلافة "الحَكم المُستنصر" فقد اختلف موكب الاستقبال عمَّا كان عليه زمن أبيه، ويصف "ابن حيان" هيئة جلوس هذا الخليفة وحجابته قائلاً: «فلمَّا كان شهر رمضان من سنة (360هـ/971م) قعد الخليفة الحكم على السرير قعوداً فخماً كامل الترتيب كأفخم ما جرت به العادة، وقعد الوزراء على مراتبهم، وحجبه منهم عن ذات اليمين الوزير القائد "غالب بن عبد الرحمن"، وتحته الوزير صاحب الحشم "قاسم بن محمد بن طملس"، ومن ذات اليسار الوزير صاحب المدينة بقرطبة "جعفر بن عثمان" وتحته صاحب المدينة بالزهراء "محمد بن أفلح"، فتقدم الرُسل وبين أيديهم هدية "بريل بن شنير"[3] حاكم برشلونة[4] إلى "الحكم المستنصر"»[5].

---

[1] - المقري، المصدر السابق، ج1، ص367.
[2] - كل ما يخص أسماء وأخبار أبناء الناصر، ثم خروجهم من قصر الخلافة، أنظر: ابن حيان، المقتبس، ق04، ص ص14-20.
[3] - بريلBorrel بن شنيرSunier حاكم إمارة برشلونة بين عامي (343هـ/954م) و(382هـ/992م). ابن حيان، المقتبس، ق05، ص20، هامش1. ابن كردبوس أبو مروان عبد الملك التوزري، تاريخ الأندلس (الإكتفاء في تاريخ الخلفاء) مدريد: المعهد المصري للدراسات الإسلامية. سنة 56-1966. مج13. ص64.
[4] - برشلونة Barcelona مدينة على البحر، بينها وبين طركونة خمسون ميلاً، لها ربض وعليها سور منيع. الحميري، المصدر السابق. ص86، 87.
[5] - ابن سعيد، المصدر السابق. ج1، ص46.

ويتَّضح جلياً الاختلاف الموجود بين حجابة الخليفة "الناصر" وحجابة "الحَكم" أثناء استقبال الوفود الأجنبية، فقد أعطى الأول الأولوية لأبنائه في الحجابة، ووزَّع الوزراء على جانبيه، أما الثاني فقد قدَّم الوزراء على غيرهم، فقد حجبه الوزير "غالب بن عبد الرحمن" قائد الجيش على يمينه، وحجبه الوزير "جعفر بن عثمان المُصحفي" أهم رجل في الدولة على يساره.

أما إذا تعدّد وصول الوفود الأجنبية إلى قرطبة فيُقَدَّمُ سفراء الدول الإسلامية على غيرهم، ويُقَدَّمُ كذلك سُفراء الدول التي كان للأمويين مصلحة معهم قبل الدول التي تبتغي فقط المودة.

«وفي يوم الثلاثاء لثمان بقين من ذي الحجة من سنة (362هـ/973م) قعد أمير المؤمنين على السرير بقصر "الزهراء" قعوداً فخماً حافلاً تام الترتيب حسن التهذيب لرسل وفود اكتملوا ببابه شهده الوزراء وحجبه الحُجَّاب، وقُدِّم المسلمون في الإذن على غيرهم من رسل النصارى فكان أول من توصل منهم رسل "أبي العافية"[1]، ثم باقي رسل العدوة، ثم أُذن بعدهم لرسل ملوك العجم فتوصل رسل بنبلونة، ثم باقي رسل النصارى»[2].

أما في الاحتفالات الرسمية بعيدي الفطر والأضحى فقد اختلف الأمر، «ففي سنة (360هـ/971م) قعد الخليفة الحكم "المستنصر بالله"، بعد انقضاء صلاة عيد الفطر، لتسليم الجند عليه، في محراب المجلس الشرقي، في مدينة "الزهراء"، قعوداً فخماً شهده طبقات الناس فكان صدر المجلس الإخوة وجنباته الوزراء، وموسطته أهل المراتب من طبقات أهل الخدمة، وسائره لوجود

[1] - كان موسى بن أبي العافية صاحب بلاد تازا، وكبير مكناسة بالمغرب الأقصى على الإطلاق وكان قد خدم مصالة بن حبوس حين قدم المغرب وتعرف إليه وهاداه وقاتل معه في جميع حروبه بالمغرب فحسنت منزلته لديه وولاه بلاد المغرب كلها عدى فاس. الناصري أبو العباس أحمد بن خالد، كتاب الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى. تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، الدار البيضاء: دار الكتاب. ط1، 1997. ج1، ص238. ابن أبي الزرع، المصدر السابق، ص ص100-105.

[2] - ابن حيان، المقتبس، ق05. ص138.

الموالي وبياض رجال "قرطبة"؛ فقعد الإخوة عن ذات اليمين على الترتيب التالي: الشقيق "أبو الأصبغ عبد العزيز" وتحته "أبو المطرف" وعن ذات اليسار الأصبغ "أبو القاسم"، وقعد الوزراء بعدهم في الجهتين بعد فرجتين على حد جري العادة؛ وحجب الخليفة يومه عن يمينه الوزير صاحب المدينة بقرطبة "جعفر بن عثمان" وتحته صاحب المدينة بالزهراء "محمد بن الأفلج" مولاه، وعن يساره الوزير صاحب الحشم "محمد بن قاسم بن طملس"، وتحته صاحب الخيل "زياد بن أفلح"، وتلاهم أصحاب الشرطة العليا والوسطى، وسائر طبقات أهل الخدمة على منازلهم»[1].

وفي سنة (361هـ/972م) «قعد الخليفة المستنصر للتهنئة بمناسبة عيد الفطر على العادة فوق السرير في المجلس الشرقي في السطح العلي، وقامت المراتب والتهيئات والتعبئات في نهاية التمام وجودة النظام، وشهد الإخوة المجلس، وقعد منهم عن ذات اليمين كبيرهم أبو الأصبغ، وقعد عن اليسار "أبو القاسم الأصبغ"، وقعد الوزراء بأثرهم بعد فرجة، وحجب الخليفة عن يمينه صاحب المدينة بقرطبة "جعفر بن عثمان المُصحفي" وتحته الوزير صاحب الشرطة العليا "محمد بن سعد" وتحته صاحب الشرطة الوسطى "محمد بن أبي عامر"، فانتظم الصفّان بعدهم من طبقات أهل الخدمة على مراتبهم»[2].

وكان الفاصل بين الإخوة والوزراء فرجة تميز بين مرتبة الإخوة ومرتبة الوزراء، ويُلاحظ الاختلاف الموجود بين مراسيم استقبال الوفود والسفارات الأجنبية ومراسيم الاحتفال بالأعياد في عهد "الحَكم المستنصر"، فقد كان الإخوة في مرتبة أعلى من مرتبة الوزراء؛ وحجب الخليفة كالعادة عن يمينه "جعفر بن عثمان المصحفي" أهم رجل في الدولة أنذاك.

[1]- ابن حيان، المقتبس، ق05. ص ص28-30.
[2] - المصدر نفسه، ص81.

وفي عيد الأضحى من نفس السنة قعد الخليفة "المستنصر بالله" على سرير للتهنئة على العادة، وقعد على مراتبهم المهنئون على مراتبهم، فبعد قعود الإخوة ذات اليمين وذات اليسار، قعد الوزراء على مراتبهم، وحجبه عن ذات اليمين صاحب المدينة بقرطبة "جعفر بن عثمان"، وتحته صاحب الشرطة العليا " محمد بن سعد"، وحجبه عن ذات اليسار صاحب مدينة بالزهراء "محمد بن أفلح" وتحته صاحب الخيل "زياد بن أفلح"، وتقدَّمت طبقات أهل الخدمة على مراتبهم بحسب منازلهم للتهنئة، ووصل صفيهم المرسومين بمدِّهما، من أكابر الفتيان الصقالبة ومن دونهم من طبقاتهم من الجند ما بين ممرات القصر وأفنيته إلى باب السدة، ثم اطَّرد الإذن بالوصول إلى من حضر من أفناء الناس، فتقدمت في أوائلهم رجالات قريش ثم الموالي ثم الحكام وقضاة الكور، ثم الفقهاء وأهل الشورى، وغيرهم والعدول ثم صنوف الحشود والوفود، وظل الخطباء والشعراء خلال ذلك يرتجلون وينشدون»[1].

وفي عيد الفطر من سنة (362هـ/973م) قعد أمير المؤمنين على سرير الملك وأذن للناس فتوصل أولهم الإخوة وقضوا حقَّ التسليم والتهنئة، ثم قعدوا عن ذات اليمين وعن ذات اليسار ثم قعد الوزراء بعد التسليم على مراتبهم بأثر الإخوة، ووقف على جانبي السرير من اليمين وعن ذات اليسار الفتيان الصقالبة، وكان الحاجب عن ذات اليمين الوزير الكاتب صاحب المدينة بقرطبة "جعفر بن عثمان"، وتحته صاحب الشرطة العليا والحشم، ثم صاحب الشرطة الوسطى والمواريث قاضي "إشبيلية"، والحجاب عن ذات اليسار صاحب الخيل والحشم "زياد بن الأفلح"، وحجبه بعد فرجة طبقات أهل الخدمة على مراتبهم، فلمَّا استقرت هذه المراتب بالقوم، وانتهت حدود كمالها أذن لطبقات قريش

[1] - ابن حيان، المقتبس، ق05. ص93، 94.

الأقرب فالأقرب، فتقدّموا للسلام ثم توصل الموالي، ثم حكام وقضاة الكور، وأهل الشورى وطبقات العلماء والعدول وبياض أهل قرطبة، ثم قبائل البربر من أهل العدوة، ثم طبقات أهل الجند على مراتبهم من الأحرار، والعبيد، فكان يوماً حافل الجمع رفيع القدر جداً»[1].

ويتّضح من خلال النص الأخير ترتيب الدخول على الخليفة للتهنئة فقد كان الإذن أولا للإخوة ثم الوزراء فسائر طبقات أهل الخدمة، فيجلسون إلى جانب الخليفة في تقليد معروف، ثم تدخل قريش على طبقاتها، فالموالي وولاة وقضاة الكور، فالعلماء « ويجلسون في مكان مخصص لهم خارج المجلس الخليفي»[2]، ثم بياض أهل قرطبة، ثم أهل العدوة من البربر، وأخيراً يدخل الجند للتسليم على الخليفة على مراتبهم.

ويبدو أن حجابة الخليفة "الحكم المستنصر" عن يمينه يعتبر شرفاً، فقد كان يتولاه دائماً أهم رجل في الدولة، وهو القائد "غالب بن عبد الرحمن"، وينوب عنه إذا غاب الوزير صاحب المدينة "جعفر بن عثمان المصحفي"، أما حجابته عن ذات اليسار فيتولاها ثاني رجل في الدولة، فقد جلس الخليفة لاستقبال وفود زعماء العدوة الخاضعين، فحجبه عن ذات اليمين الوزير القائد "غالب بن عبد الرحمن" وتحته "زياد بن أفلح" صاحب الحشم، وعن ذات اليسار الوزير الكاتب صاحب المدينة "جعفر بن عثمان المصحفي" وتحته صاحب المدينة بالزهراء "محمد بن أفلح"[3].

[1] - نفس المصدر، ص119.
[2] - ابن حيان، المقتبس، ق05، ص120.
[3] - المصدر نفسه. ص198.

3 - ألقاب الحُجَّاب :

كان اتخاذ الألقاب سمة لذلك العصر سواء عند الخلفاء أو الوزراء، ورغم ذلك لم يتخذ الخلفاء الأمويون في دمشق أي لقب[1]، يقول ابن خلدون: «وتجافى بنو أمية في المشرق عن ذلك من الغضاضة والسذاجة، لأن العروبيَّة ومنازعها لم تفارقهم حينئذٍ، ولم يتحوَّل عنهم شعار البداوة إلى شعار الحضارة»[2]. وقد ظهرت الألقاب في الدولة الإسلامية في العصر العباسي، رغم أن الخلفاء العباسيين الأوائل لم يخصُّوا رجال خدمتهم بألقاب معينة في بداية ظهور الدولة[3]، ولم يكن من عادة الوزراء اتّخاذ الألقاب في بداية ظهور الدول، «وكان أول لقب اتخذ في الدولة العباسية لـ"خالد بن برمك" وهو "السلطان" وتلقب أبناؤه به كذلك»[4]، «وقد أسرف الخلفاء العباسيون في اتّخاذ الألقاب، وساعد ذلك سوء الأحوال وفساد الأمور ومحاولة الخليفة إرضاء كبار رجال الدولة»[5].

أما في الأندلس فقد كان الحال شبيهاً بالمشرق فلم يتلقَّب الأمراء الأمويون طول عصر الإمارة بأي لقب يدلُّ على الفخامة؛ بل اكتفوا بلقب الإمارة دون

[1] - القلقشندي، صبح الأعشى. ج5، ص447. ابن خلدون، المقدمـة. ص 403.
[2] - نفس المصدر، ص 403.
[3] - القلقشندي، المصدر السابق. ج5، ص 448.
[4] - المصدر نفسـه، ج5، ص420.
[5] - محمد حمدي المنياوي، الوزارة والوزراء في العهد الفاطمي. القاهرة: دار المعارف، د.ت، ص 28.

الخلافة، وظل الحال على ما هو عليه إلى أن جاء "عبد الرحمن الثالث" الذي تلقب بـ " أمير المؤمنين" "الناصر لدين الله" وتسمى بالخلافة سنة (316هـ/928م)، وأصبحت بعده عادة ومذهباً حتى غالى الأندلسيون في ذلك، وأحسن تعبير عن هذا ما قاله "ابن شرف":

ممـا يُزَهِّدُني في أرْضِ أنْـدَلُسٍ أسمَـاء مُعْتَمِدٌ فِيـهَا ومُعْتَضِـدٌ

ألقـابُ مملَكَةٍ في غَير مَوْضِعِهَا كَالهِرِّ يحْكِي انْتِفَاخًا صُورَةَ الأسَدِ[1].

وقد كان "أحمد بن عبد الملك بن شهيد" أول الوزير اتّخذ لقباً في الدولة الأمويـة بالأندلس حيث أطلق عليه "عبد الرحمن الناصر" لقب ذي الوزارتين" واصطفاه من بين وزراء دولته، ورفع مرتبته على سائر المراتب[2]، ويدعوه "المقري" بحاجب الخليفة "الناصر"[3] ولا ندري إن كان الأمر من قبيل الالتباس أم هو اعتراف بقيمة "ابن شهيد" العالية في الدولة، فقد كان عظيم المنزلة وكان من أهل الأدب البارع، وصار الوزير الذي ينوب عن الملك يعرف بـ "ذي الوزارتين"، وأكثر مـا يكون فضلاً في علم الأدب، وقد لا يكون كذلك، بل عالما بأمور الملك خاص[4].

ويختلف لقب ذو الوزارتين بين المشرق و الأندلس، «ففي الدولة العباسية كان مقصود بهذا اللقب أن صاحبه قد جمع بين السلطتين المدنية والعسكرية، وبِلُغَةِ ذلك العصر: صاحب السيف و صاحب القلم، وقد يجمعان بذي الوزارتين أو ذي الرياستين»[5].

[1] - القلقشندي، المصدر السابق. ج5، ص 405.
[2] - ابن حيان، المقتبس. ق04. ص448.
[3] - المقري، المصدر السابق، ج1. ص380.
[4] - نفس المصدر. ص216.
[5] - محمد الصادق عفيفي، المجتمع الإسلامي وأصول الحكم، الظهران: دار الاعتصام. دت، ص 331.

وكان هذا اللقب مكافأة على الهدية العظيمة التي قدَّمها "ابن شُهيد" لـ"الناصر" سنة(327هـ/938م)، وقد أفاض مؤرخو الأندلس في وصفها، ويذكر المقري « أن الناصر استحجب "موسى بن محمد بن حدير" واستوزر "عبد الملك بن جهور" و"أحمد بن عبد الملك بن شهيد" وأهدى له "ابن شهيد" هديته المشهورة المتعدّدة الأصناف وهي هدية عظيمة الشأن اشتهر ذكرها واتفق على أنه لم يُهَادَ أحد ملوك الأندلس بمثلها، وقد أعجبت الناصر وأهل مملكته جميعا، وكتب معها رسالة حسنة بالاعتراف لـ "الناصر" بالنعمة والشكر عليها استحسنها الناس وكتبوها وزاد "الناصر" وزيره هذا حظوة واختصاصا وأسمى منزلته على سائر الوزراء جميعا وأضعف له رزق الوزارة وبلغه ثمانين ألف دينار أندلسية وبلغ مصروفه إلى ألف دينار وثنى له العظمة لتثنيته له الرزق فسماه "ذا الوزارتين" لذلك وكان أول من تسمى لذلك بالأندلس وأمر بتصدير فراشه في بيت الوزارة»[1].

وقد تلقب الحاجب "محمد بن أبي عامر" في أول عهده كذلك بـ "ذي الوزارتين" بعد خروجه الثالث للغزو أول عهد الخليفة "هشام المؤيد" سنة (367هـ/978م).

وأصدر "الحكم المُستنصر" مرسومه سنة (361هـ/972م) بتلقيب "غالب بن عبد الرحمن" بـ "القائد" تشريفاً له وتنويهاً بخدماته للدولة، وجاء في هذا المرسوم ما يلي: «ورأيُنا أن نُوَقِّع اسم القيادة العُليا على "غالب" مولانا لغنائه وجميل مقامه، فلا يُخاطب من الآن إلا به تشريفاً له، إن شاء الله، والله المُستعان»[2]. وأصبح أعظم رجال الدولة الأموية وقيادة الجيش، ثم عُيِّن

[1] - المقري المصدر السابق، ج1، ص356.
[2] - ابن حيان، المقتبس. ق05. ص67.

صاحب "مدينة سالم"، وقُلّد سيفين مذهبين من ذخائر سيوف الخليفة، وسُمي "ذو السيفين" عرفاناً بخدماته[1].

ولما تربَّع "محمد المنصور بن أبي عامر" على الحُكم وقضى على منافسيه وخلا الجو له تلقب بألقاب الخلفاء، فسمَّى نفسه "المنصور" سنة (371هـ/981م) ودُعي له على المنابر، استفاء لرسوم الملك، فكانت الكتب تنفذ عنه: «من الحـاجب "المنصور" "أبي عامر محمد بن أبي عامر" إلى فلان»، وأخذ الوزراء بتقبيل يده، ثم تابعهم على ذلك وجوه بني أمية، فكان من يدخل عليه من الوزراء و غيرهم يقبّلون يده وينحنون له عند كلامه ومخاطبته، فتساوى بذلك مع الخليفة في هذه المراتب، فلم يُبق فرقاً بينه وبين الخليفة إلا في الاسم وحده[2].

ويبدو أنّ "المنصور بن أبي عامر" كان واسع الطموح إلى حدِّ الطمع في طمعه في الخلافة، فقد حذف لقب الحاجب من مراسلاته الرسمية وتعاملاته الإدارية تمهيداً لاستيلائه التام على السلطة، ففي سنة (381هـ/ 991م)، اقتصر على التسمية بـ"المنصور"، وأن يكتب: «من المنصور أبي عامر وفّقه الله إلى فلان»؛ ورشَّح "المنصور" ولده "عبد الملك" للحجابة من بعده، وقدَّم أخاه "عبد الرحمن" للوزارة[3]، وبذلك ضمن استمرار الحكم بين أبنائه.

لكن "ابن أبي عامر" أحسَّ بمعارضة البعض للإجراءات التي كان يقوم بها فأحجم عن سلب الخلافة من الأمويين، ولم يثنه ذلك عن اتّخاذ ألقاب الدالة على العظمة والمُلك، فقد «تلقب بـ "السيد" سنة (386هـ/996م) فنفذت الكتب

---

[1] - عنان، المرجع نفسه. ع1، ق2. ص512.
[2] - ابن عذاري، المصدر السابق. ج2. ص417؛ ابن كردبوس، المصدر السابق. ص63.
[3] - ابن عذاري، المصدر السابق. ج2. ص 438.

بذلك، وجرى العمل عليها بقية حياته وخوطب هذا الوقت بالملك الكريم، واستبلغ في تكريمه وتعظيمه»[1].

وقد توارث أبناء "المنصور" الحجابة والحجر على الخليفة "هشام المؤيد"، واتّخذوا بدورهم الألقاب، فكان "عبد الملك بن أبي عامر" أول من اجتمع له لقبان بالأندلس وهما "المظفر سيف الدولة"[2]، وسلك هذا المسلك من جاء بعده من ملوك الطوائف[3]، وحدث في عهد هذا الحاجب ما يدل على تهافت العامريين على اتّخاذ الألقاب وعلى الضعف الشديد الذي عرفته الخلافة أمام الحجابة، فقد استطاع "عبد الملك" أن ينتزع من "هشام المؤيد" مرسوماً يلقب فيه ابنه الصغير بلقب "ذي الوزارتين"[4].

ولما توفي "عبد الملك" تقلّد أخوه "عبد الرحمن" الحجابة، وتلقى البيعة بذلك كأنه خليفة، ثم تلقب بـ "الناصر" ثم بـ "المأمون" فكان يُدعى بـ "الحاجب الأعلى المأمون ناصر الدولة"[5]، ولما مضى شهر ونصف تصنع للخليفة "هشام المؤيد" وطلب منه أن يوليه عهده من بعده وأن يتسمى بـ"ولي عهد المسلمين"[6]، وكان من علامات قرب زوال الدولة تولية "عبد الرحمن" ابنه "عبد العزيز" خطة الحجابة مجموعة له بـ "سيف الدولة" لقب عمّه "المُظفر" فرسم هذا الطفل بالحجابة بقية مدة أبيه[7]؛ وهكذا عجَّل سوء تصرف الحُجَّاب بانهيار الدولة فلم تبق إلا الألقاب.

---

1 - المصدر نفسه. ج2. ص417.
2 - لسان الدين بن الخطيب، المصدر السابق. ج2، ص88.
3 - ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص17.
4 - ابن الخطيب، المصدر السابق. ج2، ص88.
5 - ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص38.
6 - نفس المصدر والصفحة.
7 - ابن الخطيب، المصدر السابق، ج2، ص94.

4 – مهـام الحاجـب:

تحدَّدت صلاحيات الحاجب ومهامه بالأندلس من خلال ممارساته اليومية، التي فرضتها الأحداث السياسية، وضبطتها المستجدات والأعراف والتقاليد النابعة من طبيعة نظام الحُكم الأموي، فلم تكن مهام رجال الإدارة مضبوطة

بتعاليم مكتوبة، أو ميثاق معروف، إنّما توارثت الأجيال مجموعة من الرسوم فالتزم بها مجموعة من الحُكام أحياناً وتجاوزها آخرون في أحيان أخرى؛ ويمكن القول إنّه نظراً للأهمية التي لعبها منصب الحاجب في تسيير الإدارة الأموية في الأندلس فقد كُلّف بمهام ومسؤوليات كان الالتزام بها حسب المرحلة، آخذين بعين الاعتبار قوة الحاكم في فرض النظام، أو ضعفه على حماية نفسه من الطامعين؛ لهذا يمكن تحديد مهام الحاجب في النقاط التالية:

1 – الإشراف على عمل الوزراء والوساطة بينهم وبين الأمير أو الخليفة: يُعطي "ابن خلدون" للحجابة بالأندلس تعريفًا مغايراً عمَّا رأيناه في بداية البحث، فيقول" «إنّها لمن يحجب السلطان عن الخاصة والعامة، ويكون واسطة بينه وبين الوزراء»[1]. وهي بذلك تختلف عن المشرق في حجب الأمير عن الخاصة، زيادة على حجبه عن العامة، ونعني بالخاصة الوزراء، وهم المُدبرون لمختلف شؤون الدولة، ويزيد "المقري" على ذلك ويجعل الحاجب نائباً عن الأمير في الإشراف على قيام الوزراء بمهامهم[2]، وبذلك يتفق "ابن خلدون" و"المقري" على اختلاف الحجابة بالأندلس عمَّا كانت عليه في المشرق.

لقد تميَّزت الإدارة الأموية بظهور التخصص عند الوزراء، فقد قسّموا خطة الوزارة أصنافاً[3]، وتَطلّب هذا التخصص ضرورة المراقبة والتنسيق بين الوزراء، فظهر دور الحاجب، للقيام بوظيفة الإشراف والوساطة بين الأمير أو الخليفة والوزراء. وقد ساعد ظهور منصب الحجابة على تفرغ الحاكم إلى

---

[1] - ابن خلدون، المقدمة. ص426.
[2] - المقري، المصدر السابق. ج1، ص216.
[3] - ابن خلدون، المقدمة. ص424.

الأمور العِظام، وترفعه عن الصغائر[1]، مع حسن متابعة مدى قيام الوزراء بمهامهم.

ورغم أنّ وساطة الحاجب بين الحاكم (الأمير أو الخليفة) والوزراء، كانت شيئا محورياً في النظام الإداري والسياسي للدولة إلا أنّ كيفية هذه الوساطة اختلفت من فترة إلى أخرى، وتطورت مع الوقت، فقد كان الحاجب في عهد "عبد الرحمن الأوسط" (206هـ/822م) يجلس أمام الأمير منفردا حيناً، أو برفقة الوزراء أحياناً، فيعرض عليه القضايا والمهام المختلفة. وفي هذا الشأن يصور لنا "ابن حيان" هيئة جلوس الأمير مع الحاجب وباقي الوزراء قائلاً: "لما خرج الأمير من عزلته المرضية التي طالته، حيث قعد لأهل خططه[2]، ولم يكن يعلم ما حدث من أمر صرف "نصر الخصي" لـ"عيسى بن شُهيد" عن الحجابة، وتعيين الحاجب "عبد الرحمن بن رستم" مكانه، فدخل عليه الوزراء، وفي عرضهم "عيسى بن شُهيد"، فتقدَّم "عبد الرحمن بن رستم" جماعتهم في التَّسليم على الأمير، ثم قعد في مرتبة تعلو مرتبة "ابن شهيد"، فاستنكر الأمير ذلك، فلما استقر بهم المجلس قال لـ "عيسى" يخاطبه في قضية من القضايا: «ما شأن كذا؟» فردَّ: «لست بالحاجب، وهذا هو الحاجب»[3]. يُقدم "ابن حيان" صورة تفصيلية واضحة عن كيفية دخول وفد الوزراء على الأمير، ونيابة الحاجب لهم في التسليم عليه، ثم مرتبة جلوسه التي تكون أعلى من مراتبهم، ثم تكفُّلـه بالإجابة عن أسئلة الحاكم، وشرح الأمور بالنيابة عنهم.

---

[1] - ابن خلدون، المقدمة. ص424.

[2] - أخرج نصر الخصي مولى عبد الرحمن وحاجبه في عزلته المرضية كتاباً مزوَّراً ادعى أنه من عند الأمير يقضي بعزل عيسى بن شهيد عن الحجابة وتعيين عبد الرحمن بن رستم مكانه. ابن حيان، المقتبس. ق02. ص167.

[3] - ابن حيان، المقتبس. ق02. ص166.

ويبرز لنا استنكار الأمير لسلوك "ابن رستم" في التقدم على "ابن شهيد" مدى تشبثه باحترام تقاليد الدولة، وحرصه على الالتزام بـها.

وقد استحدثت طريقة جديدة لاتصال الوزراء بالأمير في عهد "عبد الله بن محمد" (275هـ/888م-300م/912م)، وهي أن يراسلوه ببطاقات يكتبوا فيها قضاياهم وتقاريرهم، وكان قد نصح بمراسلته في الأمور الهامة فقط، وترك مجال المبادرة مفتوحاً بإعطائهم الحرية في اتخاذ القرارات المناسبة لقضايا التي تواجههم، وكانت هذه البطاقات تبعث مع الحاجب.

وقد أكثر أحد الوزراء في مراسلة الأمير في الأمور التافهة، فكتب له على ظهر بطاقته: "أما بعد؛ فلو كان نظرك فيما خصصناك به، واهتمامك به على حسب إكثارك للكتب، وانشغالك بذلك على مهم أمرك، لكنك من أحسن رجالنا غناء، وأتمهم نظراً وأفضلهم حزماً، فاقلل من الكتاب فيما لا وجه له ولا نفع فيه، واصرف همتك وفكرتك وعنايتك إلى ما يبدو فيه اكتفاؤك ويظهر فيه غناؤك إن شاء الله"[1]. ووَقَّـعَ ببيت من الشعر في ظهر كتاب أحد الوزراء يرد عليه وهو "النضر بن سلمة"[2] قائلاً:

أنْتَ يَا نَضَر آبدَةٌ   لَيْسَ تُرْجَى لِفَائِدَةٍ

إنمَّـا أنْتَ عُـدَّة   لِكَنِيفٍ وَمَـائِدَةٍ[3].

2- استقبال الوفود والسفارات الأجنبية: وكان استقبال الوفود والسفارات الأجنبية من أهم ما أوكل للحاجب من مهام، فقد روى "ابن الأبار" أنّ الحاجب "موسى بن محمد بن حدير" كان يحجب الخليفة "الناصر لدين الله" عند قعوده

---

[1] - ابن عذاري، المصدر السابق. ج2. ص 231.

[2] - النضر بن سلمة بن الوليد القيسي، استقضاه الأمير عبد الله بقرطبة ثم استوزره، توفي في ذي الحجة 302هـ/915م. ابن الأبار، الحلة السيراء. ج1، ص122. الخشني، المصدر السابق. ص ص186-189.

[3] - المقري، المصدر السابق، ج2، ص353. ابن عذارى، المصدر السابق. ج2. ص 231.

لسلام وُفُود ورُسُلِ الأمم المُختلفة[1]؛ وكان الخليفة يَتَعَمَّدُ تضخيم موكب استقبال هذه الوفود، بشكل يضفي عليه هيبة وجلالة ويرسم انطباعاً لدى الزُوَّار بعظمة مُلك الأندلس.

ويصف هذا الحاجب جلوس الخليفة وهو يستقبل الضيوف مادحاً إيّاه بقوله:

إذا ما فرجت خلل الستور ولاح وقد تمكن في السرير
ترى الأملاك مائلة لديه بأعناق إلى الغبراء صور
كأنهم لهيبته قد أوفوا من الموت الزعاف على شفير[2].

واستقبل "جعفر المُصحفي" أردونيو الرابع"[3] ملك ليون المخلوع الذي أظهر الاحترام للحاجب، وهمَّ بتقبيل يده، لولا أن جذبها الحاجب وعانقه وأجلسه إلى جواره[4].

لكنّ هذه المهمة كثيراً ما أسندت زمن الخلافة إلى رجال غير الحُجَّاب الرسميين، وسبب ذلك هو تجميد هذا المنصب في تلك الفترة، وقد ناب عنهم أكبر رجال الدولة الأموية أنذاك، فكوَّن ذلك استثناء نوعاً جديدا من الحجابة لم يدم إلا مرحلة قصيرة[5].

3- الاستخلاف على العاصمة: وقد تُسند للحاجب أحياناً أكثر المهام أهمية وأعظمها خطراً، وهي نيابة الأمير على العاصمة وهي قلب الدولة، فقد استخلف "عبد الرحمن الداخل" "يوسف بن بخت" على قرطبة حين خرج لإخماد بعض

---

[1] - ابن الأبار، الحلة السيراء، ج1، ص233.
[2] - ابن الأبار، الحلة السيراء، ج1، ص237.
[3] - خلع "أردونيو الرابع" "شانجه" من عرش ليون سنة(347هـ/958م)، فلجأ الثاني إلى قرطبة لطلب العون، لكنه بمجرد العودة إلى الحكم اخلف بوعوده فلجأ عدوه إلى قرطبة لطلب العون هو الآخر؛ دوزي، المسلمون في الأندلس، ص ص 51-53.
[4] - المرجع نفسه، ص64.
[5] - نذكر أن هذه النقطة قد تم التطرق إليها بالتفصيل في المبحث الخاص بأنواع الحجاب.

الثورات التي قامت ضده، حيث كان يُفَضِّلُ إنجاز مهمة القضاء على الثورات شخصياً[1].

أما "عبد الرحمن الناصر" فكثيراً ما كان يخلّف وراءه "موسى بن محمد بن حدير" في القصر حينما كان يخرج للغزو، فقد استخلفه في شعبان سنة (300هـ/912م) لما غزا "جيـان" في أولى غزواته بعد توليه الحُكم[2]، ثم لما خرج غازيا إلى"طُرَّش" في رمضان سنة (301هـ/ 913م)، ثم خلفه برفقة ولي عهده "الحَكم" حين غزا مدينة "بلـدة"[3] من كورة "ريـة"[4] في ذي القعدة (306هـ/918م) فغاب عن دار الخلافة ستة وعشرين يوماً[5]، ولما خرج إلى الصائفة (ذي الحجة307هـ- محرم308هـ/ 920م) خلفه في القصـر رفقة ولي عهده كذلك[6].

4- حفظ الأختام: لقد كان الخاتم من الرتب السلطانية والوظائف الملوكية[7]، فهو من مظاهر ممارسة الأمير أو الخليفة لسلطانه، ومن علامات صحة المراسلات الإدارية، والوثائق والمعاملات المالية، فلا تصح وثيقة لا تحمل الخاتم[8]؛ وقد تميّز كل حاكم بوضع عبارة معينة على خاتمه، فقد اتخذ الرسول صلى الله علية وسلم خاتماً من فضة ونقش فيه: «محمد رسول الله»[9]، وتختم بنفس الخاتم سيدنا أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنه[10].

---

[1] - ابن الأبار، الحلة السيراء.ج2، ص375.
[2] - ابن عذاري، المصدر السابق. ج2، ص240، 246، 259.
[3] - بلْدَة مدينة بالأندلس من أعمال رية وقيل من أعمال قبرة. ياقوت الحموي، المصدر السابق. مج1، ص483.
[4] - ريـةRaiya كورة واسعة بالأندلس متصلة بالجزيرة الخضراء وهي قبلي قرطبة وهي كثيرة الخيرات ولها مدن وحصون ولها من الأقاليم نحو من الثلاثين كورة يسمي أهل المغرب الناحية إقليما وفيها حمة يعني عينا تخرج حارة وهي أشرف حمامات الأندلس. المصدر نفسه. مج3. ص116. الحميري، المصدر السابق. ص279.
[5] - ابن عذاري، المصدر السابق. ج2، ص240، 246، 259.
[6] - نفس المصدر، ص263.
[7] - ابن خلدون، المقدمة. ص467.
[8] - حسن إبراهيم حسن، النظم الإسلامية، ص152، 153.
[9] - ابن خلدون، المقدمة، 468.
[10] - نفس المصدر، والصفحة.

لقد اتّخذ الأمويون بالأندلس الخاتم مثلهم مثل أسلافهم بدمشق[1]، فقد حمل خاتم الأمير "عبد الرحمن الداخل" عبارة: «عبد الرحمن بقضاء الله راضٍ»[2]، أما خاتم هشام الرضا فيحمل عبارة: «بالله يثق عبده هشام وبه يعتصم»[3]، و مثله كان خاتم ابنه الحَكم الربضي؛ وقد استلهم عبد الرحمن الأوسط عبارة خاتمه من بيت شعري قاله "عبد الله بن الشمَّر"[4] جاء فيه:

خاتم للمُلك أضحى حكمه في الناس راضي

عابد الرحمن فيه بقضاء الله راضي[5].

وقد اتخذ الحكَّام الأمويون من يحفظ خاتمهم واختاروه من الثقات، فقد كلّف الأميران "هشام الرضا" وابنه "الحكم الربضي" أمر حفظ الخاتم إلى حاجبهما "أبو أمية عبد غافر بن أبي عبدة"[6]، أما الخليفة عبد الرحمن الناصر فكان شديد الثقة بحاجبه "بدر بن أحمد"،فقد كانت السجلات تكتب في داره، ثم يشرف على ختمها وكباعتها ثم تبعث إلى الولايات والكور[7].

وكان تكليف أحد الرجال بأمر الخاتم شرفٌ ما بعده شرف، وكان لا يُتَاحُ إلا لمن أسدى خدمات جليلة للدولة أو لمن يراد استمالته كي يصير معيناً لها في أمر من الأمور، ولهذا الغرض أرسل الخليفة "عبد الرحمن الناصر" إلى "الخير بن محمد بن خزر الزناتي"[8] خاتماً من خواتمه الخاصة، فُصَّه زُمُرُّدَه

[1] - حسن إبراهيم حسن، النظم الإسلامية، ص152، 153.
[2] - ابن عذاري المصدر السابق. ج2، ص72.
[3] - ابن عذاري المصدر السابق. ج2، ص91.
[4] - هو أبو محمد عبد الله بن الشمر بن نمير القرطبي، نديم الأمير "عبد الرحمن الأوسط" ويصفه "ابن سعيد" بأنه منجِّمه وبشَّره بأن أمر الحُكم سيعود إليه، كان شاعراً متقناً، لطيفاً حسن المعشر. ابن الفرضي، المصدر السابق، ترجمة: 691. ابن سعيد، المصدر السابق، ج1، ص50، 124، ترجمة: 59.
[5] - ابن عذاري، المصدر السابق. ج2، ص122.
[6] - ابن حيان، المقتبس. ق01. ص222. ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص30.
[7] - نفس المصدر، ص253.
[8] - الخير بن محمد بن خزر الزناتي زعيم زناتة في المغرب الأوسط، استعمله الأمويون عليه، فحكم المنطقة بسمهم، فقاوموا به الفاطميين. ابن حيان، المقتبس. ق04. ص259.

رفيعة القدر شريفة الجوهر، منقوشة عليها اسمه، وأمر أن يقتصر على الطبع به لما ينفذ من كتبه في أكثر أوقاته[1].

5- الإشراف على الأعمال العمرانية: فقد عَهَد الخليفة "الحكم المستنصر" إلى حاجبه وسيف دولته "جعفر بن عبد الرحمن الصقلبي" مجموعة من المهـام العمرانية ومنها متابعة الزيادة التي طالت المسجد الجامع بقرطبة سنة (355هـ/965م)، ونظرا لأهمية ما قام به هذا الحاجب فقد اقتصر ذكر منجزاته في المصادر بالإشارة إلى هذه الأعمـال.

"وقد وجدت كتابة أثرية تعود إلى سنة (353هـ/ 964م) تدل على أن العمل قد تم في عهد "الحكم المستنصر" على يدي مولاه وحاجبه وكاتبه "جعفر بن عبد الرحمن"، وكتابة ثانية على تاج عمود من الرخام من "قرطبة" بتاريخ (360هـ/971م) تحمل العبارة «مولاه وحاجبه وشرف دولته»[2]. ويحفظ متحف "غرناطة" بحوض من الرخام عليه كتابة أثرية بتاريخ سنة (360هـ/971م) باسم "الحكم المستنصر" جاء فيه «مما أمر بعمله فتاه وحاجبه جعفر»[3].

لقد تفاوت حجم ما كُلِّف به الحاجب من مهام من مرحلة إلى أخرى، فبينما تقلصت هذه المهام في عهد "عبد الرحمن الناصر" لأنّه كان يُفضل الإشراف على سير أمور دولته بنفسه فلم يُبْق سُلطة لوزير أو حاجب[4]، وبالمقابل عرف الحجابة في عهد الأمير "عبد الرحمن الأوسط" نوعاً من الحرية، فكان للحاجب دور في تعيين بعض الوزراء مثلاً، أما ما قام به الحُجَّاب العامريون في حجرهم على الحاكم وإنفاذ الأمور دونه فقد مثَّل انقلابا على كثير من التقاليد

---

1 - المصدر نفسه، ص460.
2 - البيلي، المرجع السابق ، ص133.
3 - البيلي، المرجع السابق ، ص133.
4 - ليفي بروفنسال، المرجع السابق. ص419، الهامش4.

التي عرفتها الحجابة قبل ذلك، وقد تداخلت مهام الحاجب الرسمية التي كان متعارفاً عليها في قصر قرطبة خلال عصري الإمارة والخلافة مع مهام الخليفة الحاكم الأعلى للدولة في أواخر أيام الدولة الأموية نظرا لضعف الخلفاء الذين يَحْمُون الدولة ويسهرون على تطبيق القوانين والمراسيم.



الفصل الثالث

مكانة الحاجب في الدولة والمجتمع الأمويين بالأندلس:

1– علاقة الحاجب بأعضاء الإدارة الأموية.

2 – علاقة الحاجب بالجيش.

3 – الحاجب ومجلس الوزراء.

4– مكانة الحاجب المادية (الرواتب والمداخيل).

5- الحُجَّاب والحياة الأدبية والعلمية.

1- علاقة الحاجب بأعضاء الإدارة الأموية:

وضع الأمويّون أساس النظام الإداري والسياسي الذي سارت عليه الدولة والمجتمع في الأندلس خاصة، وفي المغرب الإسلامي عامة لعقود عديدة، من خلال إرساء القواعد، وتحديد العلاقة بين مختلف الوظائف الإدارية الدينية والسياسية والاقتصادية، فقد كان تأثيرهم واضحاً في الكيانات السياسية التي جاءت بعدهم، فأخذ المرابطون كثيراً من التنظيمات الأموية وطبقوها سواء في المغرب والأندلس، كما اتّخذ الموحدون نظاماً فيه كثير من الشَّبَهِ للمرابطين[1].

ولفَهْم مكانة الحاجب داخل النظام الإداري الأموي بالأندلس يجب توضيح الهيكل الإداري للمناصب الحكومية الأساسية في الدولة وعلاقة كل منها بالآخر، فعلى رأس الهيكل الإداري يوجد الأمير الذي يُعتبر محوره الأساسي حيث تدور في فلكه كلّ المناصب السياسية والإدارية الأخرى، ولا يمكن لأيٍّ كان من الوزراء اتّخاذ القرارات الهامة دون الرجوع إليه، ولا يمكن كذلك مراجعته فيما يقرّر، ويمكن استثناء في هذا الشأن قاضي الجماعة[2].

ويمكن القول إنّ الأندلس لم تتّخذ نمط الدولة الحقيقية إلا في عهد الأمير "عبد الرحمن الأوسط"، فقد قسّمت المناصب الإدارية إلى صنفين من الخطط، فهناك الخطط الدينية وعلى رأسها القضاء[3]، وهناك الخطط السياسية وعلى رأسها الحجابة. وعلى ضوء ذلك قام النظام الإداري الأموي على أساس

---

[1] - حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس. القاهرة: مطبعة الخانجي. 1980. ص157.

[2] - كان القضاة في الأندلس على مراتب ودرجات، فقضاة القرى الصغيرة يطلق على الواحد منهم لقب مسدَّد، أما في قرطبة فقد عُرف في عهد الولاة بلقب قاضي الجند أو العسكر، وبعد أن قامت الدولة الأموية أخذ اللقب يتغير، إذ ظهر مسمى جديد هو "قاضي الجماعة" بدلاً من "قاضي الجند" وأول من حمل هذا اللقب هو يحيى بن يزيد الذي كان يشغل منصب "قاضي الجند" قبل وصول الأمير عبد الرحمن الداخل للحكم، وبعد أن قامت الإمارة وتولى الأمير الداخل الحكم أقر القاضي "يحيى بن يزيد" على منصبه، ونعني بقاضي الجماعة قاضي قرطبة، وأما من يلي القضاء في إحدى الكور، فقد كان يعرف بلقب "قاضي" منسوباً إلى الكورة التي هو فيها، فيقال قاضي كورة كذا. سالم بن عبد الله الخلف، نظم الأمويين ورسومهم في الأندلس. ج2، ص619. بن معمر محمد، تاريخ القضاء الإسلامي وتطوره ببلاد المغرب على عهدي المرابطين والموحدين. رسالة ماجستير، معهد التاريخ، جامعة وهران، السنة الجامعية: 1993/1992. ص ص69، 71.

[3] - ابن خلدون المقدمة، ص424.

الفصل بين السلطتين الإدارية والقضائية، وعلو شأن الثانية لأنّها السلطة الوحيدة التي كانت تُراقب ولاّة الأمر وتحاسبهم وتتصدّى لهم[1].

إنّ طبيعة منصب القاضي غير عادية، فهي ليست ككلّ الوظائف الإدارية والخطط الدينية الأخرى. وهذا لا يعني أبداً الانتقاص من شأن الوظائف الأخرى، ذلك أنّ مجال الاختصاص هو الذي يميز بين هذا وذاك، فالحجابة مثلاً أو الكتابة من وظائف البلاطات وقصور الملوك والأمراء. أما القضاء فهو النزول إلى مستوى مختلف طبقات الأمة وتتبّع آلامها وآمالها ومعالجة مشاكله بما تعرض عليه من قضايا متنوّعة، من بسط العدل، ونشر الأمن بين أفراده، فإذا كانت مراقبة الحاجب أو الكاتب تتم من طرف الملك أو الأمير فقط، فإنّ القاضي تنظر إليه عيون المجتمع كلها[2]، «والحُكم بين الناس بالعدل من أفضل أعمال البر وأعلى درجات الأجر، والجور فيه واتّباع الهوى من أكبر الكبائر»[3].

وللقاضي الإشراف على بيت المال، وعليه أن يتفقّد أمر العاملين فيه كل عام وإن أمكن كل شهر، ولا يأذن لأحد التصرّف فيه إلا عن رأيه، والقاضي والفقهاء يدبّرون أمر بيت المال ويصلحون شأنه بحيث يكون بعضهم على بعض شهيداً[4].

ويبدو أنّه لا علاقة للحاجب بتعيين أو عزل القضاة، فقد حدثت شحناء بين قاضي الجماعة "إبراهيم بن العباس القرشي"[5]، وبين الحاجب "موسى بن

---

[1] - بن معمر محمد، المرجع السابق. ص26.
[2] - نفس المرجع، نفس الصفحة.
[3] - أحمد الونشريسي، المعيار المغرب والجامع المغرب. بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1981، ج10. ص78.
[4] - سالم خلف، المرجع السابق، ج2، ص654.
[5] - إبراهيم بن العباس بن عيسى بن الوليد بن عبد الملك بن مروان القرشي، كان محمودا في قضائه عادلاً في حكمه متواضعاً في أموره، غير متصنع ولا متهيب، تولى القضاء مرتين فكانت ولايته الأولى سنة أربعة عشرة أو خمس عشرة ومائتين، ثم عزل وولي غيره، ثم ولي على إثر "سعيد بن سليمان" ولي القضاء أيضاً. الخشني، المصدر السابق. ص119.

حدير" في عهد الأمير "عبد الرحمن الأوسط"، وكان الحاجب يُضمر العداء للقاضي لكنّه رغم ذلك لجأ للمكيدة من أجل الإيقاع به وعزله، فقد أرسل إليه امرأة فخاطبته قائلةً: «يا ابن الخلائف!»؛ وكان العرف الإداري السائد في عهد الدولة الأموية يقضي بعزل القاضي إذا ثبت اشتراكه مع الحَاكم في النسب، فلم يُنكر القاضي على المرأة ذلك، فشكته إلى الأمير وبذلك عُزل[1]. ومعنى ذلك أنّه لو كانت للحاجب سلطة على القاضي لعزله من البداية ولم يكن "ابن حُدير" بحاجة للحيلة من أجل تحقيق أهدافه.

وقد تغيّرت الأمور في عهد الخلافة فقد كانت سلطة الخليفة مطلقة أكثر مقارنةً بعهد الإمارة خاصة قبيل إعلان الخلافة[2]، ورغم ذلك فقد سجَّل لنا التاريخ موقفا مشرفاً للقاضي "المُنذر البلوطي"[3] الذي انتقد "الناصر لدين الله" واتّهمه بتبذير أموال الرعية، حيث دخل عليه وهو مُنهمك مع مُعاونيه يخطّطون لبناء مدينة "الزهراء"، فأنكر القاضي ذلك، فأنشد الخليفة "الناصر" قائلاً:

همم الملوك إذا أرادوا ذكرها ... من بعدهم فبألسن البنيان
أو ما ترى الهرمين قد بقيا وكم ... ملك محته حوادث الزمان
إنَّ البناء إذا تعارض شأنه ... أضحى يدلُّ على عظيم الشأن[4].

وقد ردَّ "المُنذر بن سعيد البلوطي" على هذه الأبيات قائلاً:

يا بَانِيَ الزهراء مستغرقاً ... أوقاته فيها أما تمهل

[1] - الخشني، قضاة قرطبة. ص120. ابن حيان، المقتبس، ق02. ص115، 116.

[2]- Lévi provençal, Histoire de l`Espagne Musulmane. P - 10.

[3] - هو أبو الحسن منذر بن سعيد بن عبد الله البلوطي النفزي القرطبي، قاضي قضاة قرطبة في عصره، فقيه خطيب وشاعر فصيح، ولد سنة 273هـ/ 886م، ومات سنة355هـ/ 966م. ولي قضاء ماردة، ثم قضاء الثغور الشرقية، فقضاء قرطبة؛ له كتب كثيرة منها "الإنباه على استنباط الأحكام" و"الإبانة عن حقائق أصول الديانة" والناسخ والمنسوخ". ابن خاقان، المصدر السابق، ص113. الحميدي، المصدر السابق. ص315. ترجمة811. المقري، المصدر السابق، ج1، ص372.

[4] - العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي. ص417.

لله مـا أحسنهـا رونقـاً أولم تكن زهرتهـا تذبل[1].

ووصل الأمر بالقاضي إلى حد الحديث عن القضية في خطبة الجمعة، فَتَـلاً "المُنـذر" قوله تعالى: (**أفَمَنْ أسَّسَ بُنْيَانُهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللهِ ورِضْوَانٍ خَيْرٌ أمْ مَنْ أسِّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فانْهَارَ بِـهِ في نارِ جهنم وَالله لا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ. لا يَزَالُ بُنينهم الذي بَنَـوْا رَيْبَةَ في قُلُوبهِمْ إلاَّ أن تُقطَّعَ قُلُوبهُم والله عَلِيمٌ حَكِيمٌ**)[2]، مما جعل الناصر يتّخذ موقفه بعدم الصلاة وراء "المُنذر"، ورغـم ذلك لم يحاول عزله أو البطش به[3].

فهذا الحادث مثّل الصورة الحقيقة لاستقلال السلطة القضائية عن السلطة التشريعية، في حين يمكن اعتبار الحاجب هو السلطة التنفيذية، حيث يسهر على تطبيق التعليمات والقرارات التي تصدر عن الأمير أو الخليفة، وقد يتعدّى الحاجب ذلك إلى القيام بمهمة المستشار. ويمكن أن تظهر قوته من خلال التأثير في قرارات الحاكم الهامة، ويمكن أحياناً أن يتّخذ قرارات خطيرة إذا ظهر له وجهة نظر الأمير الواضحة في القضية؛ فقد يتعدّى الحاجب القيام بمهامه إلى التأثير في ولاية العهد، فهذا "عيسى بن شهيد" يتعرّض للأذى من طرف "نصر" الصقلبي بسبب مساندته للأمير "محمد بن عبد الرحمن" في قضية ولاية العهد، فقد سعى نصر إلى استمالة أكثر الوزراء وعلية الجند ورجال المملكة إلى رأيه القاضي بمنح ولاية العهد إلى "عبد الله بن طروب"[4]، مما جعل الأمير في حيرة من أمره فلجأ إلى مشورة وزرائه، فسألهم عن تقديم أيٍ من الولدين إذا حلَّ حادث الموت، فأشار كلّهم بـ "عبد الله" إلاَّ حاجبه "عيسى بن شُهيد"، فإنّه رشح "محمداً" للأمر، وذكر له ثناء أولي العقل عليه

[1] - نفس المرجع، ص418.
[2] - سورة التوبة، الآيتان 109- 110.
[3] - ابن خاقان، المصدر السابق، ص 117؛ العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي. ص417.
[4] - ابن حيان، المقتبس، ق02. ص106.

وميلهم إلى إيثاره، وإجماعهم على محبته، فسُرَّ الأمير "عبد الرحمن" بقوله، وموافقته لما ثبت من صحيح رأيه، وازداد بصيرة في إيثار "محمد" وصدوفاً عن "عبد الله" أخيه، وشكر لـ "عيسى" صدق مناصحته[1]، مما جلب له عداء السيدة "طروب" زوجة الأمير "عبد الرحمن" سيدة القصر الأولى، التي كانت تطمح إلى تولية ابنها "عبد الله" ولياً للعهد[2]؛ لكنّ أمر هذا التنافس قد خَفَّ بعد مهلك "نصر" الخصي.

وعرفاناً بجميل الحاجب "عيسى بن شهيد" أبقاه الأمير "محمد" في منصبه بعد توليه الحُكم، واعترف بالجميل إلى كل الذين أعانوه فاستوزر صباح بيعته "محمد بن موسى الغافقي" و"عبد الرؤوف بن السَّلم"[3].

ويمكن للحاجب أن يتّخذ بعض القرارات الخطيرة إذا رأى وجهة نظر الأمير الواضحة في القضية، حتى لو تعلّق الأمر بمعاقبة أحد أفراد الأسرة الحاكمة، فقد نقل الكاتب "عبيد الله بن يحي"[4] إلى الوزراء وأكابر الناس أن "مُطرف" ولد الأمير "عبد الله" قد اعتزم على الخروج على والده، فقصدوا الحاجب "ابن السليم" وقالوا: «إنا بُغينا على الجلاء عن دورنا بإخافة "مُطرف" لنا، ورغبته إلينا في البيعة له وخلع أبيه، فإن كنتم تحموننا وإلا صرنا للجلاء، فمعنا علوم لسنا نفقد من يكرمنا بها حيث توجّهنا». فأنهى الحاجب ذلك إلى أبيه الأمير عبد الله، فوجّه إليه "عبد الله بن محمد" صاحب الخيل و"عبد الله بن مضر" صاحب المدينة، فحارباه يومين وأُخذ في اليوم

---

1 - المصدر نفسه، ص107.

2 - ابن القوطية، المصدر السابق. ص91.

3 - ابن حيان، المقتبس، ق02. ص8، 9، 10، 62. ابن القوطية، المصدر السابق. ص95.

- هو عبد الرؤوف بن عبد السلام بن إبراهيم بن يزيد، أحد الموالي الأمويين بالأندلس، دخل أبوه الأندلس وخدم في دولة الأمير عبد الرحمن الداخل، في حين أن عبد الرؤوف تولى طليطلة ونواحيها للأمير "محمد بن عبد الرحمن" وتوفي في أيامه وهو ولي الوزارة. ابن حيان المقتبس، ق02. ص452. هامش: 93.

4 - "عبيد الله بن يحي" شغل الكتابة زمن عبد الرحمن الأوسط" له رحلة إلى الشرق وصل فيها إلى العراق، مات بالأندلس سنة سبع وتسعين ومائتين وهو آخر من حدَّث عن "يحي بن يحي". الحميدي، المصدر السابق. ص237، الترجمة: 581.

الثالث، فوقف على باب دار الوزارة، وأعلم الحاجب "ابن السليم" بحضوره. فقال الحاجب: «ولماذا سُقته؟ ارجع به إلى داره فاضرب رقبته وادفنه». فكان كذلك[1].

تدُلُّ جُرأة الحاجب في اتّخاذ قرار من هذا النوع على ثقته بنفسه، وبصحة القرارات التي يتّخذها، رغم أنّ هذا القرار في قمة الخطورة وهو إعدام ابن الحَاكم، خاصة إذا تعلّق الأمر بالحاجب" ابن السليم" الذي كان سَبَبُ تَعْيينِه في هذا المنصب هو عقابه لخادم الأمير "المُطرف" عندما كان يتولّى السوق[2].

كما يدلّ لجوء الوزراء إلى الحاجب وعدم تجاوزه إلى الأمير رغم خطورة الموقف حرصهم على احترام رسوم الدولة وقوانينها، وثقتهم في سرعة إيصال المعلومات إليه، فلم يخلق وجود منصب الحاجب أي عراقيل بيروقراطية، بل حرص المُكلَّف بهذه المهام على وضع الحَاكم أمام صورة الواقع مهما كان شكل هذه الأحداث بسيط أم معقد.

وقد حرص الحُكَّام الأمويون على الحفاظ على هيبة وقيمة منصب الحاجب فمنعوا أبناءهم من تجاوزه والدخول عليهم دون إذن، بل حدَّدوا لزياراتهم مواعيد معينة، فقد أدَّب الأمير "عبد الرحمن الداخل" ابنه "هشام" بسبب زيارته له دون موعد سابق، رغم أنّ الأمر كان خطيرا، ويتعلّق بمعالجة ثورة "الكناني"[3]، ويدلّ هذا دلالة واضحة على القيمة التي حرص الأمويون على إعطائها لحُجَّابهم[4].

---

[1] - ابن القوطية، المصدر السابق. ص118.
[2] - ابن حيان، المقتبس، ق03، ص05.
[3] - الرماحس بن عبد العزيز الكناني، كان والي الجزيرة فثار على الخليفة عبد الرحمن الداخل وحاربه، فلما شعر بالخطر جاز البحر حتى قدم على أبي جعفر المنصور. مجهول، أخبار مجموعة. ص102.
[4] - سالم خلف، المرجع السابق. ج1، ص303.

أما بالنسبة لعلاقة الحُجَّاب بعمال الكور فقد اختلفت من مرحلة لأخرى، فقد أوكلت مهمة تعيين الحجاب خلال المرحلة السابقة لاعتلاء الأمير "محمد بن عبد الرحمن" الحُكم إلى مجلس الوزراء فكان الحاجب ومشاوروه يختارون الأكفاء ذوي المروءة. لكنّ الأمر تغيَّر عندما أصبح الوزير "هاشم بن عبد العزيز" هو المُدبر لمختلف شؤون الدولة، فبعدما كان اختيار الوالي يخضع لشرطي الحلم والعدل زيادة على شرط التقدّم في السن، مَال هذا الوزير إلى تعيين الأحداث وشاطرهم أرباحهم، فكان العُمَّال يُسَمَّوْن "المناصفين" فأصبحت المسألة قائمة على ما يمكن أن نسمِّيه بيع المناصب[1]؛ وقد بلغ الأمر بالحاجب "المنصور" إلى قتل ابن عمه "عمرو بن عبد الله بن أبي عامر" سنة375هـ/985م، بعدما ولاَّه المغرب بسبب احتجانه الأموال دونه[2].

لكن يختلف الحال إذا تعلَّق الأمر بتعيين أحد أفراد الأسرة الحاكمة عاملاً على إحدى الكور، ففي هذه الحالة يكون التعيين من طرف الأمير مباشرة. والأمر مماثل إذا كان التعيين في منطقة معروفة بالتوتر السياسي فيُعَيَّن فيها رجل من ثقات الحاكم والمقرّبين إليه، فقد عين الأمير "عبد الرحمن الحاكم" "تمام بن علقمة" على مدينة "طليطلة" بعد أن قضى على ثورة "هشام بن عروة"، وبعدما أعفاه عن الحجابة[3].

«أما الوزارة فقد قُسِّمت أصنافاً، وأفرد لكل وزير مهمة يختص بها، فجعلوا لحسبان المال وزيراً، وللنظر في حوائج المتظلمين وزيراً، وللنظر في أحوال أهل الثغور وزيراً، وللخيل وزيراً»[4]، وبذلك تعدّدت اختصاصاتها واختلفت، مما ساعد على التفرّغ للإنجاز أو الإشراف على المشاريع

1 - نفس المرجع، ص 336.
2 - ابن الأبار، الحلة السيراء. ج1، ص277، 278.
3 - ابن عذاري، المصدر السابق. ج2، ص79. ابن الأبار، الحلة السيراء. ج1، ص143 .
4 - ابن خلدون المقدمة. ص424.

العمرانية والعسكرية[1]. وقد أُستحدث هذا المنصب مع اعتلاء الأمير "عبد الرحمن الأوسط" الحكم سنة 206هـ/822م، إذْ أنّها لم تعرف بالأندلس قبل ذلك[2]، ومثل الحاجب دور الوسيط والمنسِّق بين الوزراء والأمراء.

أما خطّة صاحب المدينة فقد كانت خطة دينية إلا أنّها تَأَثَّرَتْ كثيراً بالتغييرات التي حدثت للحجابـة، ففي سنة (366هـ/988م) صدر مرسوم الخليفة "هشام المُؤيد بالله" بتولية "محمد بن عبد الله بن أبي عامر" بدلاً من "محمد بن جعفر المُصحفي"[3]، وذلك مسايرة لما حدث من تغيير في منصب الحجابة، حيث عوَّض الحاجب "محمد بن أبي عامر" سلفه "جعفر المُصحفي"، وهذا ما يُبرز العلاقة المهمة بين المنصبين؛ إذْ يمكن للحاجب أن يضبط العامة ويضمن ولاءهم من خلال ضمان ولاء صاحب المدينة له، وذلك بالقضاء على الفتن وهي في المهد، وكذا على الشعور بالتذمّر الذي يمكن أن يظهر عند العامـة.

ووعياً من "المنصور بن أبي عامر" بأهمية منصب صاحب المدينة في خدمة نظام الحجابة الجديد الذي اعتزم إنشائه، وكي تتم له السيطرة على شؤون الأمن والحراسة في العاصمة، عَيَّن على مدينة "قرطبة" ابن عمّه "عمرو بن عبد الله بن أبي عامر" وهو الملقب بـ "عسكلاجة"، ثم رقّاه إلى منصب صاحب المدينتين بعد بناء "الزهراء"، «وكان صارماً مهيباً جباراً قاسياً، فاتّبع سياسة العنف والشدّة حتى أقرّ الأمن في مدينتي قرطبة والزهراء[4]، وسلك في أهل الشر سبيل»[5].

[1] - ابن سعيد المغربي، المصدر السابق، ص40.
[2] - ابن الأبار، الحلة السيراء. ج1، ص114. ابن سعيد المغربي، المصدر السابق، ص46.
[3] - ابن بسام، المصدر السابق، ق4، م1، ص64. ابن الخطيب، المصدر السابق. ج2، ص61.
[4] - ابن الأبار، الحلة السيراء، ج1، ص277.
[5] - ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص397.

أما أمر الاشراف على الخزانة العامة فقد أوكل إلى شيخ الخُزّان، ومنحه الحُكـام كل الصلاحيات للحفاظ على مال الدولة من الضياع والتبذير، وقد رأينا كيف أنّ شيخ الخزان "موسى بن حدير" رفض تنفيذ أمر الأمير "عبد الرحمن الأوسط" القاضي بصرف مبلغ كبير من المال منحه للمغني "زرياب"، ولم تكن للحاجب أي سلطة على الخُـزّان، فقد كان الأمير هو المشرف المباشر عليهم، وهو من يراجع الحسابات قبل توقيعها، فقد رفع بعض الخزان إلى الأمير "محمد بن عبد الله" براءات إنفاق بنحو مائة ألف دينار كي يراجعها، وكان الخازن قد أجهد نفسه في تجميلها، وأرهف حسّـه في تصحيحها، واجتمع معه عليها من الخزانة جهابذة الحساب، فلم يكن للغلط فيها مقيل، فلما تناولها الأمير بدا له فيها غلط، فردّها للخازن، فعاد وأجهد نفسه مع معاونيه من أجل استخراج الخطأ، فلم يدركوا ذلك، وما كان عليهم إلا أن ردوها إليه، بحجّة أنّ علمهم لم يُدرك ما نبّه عليه من عيبها، حينها أشار بالقلم إلى موضع الخطأ[1].

وقد أصبح الحاجب العامري هو المُتصرف الوحيد في بيت المال، خاصة وأنّه ناب عن الخليفة في كل الأمور، فعندما قام "عبد الملك بن المنصور بن أبي عامر" بنقل بيت المال من قرطبة إلى الزاهرة، تنفيذا لأوامر والده، سنة 386هـ/996م، تمكّن في ثلاثة أيام من حمل ما مقداره خمسة آلاف ألف دينار دراهم، ومن الذهب سبعمائة ألف جعفرية، ومع ذلك لم يتمكن من أخذ كل ما في بيت مال لوقوف السيدة صبح وأعوانها دون ذلك[2].

أما خطة الكتابة فتعتبر من أهم وظائف الدولة، دعت الضرورة إليها عندما فسد اللسان وصار صناعةً اختص بمن يُحسنه[3]، وخُصّص لهذه الخطة

[1] - ابن حيان، المقتبس. ق02. ص136.
[2] - ابن بسام، المصدر السابق. ق4، م1، ص 71،72، 73.
[3] - ابن خلدون، المقدمة. ص436.

ديوان يسمَّى "ديوان الرسائل"[1]، فقد كان الحاجب بعد إشرافه على كتابة السجلات في داره يبعثها إلى باب السدة حيث كانت تختم[2].

وقد حفظ لنا التاريخ الأندلسي سيرة رجل جمع بين منصبي الحجابة والكتابة، وهو "عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث"[3]، فعرفت معه الحجابة شكلاً جديداً لم تعرفه مع قبله، ووصفه "ابن الأبار" بالشاعر المفوّه[4]، لذلك كان قيامه بمهام الكتابة أحسن قيام نظراً لبراعته الأدبية الفائقة.

وقد اشتهرت عدة بيوت بالأندلس باشتغالها بالكتابة، ومن أهمها بيت "الزجالي"، وكان "محمد بن سعيد الزجالي" رأس هذا البيت، واشتهر من ذريته كذلك "حامد الزجالي"[5]، فلما توفي تشوف إلى خطة الكتابة العليا جلة من الموالي من الوزراء وغيرهم، وخاطب الأمير "محمد بن عبد الرحمن" كثير منهم يعرضون عليه أنفسهم لتقلُّدها، فأعرض عنهم وأمر في البعث لـ"عبد الملك بن عبد الله بن أمية"[6]، فقلَّده الكتابة ولم يكن يَكمل لها[7] فقدح فيه الوزير الأثير عند الأمير والمُدبر لشؤون دولته القائم مقام الحاجب "هاشم بن عبد العزيز" وكرَّه له استكتابه على قلّة أدبه، ووصفه بالتعرّي من البلاغة وقلّة المعرفة بأدوات الكتابة[8]، ورغم تراجع الوزير عن انتقاد الكاتب بعد

---

[1] - نفس المصدر، ص437.

[2] - ابن الأبار الحلة السيراء. ج1، ص253.

[3] - نفس المصدر، ص136.

[4] - نفس المصدر، نفس الصفحة.

[5] - حامد الزجالي: بيت الزجالي من بيوت الشرف بقرطبة من غير قدم في الدولة توارث أبناؤه خطة الكتابة، وكان مؤسس هذا البيت "محمد بن سعيد الجزالي" من نفزة وهو المعروف بـ "حمدون"، يعتبر حامد أحد أبنائه فقد ورث عنه خطة الكتابة، وإشتهر بها إلى أن مات سنة 268هـ/ 846م. ابن سعيد، المصدر السابق. ج1، ص331. ترجمة:237. ابن حيان، المقتبس، ق02. ص31، 32.

[6] - ابن القوطية، المصدر السابق. ص95.

- عبد الملك بن عبد الله بن أمية بن يزيد ، دخل جده أمية الأندلس في طالعة بلج بن بشر ، ولي عبد الملك الكتابة بعد وفاة حامد الزجالي،سنة 268هـ/881م، ثم ولي الوزارة للأمير محمد، فلما ولي المنذر أقره على الوزارة، وعينه على القيادة فتولى ثورة ابن حفصون، وكان مقتله على يد "المُطرف بن عبد الله" على مسافة ميلين من إشبيلية، سنة 282هـ/895م. ابن الأبار، الحلة السيراء. ج2، ص373. ترجمة: 203.

[7] - ابن حيان المقتبس. ق02. ص143.

[8] - نفس المصدر والصفحة.

موقف الأمير الغاضب من كثرة تتّبعه لغلطات خصمه، إلا أنّ العداء بين الأسرتين بقي قائماً[1]، بل وصلت العداوة أشدّها؛ فقد حرَّض الكاتب "عبد الملك بن أمية" الأمير "المُنذر" على قتل حاجبه "هاشم بن عبد العزيز"، ثم سعى "أحمد بن هاشم" إلى تحرض "المُطرف بن عبد الله" على قتل "عبد الملك"[2].

وحدث الشيء نفسه بين "هاشم بن عبد العزيز" والكاتب "القومس بن أنْتَنْيان" خليفة "عبد الملك بن أمية" على الكتابة العامة، فقد ثبت أنّ الأمير محمد قال: «لو أن القومس كان مسلماً ما استبدلناه». فلما بلغه الخبر أشهد على إسلامه، فولاه الكتابة[3]، لأنّه من العيب أن يلي كتابة أمير المسلمين رجل نصراني، لكنّ "هاشم" ظلّ يشكّك في ذلك عند الأمير وداوم على محاولة الإيقاع بالكاتب، فلم يستطع إلى ذلك سبيلاً؛ لأنّ الكاتب كان شديد الحذر، متمكناً من الصنعة[4]، وبلغ مِنْ تتبع "هاشم" لـ القومس" أنّه جمع الشهود بعد وفاته ليثبت نصرانيته فيحرم ورثته من التركة وقد كانت كبيرة؛ لكنّ القاضي "سليمان بن الأسود الغافقي"[5] وقف حجر عثرة أمام كيد الوزير، وحكم بتوزيع بتوزيع التركة على ورثة الكاتب[6].

توضِّح قصة هاشم بن عبد العزيز" مع الكاتبين "عبد الملك بن أمية" و"القومس" بشكل لا يترك مجالا للشك أن لا سلطة للوزير المُدبر لشؤون الدولة القائم مقام الحاجب على الكاتب، بل كل خطة من الاثنين مستقلة عن

---

[1] - نفس المصدر. ص144.

[2] - ابن الأبار، الحلة السيراء. ج2، ص373. ترجمة: 203؛ ابن حيان، المقتبس. ق02. ص527، الهامش: 316.

[3] - ابن القوطيـة، المصدر السابق، ص95.

[4] - الخشني، المصدر السابق. ص159.

[5] - سليمان بن أسود بن يعيش بن جشيب، من مدينة غافق، ولي كورة ماردة وقت ولاية عمه سعيد بن سليمان قضاء الجماعة بقرطبة، ولاه الأمير محمد بن عبد الرحمن قضاء الجماعة بقرطبة. الخشني، المصدر السابق، ص155.

[6] - نفس المصدر، ص160، 161.

الأخرى، تتلقى أوامرها ونواهيها من الحاكم العام الذي هو الأمير أو الخليفة وإلا كيف يحتاج "هاشم" إلى الاحتيال للإيقاع بالكاتب.

إن ترتيب أهمية المناصب الإدارية المختلفة داخل الدولة الأموية والعلاقة التي تربط بينها لم يكن شيئاً ثابتاً طول مدة وجود هذه الدولة، فأهمية منصب الحجابة مثلاً اختلفت اختلافاً كبيراً بين عهد الإمارة وعهد الخلافة، وتبعاً لذلك اختلفت علاقة هذا المنصب بالمناصب الإدارية الأخرى. وقد اختلفت مكانة الخطط السياسية من حجابة وغيرها في الدولة حسب قوة الحاكم أو ضعفه، ذلك أنّ شأنها يسمو بسمو شأن الحاكم، أما إذا استبدّ به أحد أعوانه فإنَّ شأن الخطط يدنو[1]؛ وخير ما يُعبِّر عن هذا الوضع ما قاله أحد الشعراء:

هَبْكَ كمـا تَدَّعي وزيراً   وزيـر من أنت يا وزيـر

وَالله مَـا لِلأمير معنـى   فكيـف مَنْ وزرَ الأميـرَ[2].

لقد حددت الأعراف والتقاليد النابعة من طبيعة نظام الحُكم الأموي العلاقة بين الحاجب وأعضاء إدارته، فلم تكن مهامه ومهام رجال الإدارة مضبوطة بتعاليم مكتوبة، أو ميثاق معروف، إنّما توارثت الأجيال مجموعة من الرسوم فتم الالتزام بها أحياناً وتجاوزها أحياناً أُخرى؛ وذلك حسب قوة الحاكم في فرض النظام، أو ضعفه على حماية نفسه من الطامعين.

ففي المراحل التي عرفت فيها الأندلس حُكَّاماً أقوياء فرض هيبتهم النظام مثلما كان الحال في عهد عبد الرحمن الداخل، و"عبد الرحمن الناصر"، أما في المراحل التي عرفت حُكاماً ضعفاء فقد اختل النظام وتمَّ تجاوز الأعراف والقوانين التي تعوَّدت أن تسير عليها الدولة، مثلما حدث في المرحلة التي

[1] - ابن خلدون، المقدمة، ص436.
[2] - ابن حيان، المقتبس. ق02. ص137.

سميناها "مرحلة تسلط الحُجَّاب على الحُكم". لذلك فيمكن القول إنّ علاقة الحاجب بأعضاء الإدارة وبالجيش كان يختلف من مرحلة إلى أخرى.

2- علاقة الحاجب بالجيش:

منذ قيام الدولة الأموية في الأندلس وقيادة الجيوش موضع اهتمامهم الأمراء، فهي أهم المناصب العسكرية على الإطلاق، لذا كان أمراء بني أمية يقودون الجيوش بأنفسهم أو يُكَلِّفُون ثقاتهم بذلك من أولادهم مصحوبين بأحد القادة العسكريين من ذوي الخبرة والمهارة ليتولى إدارة المعركة[1].

لقد عنى "عبد الرحمن الداخل" بتنظيم جيشه أشدّ عناية، وحشد له المتطوعة والمرتزقة من سائر الطوائف، وبلغت قواته يومئذٍ نحو مائة ألف مقاتل[2]، «وكانت عادة الأمراء الأمويين منذ تأسيس الدولة إخراج الحُجَّاب والوزراء واستنفارهم للجهاد»[3]، فقد كلَّف "عبد الرحمن الداخل" مولاه بدراً بقيادة الجيش، ثم ولاّها حاجبه "تمام بن علقمة"[4]، الذي قضى على فتنة نشبت بـ "طليطلة"، بعدما عجز "عبد الرحمن الداخل" عن فتحها رغم حصارها لأشهر، قبل أن يعينه والياً عليها سنة (148هـ/764م) [5]. أما الحاجب الثاني" يوسف بن بخت" فكثيراً ما قاد الصوائف إلى "جليقية"، وأحرز انتصارات باهرة[6].

واعتمد الأمير "هشام الرضا" فقد على حُجَّابه اعتماداً كبيراً في قيادة الحملات إلى الشمال لمواجهة أطماع النصارى فقد سَيَّر حاجبه "عبد الملك بن

---

1 - سالم خلف، المرجع السابق. ج2، ص509.
2 - عنان، دولة الإسلام في الأندلس. ع1، ق2. ص687.
3 - ابن عذارى، المصدر السابق. ج2. ص237. ابن القوطية، المصدر السابق. ص89.
4 - ابن الأبار، الحلة السيراء. ج1، ص143. عنان، دولة الإسلام في الأندلس. ع1، ق1. ص198.
5 - ابن عذاري، المصدر السابق. ج2، ص79. عنان، دولة الإسلام في الأندلس. ع1، ق1. ص161.
6 - المقري، نفح الطيب. ج1، ص 45. ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2. ص375.

عبد الواحد بن مغيث" إلى "قطلونية" سنة (176هـ/792م) فاستولى على الكثير من القلاع والحصون، وسار حتى فتح أربونة[1]، وفي ربيع سنة (178هـ/795م) سيَّر "هشام الرضا" إلى "جليقية" حملة بقيادة حاجبه الجديد "عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث" فأصاب الكثير من الغنائم، وأخضع الشمال لحُكم المسلمين[2]، وقاد الحاجب نفسه حملة ضخمة إلى الشمال في إمارة "الحَكم الربضي" سنة (200هـ/815م) فتوغّل في أراضي "جليقية"، ونشبت بينهم وبين النصارى موقعة شديدة استمرت أياماً، وانتهت بهزيمة النصارى، وقتل منهم الكثير، ووقع في الأسر جماعة من أمرائهم، وأكابرهم، وعاد الحاجب إلى "قرطبة" ظافراً[3]. ويذكر "عبد الله عنان" حاجباً آخر أُسندت له قيادة الجيوش فبرع فيها خلال هذه الفترة؛ وهو "عبد العزيز بن أبي عبدة"[4].

وقد كلَّف الأمير "محمد" مُدبر دولته القائم مقام الحاجب "هاشم بن عبد العزيز" مهمة قيادة الجيش لإخماد ثورة "ابن مروان الجليقي" رغم وجود ولي عهده "المنذر" في صفوف الجيش، وسارت هذه الحملة اتجاه "بطليوس" سنة (262هـ/876م)[5]، وقد سيَّر الأمير "هاشم" إلى كورة رية في قوة كبيرة، باخماد ثورة "ابن حفصون"[6]، وتولى زيادة على ذلك القيادة لكثير من الغزوات الغزوات والحملات[7].

وقد اشتهر كثير من رجال الدولة الأموية ومنهم: "بدر" مولى الأمير "عبد الرحمن الداخل" و"تمام بن علقمة الثقفي" و"عبيد الله بن عبد الله بن عبد الرحمن الداخل" الشهير بصاحب الصوائف و"عبد الواحد بن يزيد

---

[1] - عنان، دولة الإسلام في الأندلس. ع1، ق1. ص227.
[2] - ابن الأبار، الحلة السيراء، ج1، ص135. عنان، دولة الإسلام في الأندلس. ع1، ق1. ص228.
[3] - المرجع نفسه. ص242.
[4] - المرجع نفسه. ص251.
[5] - ابن عذاري، المصدر السابق ، ج2، ص157. عنان، دولة الإسلام في الأندلس. ع1، ق1. ص305.
[6] - المرجع نفسه. ص309.
[7] - ابن الأبار، الحلة السيراء، ج1، ص137. عنان، دولة الإسلام في الأندلس. ع1، ق1. ص313.

الاسكندراني"، و"هاشم بن عبد العزيز"، و"غالب بن عبد الرحمن الناصري" الذي برز ذكره لأول مرة سنة (335هـ/946م) عندما كلّفه "الخليفة عبد الرحمن الناصر" بالخروج على رأس جيش كبير لإعادة بناء "مدينة سالم" كما قاد العديد من الحملات العسكرية الناجحة وعندما هاجم النورمانديون السواحل الغربية للأندلس في أوائل رمضان سنة 360هـ (يونيو971م) عهد الخليفة "المستنصر" إلى قائده "غالب الناصري" بالإشراف العام على القوات البرية والبحرية" لضلاعته وغنائه وعلمه بثقوب نظره ومحمود اكتفائه[1].

لقد كان الخليفة أو الأمير هو القائد الأعلى للجيش، الذي يُصدر القرار بخروجه للغزو، سواء تولى هو القيادة أو أناب عنه أحد رجاله، وهو الذي يعلن الحرب والسلم، وهو الذي يصدر قرارات القضاء على الحركات المناوئة[2]، وبناء القلاع وإحكام أسوارها وشحنها بالرجال والعتاد[3]. « فالأمير "عبد الرحمن الداخل" كان يتولى قيادة الجيوش بنفسه»[4]، وسبب ذلك ما بَدَرَ عن كثير من معاونيه من خيانة[5]، أما "عبد الرحمن الناصر" فقد صمم على إخماد الفتن شخصياً[6].

لقد كانت خطط التابعة لخطة قيادة الجيش كخطة الخيل والعرض وخطة خازن السلاح[7] وغيرها من أهم الخطط العسكرية في الدولة الأموية، وكثيراً ما ما كان الحاكم يُكَلِّفها من يثق به[8]، وكان للحُجَّاب الحظ الأوفر في ذلك، فقد

---

1 - سالم خلف، المرجع السابق. ج2، ص509.
2 - ابن عذاري، المصدر السابق، ج2. ص80، 81، 82، 95، 96، 103، 109، 112، 118، 122، 123، 127. ابن حيان، المقتبس، ق02. ص348. سالم خلف، المرجع السابق، ج2، ص509.
3- ابن عذاري، المصدر السابق ، ج2، ص155. ابن حيان، المقتبس، ق02. ص294، 334، 351. سالم خلف، المرجع السابق، ج2، ص509.
4 - عنان، دولة الإسلام في الأندلس. ع1، ق1. ص198.
5 - المقري، نفح الطيب، ج3، ص44.
6 - ابن حيان، المقتبس. ق03. ص189.
7 - سالم خلف، المرجع السابق. ج2، ص ص509- 332.
8 - سالم الخلف، المرجع السابق. ج2، ص509.

قَدَّم الأمير "عبد الرحمن" حاجبه "عيسى بن شُهيد" على الخيل، وكلّفه بقيادة مقاومة المجوس عندما دخلوا مدينة إشبيلية سنة (235هـ/850م)[1]. أما "عبد الرحمن الناصر" فقد كَلّف حاجبه "بدر بن أحمد" بقيادة الجيش والخيل والبُرَد[2]،حيث غزا حصن "بِلدَة"، ثم مدينة "لبلة" في رمضان سنة (300هـ/912م) [3]، ويمكن في حالات كثيرة أن يُكلَّف بقيادة الجيش أحد الوزراء[4].

ورغم أنّ الحاجب ظلّ طول فترة الإمارة والخلافة يقود الحملات ضد المناوئين إلا أنّه تحوّل مع "المنصور بن أبي عامر" إلى القائد الرسمي لجيش الحضرة بتعيين الخليفة "هشام المُؤيد" مما سمح له بإدخال تعديلات جذرية عليه، ثم اتّجه نحو الجيش، فانتزع من الخليفة قراراً بتعيينه قائداً لجيش الحضرة زيادة على تعيينه في منصب الحجابة[5]، وكان السبَّاق إلى الجمع بين المنصبين في تاريخ الدولة الأموية، لقد مثل هذا الحدث تحولاً خطيراً في تاريخ الدولة الأموية، ومن أجل إحكام السيطرة على الكُورِ التي دبَّت فيها الفتن، وعلى الجيش الذي يعتبر أَهَمَّ جهاز في الدولة فكَّر "محمد بن أبي عامر" في تجديده بحيث يكون مزيجاً من قبائل مختلفة وأشتاتاً متفرقة، فلا تجمعهم عصبية واحدة خوفاً من أن يتمرّدوا عليه في يوم من الأيام[6].

وبذلك أخلَّ "المنصور بن أبي عامر" بتركيبة الجيش الأموي الذي كان يتميّز بالقبائل والعشائر والبطون والأفخاذ، فقَدَّم القواد على الأجناد، وفي هذه الحالة أصبح في جند القائد فرق من قبائل شتى، فقضى على الروح القبلية التي

---

1 - ابن عذاري، المصدر السابق. ج2، ص93.
2 - ابن حيان، الحلة السيراء. ج1، ص253. سالم خلف، المرجع السابق. ج1، ص416.
3 - ابن الأبار، الحلة السيراء. ج1، ص136.
4 - ابن عذاري، المصدر السابق. ج2، ص293.
5 - ابن عذاري، المصدر السابق. ج2، ص394.
6 - عبد الله بن بلقين، كتاب التبيان. ص57.

كانت كل قبيلة تحرص على حفظ كرامتها من خلال سمعتها في المعارك، كلّ هذا فعله "المنصور" ليتحكّم في الجيش، ويجعله أداة قمع بيده[1].

لقد كان الأمير أو الخليفة هو القائد العام للجيش، وكان يُكلّف من يثق بهم من رجاله لقيادة الحملات لإخضاع الحركات المُناوئة، وكثيراً ما كان الحُجَّاب ينالون هذه الثقة، وقدْ يُكلّفُ هؤلاء الحُجَّاب بمنصب القيادة أو أحد الوظائف التابعة لها الخاصة بإعداد الجيش.

3 – الحاجب ومجلس الوزراء:

كان "عبد الرحمن الأوسط" أول من اتّخذ للوزراء بيتا يجتمعون فيه، ورتَّب اختلافهم إليه، للتَّكلم معهم ومشاورتهم في أمور الدولة[2]، يستدعيهم في كل يوم أو من يختص منهم[3]، أو يخاطبهم برقاع فيما يراه من أمور الدولة[4].

كان الحاجب يتقدَّم على الوزراء في السَّلام على الأمير عند الدخول إلى المجلس، ثم يليه باقي الوزراء[5]، ويكون ذلك إشارة لبداية الاجتماع، أما سُكوت سُكوت الأمير فمعناه اختتام مجلس الوزراء، وعليه يجب القيام.

قضت رسوم بني أمية بالأندلس أن يكون الحاجب أول المُتكلّمين من الوزراء في المجلس، وهو المُمَثِّل لهم والمُتحدث باسمهم إذا أرادوا قضاء حاجة، فقد حدث يوماً أن اتّفق الوزيران "هاشم بن عبد العزيز" و"تمام بن عامر بن علقمة"[6] مع الحاجب "عيسى بن الحسن بن أبي عبدة" على مفاتحة

---

[1] - سالم الخلف، المرجع السابق. ج2، ص932.
[2] - ابن القوطية، المصدر السابق، ص77.
[3] - ابن سعيد، المصدر السابق. ج2، ص46؛ ليفي بروفنسال، تاريخ اسبانيا الإسلامية. ص207.
[4] - ابن سعيد، المصدر السابق. ج2، ص46.
[5] - ابن حيان، المقتبس، ق02. ص27.
[6] - هو "تمام بن عامر بن أحمد بن غالب بن تمام بن علقمة"(184هـ/801م-283هـ/896م) ، جده هو حاجب "عبد الرحمن الداخل" وأول حاجب في الأندلس، وكان عالما أديبا، ولي الوزارة والخيل والقيادة للأمير "محمد بن عبد الرحمن" وولديه الأمير بن المنذر وعبد الله فانتظمت وزارته لثلاثة من الأمراء وعمَّر عمرا طويلا، حيث توفي وقد بلغ ستا وتسعين سنة، وله "الأرجوزة المشهورة في ذكر افتتاح الأندلس وتسمية ولاتها والخلفاء

الأمير "محمد بن عبد الرحمن" في أمر يخُصُّهم في آخر المجلس على أن يضمنُوا له إتمام الحديث بعد أن يفتتح هو القول، فقال الوزراء: «أنت الحاجب المتقدم لنا، وعليك البيان للأمير دوننا، ونحن نقفوا قولك ونشيعه بذكر اجتماعنا معك عليه، فإذا كان آخر المجلس فابتدئه بالقول، فسوف نكفيك تمامه، ونتناول آخره بما تعقد به أوله»، فأجابهم الحاجب لذلك وتقدَّم في نهاية المجلس إلى الأمير وطلب الإذن منه ليفاتحه في الموضوع، فلما أقبل عليه نهض الوزراء وغادروا المجلس ففطن الحاجب لمكيدتهم ورغبتهم في توريطه فاستعمل ذكاءه للتخلص من الورطة[1].

وكان لكلِّ عضو من أعضاء المجلس "دسَّـه"(وسادة) يقعُد عليها، فيخضع ارتفاعها عن الأرض لعدة مقاييس، ففراش الحاجب أرفع من فراش بقية الوزراء، ويختلف في كونه من الديباج[2]، ويختلف الوزراء أيضاً في درجة ارتفاع فرشهم حسب أهمية الوزارة أو لاعتبارات النسب، ولا يمُكن أن يُخِلَّ أحد بهذا النظام.

وكان لارتفاع الفرش ونوعه معاني كثيرة، فالحاجب هو الأعلى مرتبة في الدولة بعد الأمير لذلك يجب أن يكون فرشه أعلى وأغلى، ويليه بعد ذلك الوزراء وباقي أعضاء الإدارة الأندلسية حسب النسب أو أهمية الوزارة، فقد أراد الوزير "عيسى بن أبي عبدة" أن يكون مجلسه أعلى من مجلس الوزير "موسى بن حدير" في حضرة الأمير "عبد الله بن محمد"، خلافا لما كان قد رتَّبه والده الأمير "محمد بن عبد الرحمن" من رفع الموالي الشاميين على

فيها ووصف حروبها من وقت دخول طارق بن زياد مفتتحها إلى آخر أيام الأمير عبد الرحمن بن الحكم". ابن الأبار الحلة السيراء. ج1، ص143، 144؛ آنخيل جنثالث بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي. ترجمة: حسين مؤنس. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، دت. ص55.

[1] - ابن حيان المقتبس، ق02. ص152، 153.

[2] - ابن بسام، المصدر السابق. ق4، مج1، ص59.

البلديين، حيث كان "بنو حدير" من موالي البيت الأموي المشرقي لهذا كانوا معدودين في الشاميين، أما "بنو أبي عبدة" فكانوا موالي "مُغيث" الرومي مولى "الوليد بن عبد الملك" لهذا فقد كانوا معدودين في البلديين، ورغم أنّ والد "عيسى" وهو" أحمد بن أبي عبدة" كان من أكبر قواد الأمير "عبد الله" وكان صاحب الفضل في إنقاذ الإمارة من الضياع فقد فضَّل الأمير "عبد الله" التشدد في تطبيق تقاليد الجلوس المتعوَّد عليها من قبل وعدم إعطاء الاعتبار لأي شيء آخر، وقال:

مَوَالي قُرَيْشٍ مِنْ قُرَيْشٍ فقدِّمُوا مَوَالي قُرَيْشٍ لاَ مَوَالي مُعَتَّبِ[1]

إذَا كَانَ مَوْلاَنَا يُسَاوِمُ عِنْدَنَا سِوَاهُ فَمَوْلاَنَا كآخَرٍ أجْنَبي[2].

ويمكن أن يحضر بعض موظّفي الإدارة الأندلسية جلسات مجلس الوزراء كضيوف شرف، فبعد أن عيَّن الخليفة "عبد الرحمن الناصر" "محمد بن عبد الله بن أبي عيسى" في منصب قاضي الجماعة في منتصف شهر رجب 328هـ/ 940م، وطلب منه حضور المجلس دون أن يطلق عليه لقب وزير[3].

وقد غيَّر الحاجب "جعفر المصحفي" بعض تقاليد هذا المجلس بمساواة بينه وبين الوزراء في نوع الفراش ومستوى الجلوس، فقد أبدل فراشه بالكتان بدل الديباج ممُاثلا في ذلك لفراش الوزراء الذي كان بالكتان أيضاً، حيث قال: «أستحي من أصحابي أن أتمهَّد أكثر منهم مع عجزي على إدراك شأوهم، غير أنّاً نسلم لأمير المؤمنين اختياره، فإماّ يُساوي بيننا في فَرْش، وإما أقررنا

[1] - حوَّل اسم "مغيث" إلى "معتب" إغماضاً وانقيادا للقافية. ابن الأبار، الحلة السيراء. ص120.

[2] - نفس المصدر، والصفحة.

[3] - عياض أبو الفضل بن موسى، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك. تحقيق: سعيد أحمد غراب، الرباط: وزارة الثقافة والشؤون الإسلامية، 1402هـ/1986م. ج6، ص96.

على الأمر الأول ولا كفران لنعمته»[1]، وكان ذلك تظاهراً منه بالتواضع لكسب مودَّة الوزراء.

وقد عُين لبيت الوزراء خادم يقوم بتنظيم فرشه، وخدمة الوزراء في مختلف الأمور التي يحتاجونها حينما يجتمعون فيه[2]، كما عُيِّن له كاتبٌ يقوم بتدوين القرارات التي يخرج بها المجتمعون، وقد شغل هذا المنصب زمن الدولة العامرية "ابن النصر"[3] الذي شكا يوماً صُداعاً من رائحة المسك المنبعثة من بيت الوزارة، فأنشد أحد الوزراء قائلاً:

خَالَفَكَ المِسْكُ وَخَالَفْتَهُ فَأَنْتَ لاَشَكَّ لَـهُ ضِـدٌّ

أَمَاتَكَ المِسْكُ بِأَنْفَاسِـهِ كَمَا أَمَاتَ الجَعْلُ الـوِرْدَ[4].

والنص لا يُشير صراحة إنْ كانت رائحة المسك التي أثَّرتْ في الكاتب دائمة في بيت الوزارة، وهل تعوَّد الخادم تطْييب البيت أم لا؟

وكان للتعيين في الوزارة و الإقالة منها تعبير يرتبط بفرش البيت، فقد كان الكاتب "حامد الزجَّالي" قد بعث للأمير "محمد بن عبد الرحمن" كتاباً فاستحسنه، وأمر له بفراش الوزارة[5]. كما أثار الوزير "سليمان بن وانسوس" غضب الأمير "عبد الله" لانصرافه من مجلس الوزراء دون إذن، فأمر برفع دَسَّتِـه[6] (وسادته)[7]، وفي ذلك إشارة لعزله عن الوزارة.

---

[1] - ابن بسام، المصدر السابق. ق4، مج1، ص59.
[2] - ابن القوطية، المصدر السابق. ص133.
[3] - "ابن النصر" الكاتب أديب شاعر، عاش زمن الدولة العامرية وكان من المتصرفين فيها. الحميري، المصدر السابق، ص369. ترجمة: 975؛ الضبي، المصدر السابق. ص 524. ترجمة: 1573.
[4] - الحميري، المصدر السابق، ص369. ترجمة: 975. الضبي، المصدر السابق. ص 524. ترجمة:1573.
[5] - ابن القوطية، المصدر السابق. ص98.
[6] - الدست كلمة أعجمية معربة أخذت معنى الوسادة، لم ترد في لسان العرب؛ وقد وردت في بعض المعاجم الأخرى بمعنى ما يلبس الإنسان من الثياب ويكفيه لردده في حوائجه. محمد عبد الرؤوف المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف. تحقيق: محمد رضوان الداية. بيروت، دمشق: دار الفكر المعاصر، دار الفكر. ط1، 1410هـ. ج1، ص337.
[7] - ابن الأبار، الحلة السيراء. ج1، ص124.

وكان الانصراف من المجلس كما ذكرنا يخضع لرسوم وتقاليد هو الآخر، وأهمها الإستئذان، فإذا انصرف أحد أعضائه دون أن يُؤذن له تعرض لعقوبة العزل، فقد رُوي أن الوزير "سليمان بن وانسوس"[1] دخل المجلس يوماً وكان عظيم اللحية، فلما رآه الأمير "عبد الله" مقبلاً جعل يُنشد واصفاً لحيته:

هِلَّوفَـةٌ كَأَنَّـــهَا جَـوَالِـقٌ نَكْرَاءُ لاَ بَارَكَ فِيهَا الخَالِـقُ

لِلقَمْـلِ في حَافَاتِـــهَا نَقَائِـقُ فِيهَا لِبَـاغِي المتَّكَا مَرَافِقُ

وفي احْتِـدَامِ الصَّيْفِ ظلٌّ رائـقُ إن الـذِي يحمِلُهَا لمَـالِـقُ[2]

ثم قال له: «اجلس يا بربري!» فجلس وقد غضب فقال: «أيها الأمير! إنما كان الناس يرغبون في هذه المنزلة ليدفعوا عن أنفسهم الضيم، وأما إذا صارت جالبة للذُّلِّ فغنينا عنكم، فإن حُلتم ببيننا وبينها فلنا دور تسعنا، لا تقدرون أن تحولوا بيننا وبينها»[3]. ثم وضع يده في الأرض وقام من غير أن يُسلم، ونهض إلى منزله فغضب الأمير وأمر بعزله ورفع دسته، الذي كان يجلس عليها[4].

وكانت تُناقش في هذا المجلس أمور مختلفة في الحرب والسلم منها ميزانية المغازي والحروب، فقد اشترط الوزير "محمد بن أبي عامر" على مجلس الوزراء المجتمع سنة (366هـ/977م) والذي تَرَأّسَهُ الحاجب "جعفر بن عثمان المصحفي" مبلغ مائة ألف دينار لتجهيز الجيش للخروج لصدِّ

---

[1] - سليمان بن وانسوس هو سليمان بن محمد بن أصبغ بن عبد الله وانسوس المكناسي مولى سليمان ابن عبد الملك، أصله من البربر وله فيها بيت شريف في الأندلس، وكان جده أصبغ رئيساً بماردة مطاعاً، فثار على الحكم الربضي، لكن حفيده دخل في خدمة السلطان ونال مناصب مهمة من وزارة وولاية بعض الكور ومنها كور ألبيرة. ابن الأبار الحلة السيراء. ج1، ص160.

[2] - نفس المصدر. ص123.

[3] - نفس المصدر والصفحة.

[4] - ابن الأبار الحلة السيراء. ج1. ص 124.

عدوان المسيحيين على الأندلس، فاستكثرها أحد الحاضرين، فما كان من "ابن أبي عامر" إلا أن اقترح عليه ضِعْفَهَا على أن يخرج هو على رأس الجيش[1].

وكان الأمير "عبد الله بن محمد" كثير الاجتماع بوزرائه نظراً لأنّ أيامه كانت أيام فتنةٍ، فإذا انقضى خَوْضُهُ معهم في الرأي والتدبير، لأسباب مملكته وما كان يحُاوِلـُهُ من حسم علق الفتنة خاض معهم في الأخبار والعلوم، فقد كان هذا الأمير عارفاً بضروب العلوم، بصيراً بلغات العرب، فصيح اللسان، حَسَن البيان[2].

ويمكن أن تناقش في المجلس بعض قضايا القضاء، فقد كلَّف الأمير "محمد" مجلس الوزراء بالتحقيق في قضية بطاقة رُفعت إلى الأمير كُتب فيها: «إنّ "سليمان بن الأسود"[3] كَبُرَتْ سِنُّهُ، وَضَعُفَ بدنه، ولم يعد يقدر على القضاء»[4]. فبُعث للقاضي السابق "عمرو بن عبد الله"[5] ليُسأل في مجلس الوزراء إن كان هو باعثها، ويُسأل "سليمان" عما يجد في بدنه من القوة على القضاء[6].

وحسب التوجيهات العامة التي تصدر إليهم من الأمير تدور المناقشات بين الحاضرين في المجلس في مختلف أمور الدولة، ويتولّى الحاجب عرض ما يصدر عنهم من قرارات على الأمير في حالة عدم تمكنه من حضور

---

[1] - ابن عذاري، المصدر السابق. ج2، ص394.
[2] - نفس المصدر، ص229.
[3] - سليمان بن أسود الغافقي ولي كورة ماردة، ثم ولي قضاء الجماعة زمن الأمير محمد بن عبد الرحمن يوم عُزل "عمرو بن عبد الله" ثم تداولا قضاء الجماعة بينهما. الخشني، المصدر السابق. ج1، ص ص155-169. ص ص173-181.
[4] - المصدر نفسه، ص177.
[5] - عمرو بن عبد الله بن ليث بن القبعة أول من ولي قضاء الجماعة للخلفاء من موالي، فشق ذلك على العرب، وكان من صنائع الأمير عبد الرحمن قبل أن يلي الإمارة، ثم قلده قضاء الجماعة سنة(250هـ/865م)، ثم عزله عملاً بمشورة هاشم بن عبد العزيز، ثم عاد وولي القضاء (260هـ/875م-263هـ/878م). المصدر نفسه، ص ص146-154، ص ص170-172.
[6] - المصدر نفسه، ص177.

الاجتماع[1]، ويحول ما يوافق عليه إلى ديوانه الخاص فيصاغ صياغة ديوانية ثم يتولى الوزير صاحب العرض حملها على الأمير ليختمها بختم الدولة الرسمي، ثم يصدر في مرسوم[2].

وقد تكفّل مجلس الوزراء بمحاسبة الحاجب "جعفر بن عثمان المُصحفي" وأُدخل إليه راجلاً وهو يقول: «رفقاً بي فستدرك ما تحبّه وتشتهيه، وترى ما كنت ترتجيه، ويا ليت أن الموت بيع فأغلى الله سومه، حتى يرده من أطال عليه حومه»[3].

ويمكن أن تتعدى صلاحية المجلس مسألة محاسبة الحجاب أو القضاة إلى تنصيب أو عزل مثلما كان اقتراح الأمير "المنذر" استبدال "سليمان بن أسود الغافقي" بقاضي من اقتراح المجلس فوقع الاختيار على "عامر بن معاوية اللخمي"[4].

وكان الأمير يُعطي الحاضرين في المجلس الحرية التامة لطرح أفكارهم وآرائهم، بل كان يستعين بهذه الأفكار كل الاستعانة، فقد بلغ الأمير "عبد الرحمن بن الحكم" ذكاء وحسن تدبير "محمد بن السليم" صاحب المدينة وأمر بتوليته الوزارة مع المدينة، فلمَّا دخل البيت صار الحاضرون كلهم تبعاً له في الرأي[5]، وافتقد الأمير "عبد الله بن محمد" وجود وزيره المُقال "سليمان بن وانسوس" نظراً لمكانته في المجلس وأمانته وفضل رأيه، وقال: «لقد وجدْتُ لفَقْدِ "سليمان" تأثيراً، وإن أرَدْتُ استرجاعه ابتداءً منا كان ذلك غضاضة علينا، ولَوَدَدْتُ أن يبدأنا بالرغبة»، فبعث إليه مع أحد الوزراء، وكانت رُتبة

[1] - سالم عبد الله خلف، المرجع السابق، ج1، ص421.
[2] - نفس المرجع والصفحة.
[3] - ابن خاقان، المصدر السابق. ص63.
[4] - الخشني، المصدر السابق، ص182.
[5] - ابن القوطية، المصدر السابق. ص85.

الوزارة بالأندلس أن لا يقوم الوزير إلا لوزير مِثْلهُ، فان طلب لقاءَهُ لا يحجبه لحظةً، لكنّ "سليمان" أبطأ في الإذن للوزير على غير العادة، فلما دخل وجده قاعداً ولم يتزحزح من مكانه، فأنكر عليه ذلك فقال "سليمان": «كنت عبداً مثلك، وأنا اليوم حُرٌ»[1].

ويُلاحظ تبايُنٌ في عدد الوزراء الذين ضمَّهم المجلس فقد استوسع الأمير "عبد الله" في عددهم وأكثر منهم حتى اجتمع له في بيت الوزارة في بعض أوقاته ثلاثة عشر وزيراً، ولم يستبق منهم إلا أربعة وزراء في نهاية عهده[2]. أما "عبد الرحمن الناصر" فقد جمع في بيت الوزارة في مدّة أربعة وستين يوماً من سنة (330هـ/942م) ستّة عشر وزيراً، ولم يُعهد مثل ذلك لبني أمية[3]، وقد بلغ عددهم في نهاية سنة (329هـ/941م) أربعة عشر وزيراً[4]، وقد حدثت خلال تلك السنة حركة واسعة من التعيينات والإقالات في صفوف الوزراء، فقد عَزَلَ "الناصر لدين الله" جميع الوزراء بغتة لسبب أنكره عليهم، وأبقى منهم اثنين فقط[5].

وقد كان الأمير "عبد الله بن محمد" والخليفة "عبد الرحمن الناصر" يترأسان مجلس الوزراء شخصياً[6] نظراً لأنّهما عطّلاً منصب الحاجب، والذي كان بمثابة رئيس مجلس الوزراء لذلك العصر.

وقد عَرَفَتْ مكانة مجلس الوزراء و قراراته نفس المصير الذي عرفته الخلافة، فقد بنى "واضح الصقلبي" الفتى العامري حاجب "هشام المؤيد" سنة (401هـ/ 1011م) على الخندق الذي حفر حول مدينة قرطبة مجلساً عالياً

---

[1] - ابن الأبار، الحلة السيراء. ج1،ص124.
[2] - ابن حيان، المقتبس. ق03، ص06.
[3] - ابن حيان المقتبس. ق04، ص486.
[4] - نفس المصدر، ص471.
[5] - ابن حيان، المقتبس. ق04، ص470.
[6] - ابن عذاري، المصدر السابق. ج2، ص229.

يشرف منه على البربر وسماه "الديدبان" فكان الوزراء يجلسون فيه مع الفقهاء في كل يوم يتشاورون في أمور المختلفة، فكلّما دبروه في اليوم فسخوه في الغد[1].

لقد أصبح عمل الحاجب في الأندلس أكثر وضوحاً مع وجود هذا المجلس، وسهَّل من مهمة متابعة نشاط الوزراء، والأكثر من ذلك فقد كان له دور آخر على مُستوى الإدارة بصفة عامة، فكانت السجلات الرسمية والدواوين تحُفظ فيه في حالة شُغور المناصب الإدارية أثناء تغيير الموظفين إلى حين تعيين آخرين[2].

كان للحاجب تأثير كبير على القرارات التي يتّخذها مجلس الوزراء، باعتباره المُوَجِّه للمناقشات والمُتَرَئِّس للجلسات، في حالة عدم حضور الأمير أو الخليفة.

[1] - نفسه. ج3، ص105.
[2] - الخشني، المصدر السابق. ص169.

4– مكانة الحاجب المادية (الرواتب والمداخيل):

تُعتبر المعلومات الخاصة بمُرتَّبات الحُجَّاب بالأندلس في العهد الأموي قليلة جداً بحيث لا يسمح لنا ما تقدمه المصادر التاريخية من معلومات من رصد مدى ثبات أو تغيُّر راتب الحاجب عبر مختلف أطوار ومراحل الدولة الأموية بالأندلس، وكل ما نجده أن الحاجب كان يتقاضى راتباً يُقدر بثمانين ديناراً، «فقد زاد الخليفة من مرتبة "محمد بن أبي عامر" بعد غزوة مدينة سلمنقة، وأنهضه إلى خطة الوزارتين، ورفع راتبه إلى ثمانين ديناراً في الشهر». وقد أعقب "ابن عذاري" هذا الخبر بتعليق قصير لكنه مهم حيث قال: «وهو راتب الحجابة»[1]، وإذا أجرينا مقارنة بين راتب الحاجب مع راتب الوزير لوجدنا أنّه يفوقه بكثير، ففي سنة (361هـ/ 382م) ولي "علي بن محمد بن أبي الحسن"[2] الشرطة الصغرى مجموعة له إلى عمل القضاء بالثغر، وبلغ رزقه ثلاثين ديناراً[3]، لكن المُطَّلِعَ على ما نقله "ابن عذاري" في مناسبة أخرى يطرح تساؤلاً مهماً وهو: «هل كان الرزق مرتباً شهرياً؟» حيث يقول: «و بلغ عدد وزراء الأمير "عبد الرحمن بن الحَكم" تسعة، رزق

[1] - ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص398.
[2] - علي بن محمد بن أبي الحسن مشهور بالأدب و الشعر، وله كتاب في التشبيهات من أشعار أهل الأندلس. الحميدي، المصدر نفسه. ص277.
[3] - ابن حيان، المقتبس. ق02. ص81.

كل واحد ثلاث مائة دينار»[1]، فـ"ابن عذاري"لم يحدّد إن كان هذا الرزق هو راتب شهري أم لا.

ويذكر "المقري" أنّ "الناصر لدين الله" أسمى منزلة ذا الوزارتين "أحمد بن عبد الملك بن شهيد" على الوزراء جميعا وأضعف له رزق الوزارة وبلغه ثمانين ألف دينار أندلسية وبلغ مصروفه إلى ألف دينار، وثنى له العظمة لتثنيته له الرزق، وأمر بتصدير فراشه في البيت، وتقديم اسمه في دفتر الارتزاق أول التسمية، فعظُم مقداره في الدولة جدًا»[2].

ويبدو من خلال تكرار كلمة "الرزق" وقيمته المادية أن الأمر يتعلق براتب شهري، أما ما منحه "الناصر" لـ "ابن شُهيد" فهو مكافئة نظير هديته المشهورة.

ويتبيَّن لنا من العبارة الأخير لـ "المقري" أن أرزاق الحُجَّاب والوزراء كانت تكتب في سجلات خاصة، وبالتالي كانت مقدرة بقيمة معلومة. فقد نقل "ابن الأبار" أنّ رواتبهم كانت تُدَّونُ في ديوان خاص، وأنّ "أبا بكر الرازي" اطّلع على ديوان الرواتب ووجد أنّ راتب بعض الوزراء كان خمسمائة دينار[3].

وكان موظفو الدولة مسجَّلين لدى موظف بيت المال، الذي كان يستخدم دفاتر رسمية تسجّل فيها البنود وتقيد فيها الرواتب والأعطيات[4]. وكانت مصلحة بيت المال تتكوَّن من مجموعة من الموظفين الذين يسهرون على ضبط الحسابات ضبطاً دقيقاً يرأسهم شيخُ الخُزّان[5]، وكانت هذه الدفاتر هدفاً

[1] - ابن عذاري، المصدر السابق. ج2، ص121.
[2] - المقري، المصدر السابق، ج1، ص356.
[3] - ابن الأبار، الحلة السيراء. ج2، ص365.
[4] - ليفي بروفنسال، تاريخ إسبانيا الإسلامية. ص207.
[5] - ابن القوطية، المصدر السابق. ص84.

للتفتيش كلما دعت الضرورة لذلك، وقد تعرّض "محمد بن أبي عامر" في بداية عهده للمُساءلة، «فقد كان يبسط يده بالمال من بيت المال إلى أصدقائه عندما كُلّف بتسيير خزانة الدولة، فاتهمه منافسوه عند الخليفة بالسرقة»[1].

وكانت أُسَرُ الحُجَّاب كذلك تستفيد من دعم مادي تمنحه الحكومة الأموية ممثلة في الأمير أو الخليفة، فقد أجرى "عبد الرحمن الناصر" الرزق على ابني الحاجب "بدر بن أحمد" و"عبد الرحمن" و"عبد الله"، وذلك لكل واحد منهما ثلاثون ديناراً[2].

ولم يكن الراتب هو الدخل الوحيد الذي اعتمد عليه الحُجَّابُ الأمويون في الإنفاق على أنفسهم، فقد كان الحاجب "عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث" يقبل الهدية على قضاء الحاجة في الوقت الذي كان غيره يرفضها[3].

ويُوضِّح "ابن حيان" أنّه كان لوزراء الأمير "عبد الرحمن الأوسط" - بما فيهم الحجاب – خطط[4] بخلاف الوزارة يرتزقون عليها في كل شهر ثلاثمائة دينار[5].

لكن رغم راتب الحاجب الذي لم يكن كبيراً بالأندلس، فإنّ بعض حُجَّاب قد عرفوا سعة في الرزق وبسطة في العيش، ويتَّضح ذلك من خلال الهدية المعتبرة التي قدَّمها "جعفر المُصحفي" إلى الخليفة "الحَكم المستنصر" والتي أفاض "ابن خلدون" في وصفها قائلاً: «ولما توفي الناصر لدين الله تولى الخلافة بعده ولي عهده "الحَكم المُستنصر بالله" وولي حجابته "جعفر المُصحفي"، وأهدى له يوم ولايته هدية كان فيها من الأصناف ما ذكره "ابن

[1] - دوزي، المرجع السابق. ج2 . ص75.
[2] - ابن عذاري، المصدر السابق. ج2، ص239.
[3] - ابن القوطية، المصدر السابق، ص89.
[4] - تطلق "الخُطط" على المراتب السلطانية مثل الحجابة والوزارة والقضاء والحسبة، أما الخِطط فهي المباني والعمران في المدينة أو الدولة، يقال: خطة الكوفة. ابن منظور، لسان العرب. ج7، ص 287؛ الرازي محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح. تحقيق: محمود خاطر، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون. 1415هـ/1995م. ص76.
[5] - ابن حيان، المقتبس. تحقيق: د.محمود مكي. ص29.

حيان" في "المقتبس" وهي:« مائة مملوك من الإفرنج ناشئة على خيول صافنة كاملو الشّكة والأسلحة من السيوف والرماح والدرق والتراس والقلانس الهندية، وثلاثمائة ونيف وعشرون درعًا مختلفة الأجناس، وثلاثمائة خوذة كذلك، ومائة بيضة هندية، وخمسون خوذة خشبية من بيضات الفرنجة من غير الخشب يسمونها الطشطانة[1]، وثلاثمائة حربة إفرنجية، ومائة ترس سلطانية، وعشرة جواشن[2] فضة مذهبة، وخمسة وعشرون قرنا مذهبة من قرون الجاموس»[3].

وقد بلغت درجة غنى "المُصحفي" أن ابتنى القصور والضياع، وقد حسدته الأسر الكبرى لذلك ولاصطفاء الحكم له دونهم، ثم تغلّبه على دولة "هشام المؤيد" واستئثاره بخيرات الدولة[4].

وأدّت محاسبة الحجاب ونكبهم إلى مصادرة أموالهم وأموال أسرهم فقد بعث الأمير "المنذر" رجاله إلى الحاجب "هاشم بن عبد العزيز" فقتله وسجن أولاده، وألزمهم غرم مائتي ألف دينار وانتهب ماله وهدم داره[5]، كما صادر "المنصور بن أبي عامر" أموال الحاجب "جعفر المُصحفي" وعائلته بعد نكبه[6].

1 - الطاشنة، والطشطانة Tastina كلمة مشتقة من البروفنسالية Testa أي الرأس Tête وتعني الخوذة. المقري، نفح الطيب، ج1، ص382. هامش5.
2 - الجوشن اسم الحديد الذي يلبس من السلاح. ابن منظور، لسان العرب. ج 13، ص88.
3 - ابن خلدون، العبر. ج4، ص173.
4 - ابن بسام، المصدر السابق. ق4، مج1، ص59. ابن خاقان ، المصدر السابق. ص63.
5 - ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص175. ابن الأبار، الحلة السيراء، ج1، ص138.
6 - ابن عذاري، المصدر السابق. ج2. ص399. ابن الأبار، الحلة السيراء.ج1. ص259. عنان، المرجع السابق، ع1، ق2. ص530. دوزي، تاريخ المسلمين في الأندلس. ج2، ص101.

4- الحُجَّاب و الحياة الأدبية والعلمية:

لا شكّ أنّ الوصول إلى منصب الحجابة كان يتطلّب مميزات ومؤهِّلات أدبية وذهنية وشخصية مختلفة تظهر فيمن يريد الوصول إلى هذا المنصب، فتساعده على أداء الأمثل لمهامهم بل تجعله يقوم بها ببراعة تامة.

فقد تميَّز الحاجب "عبد الرحمن بن عبد الواحد بن المغيث" بمقدرته العسكرية الفائقة وقيادته للصوائف والحملات ضد المماليك النصرانية في

الشمال[1]، بالإضافة إلى أنّه تولّى الكتابة للأمير عبد الرحمن الأوسط[2]، وقد كان بحقّ كما وصفه ابن حيان: «أكمل من حمل هذا الاسم (الحاجب)، وأجمعهم لكل جملة حسنة»[3].

وقد كان هذا الحاجب شاعراً مُفوَّها، وأنشد له "ابن حيان" في رثاء "الحكم بن هشام" وتهنئة ولده الأمير "عبد الرحمن بن الحكم" بالحكم الأبيات التالية:

كان الزمان مرزأ بخليفة أودى فكاد نهارنا أن يظلما

حتى إذا قعد الإمام لبيعة كالغيث شح بوبله ثم انهمى

لله أية بيعة ما أعظما وأجل فخرا في الأنام و أفخما

أعطت قريش بيعة مرضية لإمامها الملك الكريم المنتمي

وبدا كمثل البدر ينصدع الدجى عنه ويكشف نوره ما أبهما

لله أنت أبو المطرف في الوغى ولخائف ولمعتف قد أعدما[4].

ومن أهم مميّزات الحاجب "عيسى بن شُهيد" حسن اختياره لوزراء حكومته ورجال خدمته مما جعله موفّقاً في عمله ، وقد حرص على إسداء النصح لهم بما يُحَسِّنُ من مستوى آدائهم لمهامهم، ثم رعايتهم حتى يصلوا إلى مراتب الدولة[5]؛ فقد نصح "عبد الواحد الاسكندراني"، بالإمساك عن الغناء ، ثم ثم َقرَّبَهُ من الأمير عبد الرحمن الأوسط فاستندمه، ولم تزل عنايته تصحبه حتى ولاّه الوزارة والمدينة[6]؛ وكان قد أُعجب بطريقة عمل كاتبٍ عيَّنه حين خرج إلى إشبيلية غازياً، وهو "محمد بن موسى الغافقي"، فصحبه معه إلى قرطبة واستوزره[7]، ولم يتوقف أمره عند هذا الحد؛ بل أصبح وكيل ولي العهد

---

[1] - ابن خلدون، العبر. ج4، ص154.
[2] - ابن حيان، المقتبس. ق02. ص170.
[3] - نفس المصدر. ص165.
[4] - ابن الأبار، الحلة السيراء، ج1، ص135.
[5] - ابن حيان، المقتبس، ق02. ص169.
[6] - ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص89.
[7] - نفس المصدر، ص 90.

العهد الأمير "محمد بن عبد الرحمن"[1]. وسر إعجاب الحاجب بعمل الكاتب هو حبه للأدب لأنّه لا يمكن له إتقان عمله دون أن تكون له موهبة أدبية كبيرة.

وكان الحاجب"هاشم بن عبد العزيز" مميزاً كذلك، فقد وصفه "ابن الأبّار" قائلاً: «واجتمعت فيه خصال لم تجتمع في سواه من أهل زمانه إلى ما كان عليه من البأس والجود والفروسية والكتابة والبيان والبلاغة وقرض الأشعار البديعة»[2]؛ لكن رغم كل هذا المديح فقد نسب إليه الكثير من المُؤرخين سبب الفتنة التي حدثت زمن الأمير "محمد"، وذلك لسوء تصرّفه[3].

ولهاشم في مدينة "إلبيرة" يذم وروده عليها وهي مكان أوليته:

إذا نحن رحنا عنك يا شر بلدة فلا سقيت رباك صوب الرواعد

ولا زال سوط من عذاب منزل على قائم من ساكنيك وقاعد

فأجابه فتى من أهلها المتأدبين:

لقد حرم التَّوفيق من ذم بلدة يروح بها في نعمـة وفوائـدِ

ومن يتمنى سوط خِزْيٍ منزل على قائم من ساكنيها وقاعد

فإن كنتم لم تحمدوا ما اختبرتم فكل لكل لائم غير حامـد[4].

وله شعرٌ كتب به إلى الوزير وليد بن غانم[5]، وهو في أسره:

فكم غصة بالدمع نهنهت خوف أن يسر بما أبديه شنان كاشح

تحاملت عنه ثم نادمت في الدجى نجوم الثريا والدموع سوافح[1].

---

[1] - نفس المصدر، ص93.

[2] - ابن الأبار، الحلة السيراء. ج1، ص137.

[3] - ابن سعيد، المصدر السابق. ج1، ص53.

[4] - ابن الأبار، الحلة السيراء. ج1، ص142.

[5] - وليد بن عبد الرحمن بن عبد الحميد بن غانم ولي للأمير محمد بن عبد الرحمن خطتي الوزارة والمدينة وقاد جيش الصائفة لابنه عبد الرحمن بن محمد وذكر ابن حيان من وفور هذا الجيش ما يستغرب واختص وليد هذا بصداقة هاشم بن عبد العزيز وإياه خاطب من موضع أسره دون الوزراء وهو قام بعذره عند الأمير محمد فشكر وفاؤه وكان كاتبا أديبا مرسلا بليغا وابناه محمد وعبد الرحمن من أهل الأدب والبلاغة والشعر ومحمد أبعدهما شأوا في ذلك وقد عاشر المطرف ابن الأمير محمد على الأدب وكاتبه بالشعر وولي المدينة والوزارة والكتابة وارتفع قدره في الدولة، وتوفي وليد في شعبان سنة اثنتين وسبعين ومائتين، ابن الأبار، الحلة السيراء. ج2، ص374.

وكان سبب نكب الأمير "المنذر" لحاجبه هاشم أبيات من الشعر رثا بها الأمير "محمد"؛ وكان له من الشعر الكثير يستعطف به الأمير بعد سجنه:

وإني عـداني أن أزورك مُطبـق وبابٌ منيـع بالحديـد مُضَبَّبٌ

فإن تعجبي يا عـاج ممَّا أصـابني ففي ريب هـذا الدهر ما يتعجب

وفي النفس أشيـاء أبيت بغمِّـها كأني على جمـر الغضا أتقلـب

تركت رشاد الأمر إذ كنت قادراً عليـه فلاقيت الذي كُنـت أرهب

وكم قائلٍ قال انج ويحـك سالماً ففي الأرض عنهم مُستراد ومذهب

فقلت لـه: إنَّ الفـرار مذلـةٌ ونفسي على الأسواء أحلى وأطيب

سـأرضى بحكم الله فيما ينوبُني وما من قضـاء الله للمرء مهرب

فمن يَكُ مسروراً بحالي فإنـه سينهل في كأسي وشيكاً ويشرب[2].

وقد كان الحاجب "جعفر المُصحفي" من أهل الأدب البارع، ولـه شعر كثير يدل على طبعه وسعة أدبه[3]، فقد أنشد يهنِّئ الخليفة "الحَكم المُستنصر" على ميلاد ولي العهد "هشام":

هنيئـاً للأنـام وللإمـام كريم يستفيد على كرام

مُرَجَّى للخلافـة، وهو ماء ومأمول لآمال عظـام

أضـاء على كريمته ضـياه فلم تعلم بغاشية الظلام

ولم لا يستضـاء بجانبيـها وبين ضلوعها بدر التمام[4]

---

[1] - ابن الأبار، الحلة السيراء. ج1، ص141.

[2]- ابن الأبار الحلة السيراء. ج1، ص140. إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي (عصـر سيادة قرطبة). عمان: دار الشروق. ط1، 1997. ص89. عمر فروخ، المرجع السابق، ج4، 134.

[3] - عبد الواحد المُراكشي، المصدر السابق. ص62.

[4] - ابن عذاري، المصدر السابق. ج2، ص353.

وله في وصف سوسنة قائلاً:

يا ربَّ سوسنة قد بتُّ ألثمها وما لها غير كعم المسك من الريق
مُصفرة الوسط مبيض جوانبها كأنها عاشق في حجر معشوقِ[1].

ووصف تفاحة بقوله:

لَعَمْرِي لَئِنْ أَهْدَيْتُ نَفْسِي وَمَا حَوَتْ فَأَنْتَ بهَا مِنِّي أَحَقُّ وَأَمْلَكُ
وَلَكِنَّنِى أُهْـدِي التي لا تَـرُدُّهَـا يمينُ ولاَ فِيهَا لِذِي اللحظ مَتْرَكُ
تناولتُهـا مـن غُصنهـا وكـأنّهـا من الحسن ذاك الناجم المتفلك[2].

ووصف سفرجلة قائلاً:

ومصفرةٍ تختالُ في ثوبِ نرجسٍ وتعبق عن مسك ذكيِّ التنفسِ
لَها ريـحُ محبوبٍ وقسـوةُ قلبهِ ولونُ محبٍّ حُلةَ السقمِ مكتَسِ
فصُفْرَتهَـا مِـنْ صُفرتي مُستعارةٌ وأنفاسُها في الطِيبِ أنفاس مُؤْنسِي
فلمَّا استْتمت في القضِيبِ شَبَابهَا وحَاكَتْ لها الأنْوَاء أبرادَ سُنْدُسِ
مددتُ يدي باللُّطفِ أبغِي اقتطافَها لأجعلهـا ريحانتي وسـط مجلسي
وكَان لها ثوْبٌ مـن الزَّغْب أغبرٌ يَرِفُّ عَلى جسمٍ من التبر أملس
فلـمَّا تعرَّت في يدي من لباسـها ولم تبـق إلا في غـلالة نرجـس
ذكرتُ بهـا من لا أبوح بذكـرهِ فأذبلـها في الكف حـر تنفُّسي[3].

فلمَّا نكبه الحاجب الذي خلفه "محمد بن أبي عامر" وسجنه، استعطفه واستشفع كثيراً فلم ينل شفاعة:

عَفَا اللهُ عَنْكَ ألاَ رَحْمَـةً تَجُـودُ بعَفْـوِكَ إنْ أبْعَـدَا
لَئِنْ جَلَّ ذَنْبٌ وَلَمْ أعْتَمِـدْهُ فَـأَنْتَ أجَـلُّ وَأعْلَى يَـدَا

---

[1] - ابن الأبار، الحلة السيراء.ج1، ص261. إحسان عباس، المرجع السابق. ص96.
[2] - ابن خاقان، المصدر السابق. ص60. ابن الأبار، الحلة السيراء.ج1، ص261.
[3] - ابن خاقان، المصدر السابق. ص59. ابن الأبار، الحلة السيراء. ج1، ص262.

أَلَمْ تَـرَ عَبْـداً عَـدَا طُورَهُ وَمَـوْلَىَ عَفَا وَرَشِيداً هَـدَى

أَقِلْني أَقـالَـكَ مَنْ لَمْ يَزَلْ يَقِيكَ وَيَصْرِفُ عَنْكَ الرَّدَى[1].

وبلغهُ أن أقواماً توجعوا له، وتفجعوا مما وصله، فكتب إليهم:

أحنُّ إلى أنفاسكم فأظنهـا بواعـث أنفـاس الحياة إلى نفسي

وإن زمـاناً صرت فيه مفنداً لأثقل من رضوى وأضيق من رمسى[2].

وقد كان "المنصور ابن أبي عامر" أشهر الحُجاب دون منازع، فقد تميز بطموحه الذي فاق به الآفاق. فتسلق سلّم المجد درجة درجة حتى وصل إلى مبتغاه فحقّق مناه، وحكم الأندلس دون أن يشاركه في ذلك أحد حتى الخليفة نفسه. وقد اجتمعت فيه صفات ومميزات عديدة تفوق الحصر؛ ومنها سعة علمه فقد عين في منصب القضاء وكان لا يُعين فيه إلا مُتفقه في الدين.

«وقد كان لـ "ابن أبي عامر" لما تولى تمكن من الحكم مجلس في كل أسبوع يجتمع فيه أهل العلم للمناظرة بحضرته ما كان مقيماً بقرطبة»[3].

وقد اعتنى وتشدَّد في جودة الكتب التي تبعث إليه من خلال جودة النص ونوعية المداد، حتى لقد أصدر عهدًا يوبِّخ فيه العُمال لاستكتابهم الجهلة الذين لم يبلغوا إحكام الخط وتمييز أنواع الرق والمداد، وهدَّد من يكتب في رقٍّ رديء أو مداد دني أو خط خفي فيه لحن أو بشر فإنه معزول وسيغرم المال الذي ذُكر في الكتاب[4].

«وبلغ من إفراط حبه للغزو أنّه ربما خرج للمُصلى يوم العيد فحدثت له نية في ذلك فلا يرجع إلى قصره، بل يخرج بعد انصرافه من المصلى كما هو من فوره إلى الجهاد، فتتبعه عساكره به أولاً فأولا، فلا يصل إلى أوائل بلاد

---

[1] - إحسان عباس، المرجع السابق. ص90.
[2] - ابن خاقان، المصدر السابق. ص64.
[3] - المراكشي، المصدر السابق. ص83.
[4] - إحسان عباس، المرجع السابق. ص96.

الروم إلا وقد لحقه كل من أراده من العساكر. غزا في أيام مملكته نيفاً وخمسين غزوة وقد ذكرها ابن حيان في كتابه "المآثر العامرية"، واستقصاها كلها بأوقاتها وذكر آثارها فيها؛ وفتح فتوحاً كثيرة، ووصل إلى معاقل قد كانت امتنعت على من كان قبله، وملأ الأندلس غنائم وسبياً من بنات الروم وأولادهم»[1].

«وكان في أكثر زمانه لا يُخل بأن يغزو غزوتين في السنة، وكان كلما انصرف من قتال العدو يأمر بأن يُنفض غبارُ ثيابه التي حضر فيها معمعة القتال، وأن يجمع ويُحتفظ به؛ فلما حضرته المنية أمر بما اجتمع من ذلك أن يُنثر على كفنه بعد وضعه في قبره»[2].

وكان كمن سبقه من الحُجَّاب ناظماً للشعر، فقد قال مُفتخراً:

رميت بنفسي هول كل عظيمة وخاطرت والحر الكريم مخاطر

وما صاحبي إلا جنان مشيـع وأسمـر خطي وأبيض باتـر

ومن شيمي أبي علي كل طالب أجـود بمـال لا تقيه المعاذر

وإني لزجـاء الجيوش إلى الوغي أسود تلاقيها أسود خـوادر

لسدت بنفسي أهل كل سيادة وكاثرت حتى لم أجد من أكاثر

وما شدت بنيانا ولكـن زيادة على مـا بنى عبد المليك وعامر

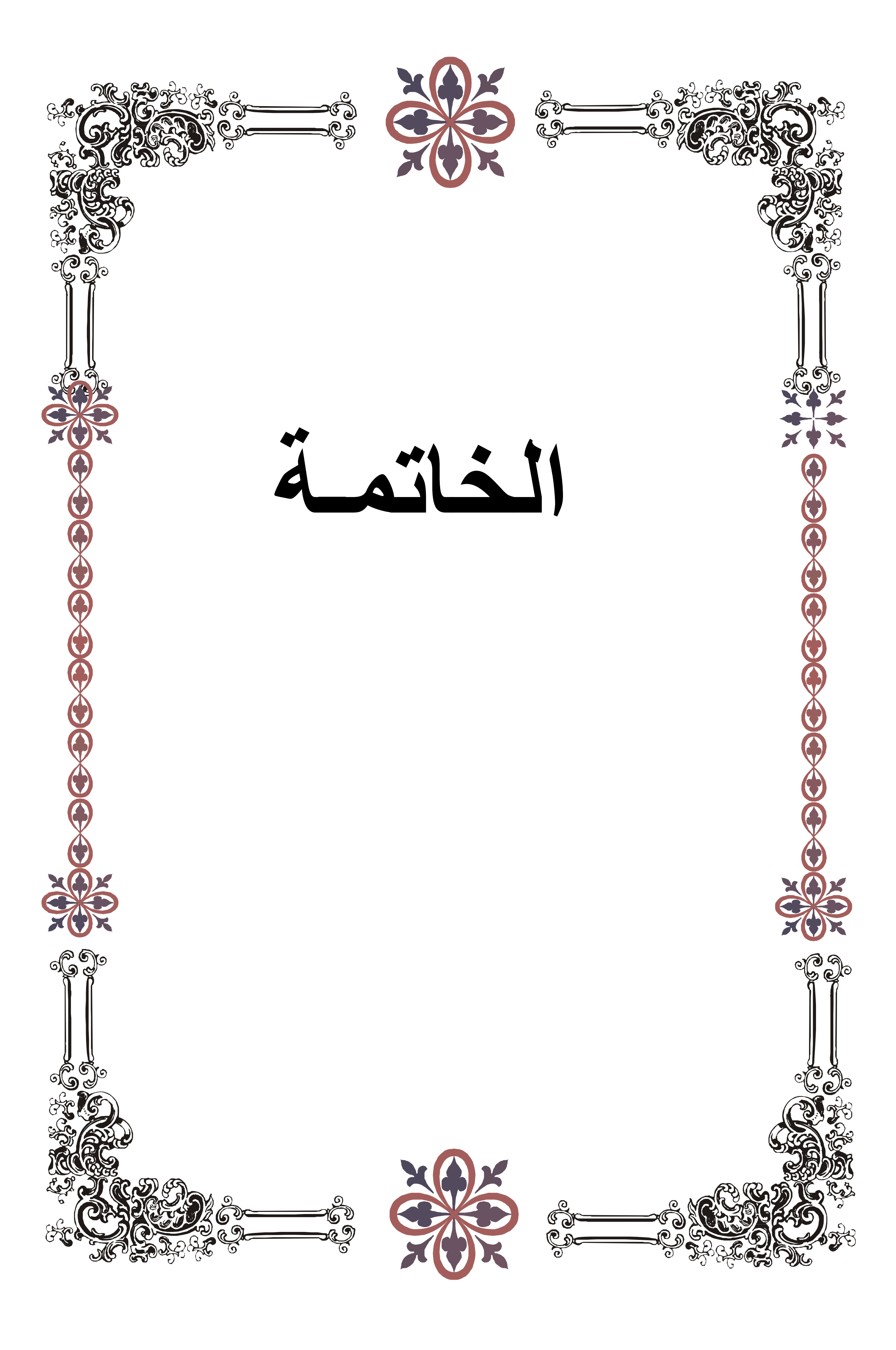
رفعنا المعالي بالعـوالي حديثـه وأورثنـاها في القـديم معافـر[3].

وهكذا امتاز الحُجَّاب بالأندلس بشخصيات قوية، وكانت قوّتهم مستمدّة من تنوّع معارفهم وتجاربهم، فكان منهم الشاعر البليغ، والقائد المُحنك، والذكي المُقدِّر لعواقب الأمور، وكانت الحجابة منصباً إدارياً له قوانين تضبطه،

---

[1] - عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق. ص83.
[2] - نفس المصدر. ص84
[3] - نفس المصدر، ص275. عمر فروخ، المرجع السابق. ج4، ص317.

فخُصِّ ص لـ ـه راتـ ب مع ين، وعُ يِّن لـ ـه موقـ ع مع روف فـ ي الاحتفـ الات والاستقبالات.



الخاتمـة

الخــاتمة

تطورت الممارسة السياسية تطوراً كبيراً زمن الدولة الأموية بالأندلس، فقد ظهر التنظيم المحكم للإدارة جلياً، وظهر من خلاله عبقرية الأمويين في هذا الشأن، وما كانت الدولة تصل إلى هذا المستوى من الإتقان في التنظيم لولا الجِدِّية التي تعامل بها الأمراء والخلفاء مع الأحداث التي واجهت تطور دولتهم، فكان الحزم سمة سياستهم، فقد تكفَّل "عبد الرحمن الداخل" بنفسه في إخماد الثورات المناوئة له، أو كلَّف أهم رجال دولته بمهام في هذا الشأن، وعهد لحاجبيه "تمام بن علقمة" و"يوسف بن بخت" بإخماد كثير من الثورات، وولاية بعض الكور التي عُرفت بكثرة المتمردين.

كانت مرحلة الأمراء الثلاثة الأوائل مرحلة تأسيس الدولة والقضاء على المُعارضين، فلم يُكَلِّف "عبد الرحمن الداخل" و"هشام الرضا" و"الحَكم الرَّبْضي" أنفسهم عناء إنشاء نظام جديد للحُكم واكتفوا بما ورثوه عن أجدادهم في المشرق، وقد استمرت الحجابة في هذه المرحلة على ما كانت عليه أيام الدولة الأموية في دمشق، وهي حجابة الحاكم عن العامة.

لقد مثَّل إعتلاء "عبد الرحمن الثالث" الحُكم حدثاً مهماً في تطور الحجابة في التاريخ الإسلامي على وجه العموم، وفي الأندلس على وجه الخصوص، نظراً للدور المُهم الذي أصبح يلعبه الحاجب في تسيير الإدارة الأموية، فقد كان هو الركن الأساسي للنظام الإداري، وتطورت مهامه من تنظيم الدخول على الأمير كما كان في عهد الخلفاء الثلاثة الأوائل، إلى القيام بمهمة تنظيم عمل الوزراء والتنسيق بينهم، بالإضافة إلى مهام أخرى أُوكلت لـه زادت من أهمية هذا المنصب.

لقد مَارَسَ الحُجَّاب أبرز مهامهم المتمثلة في الإشراف على عمل الوزراء من خلال ترأس المجلس الذي أُلزموا الاجتماع فيه كلَّما اُستُدعوا

لذلك، فخُصِّصت له قاعة في قصر الأمير ابتداءً من عهد "عبد الرحمن الأوسط"، وأصبح لهذا المجلس أعراف وقوانين ورسوم يجب احترامها والالتزام بها، وعمل الأمراء والخلفاء على الحفاظ عليها من خلال عزل أو معاقبة كل من يخل بذلك.

استعان الحُكَّام الأمويون في الأندلس برجال من مواليهم في إدارة شؤون الدولة، وقد حرصوا كل الحرص على إسناد أكثر المناصب الحسَّاسة في الدولة إلى رجال من أسر مُعينة من المواليهم، لضمان إخلاصهم وتفانيهم في الخدمة، فكانت الحجابة منحصرة في أسر "آل المُغيث" و"آل شُهيد" و"آل أبي عبدة"، وقد تعددت مواهب الحُجَّاب، فقد كان من بينهم "تمام بن علقمة" الذي قاد الحملات العسكرية لإخضاع الثائرين على الدولة المركزية بـ"قرطبة"، و"عبد الكريم بن الواحد بن مُغيث" الذي توجَّـه في الصوائف لغزو الممالك المسيحية في الشمال، و"عيسى بن شُهيد" الذي لم يخدم بني أمية أفضل منه إخلاصاً ولا أكثر تفانٍ.

بقدر ما كان حرص الحُكَّـام الأمويين على إبقاء الحجابة وباقي المناصب الحسَّاسة في الدولة بين بيوتات معينة بقدر ما كانت شدة تعامل هذه البيوتات ومحاربة من يُهدد مكانتها في السلطة ونفوذها السياسي، وعلى هذا الأساس قام الصراع بين الحاجب "جعفر بن عثمان المُصحفي" أهم أسر قرطبة، وقد عملت هذه البيوتات أن يبقى أمر الحجابة بينها وعدم خروجه عنها، وأعتبرت ذلك حقاً مشروعاً، فوقفت بكل قوة أمام من يريد سلبها إياه، ولم يدرك الحاجب "جعفر المُصحفي" هذه الحقيقة، فقد عمل على السيطرة على مناصب الدولة بعد تعيينه حاجباً، فعين أقاربـه عل رأس الخطط الهامة في الدولة، وقد كان ذلك العداء لـ"المصحفي" عداءً قديماً، فلما أحضى "الحَكم المُستنصر"

"جعفر المصحفي" واصطنعه وقدمَّـه عليهم ، حسدوه وذموه، وكانت أشهر الأسر التي عادت المُصحفي "آل أبي عبدة" وآل شُهيد" و"آل جهور" و"آل فطيس"، ، فأيقن "المُصحفي" بالهلاك وتحقق من النكبة وزوال الرتبة.

رغم الأهمية الإدارية التي مثَّلها وجود منصب الحجابة إلا أن هذا المنصب قد غاب خلال بعض فترات تاريخ الدولة الأموية، فقد كان "عبد الرحمن الأوسط" أول المجمدين له، ذلك بعد تنافس الوزراء ورجال الدولة من أجل تعيينهم فيه، فضجر الأمير من ذلك وأبقى المنصب فارغاً لفترة، ثم جُمِّد زمني الأمير "عبد الله" والخليفة "عبد الرحمن الناصر" نظراً لتفضيلهما أمر مباشرة أمور الدولة بنفسهما فالدولة كانت في زمن الأول مُهَدَّدَةً بالفتن، وأما الثاني فقد فضَّل إبراز قوته بتسيير الأمور بيد من حديد.

لقد استعان الخلفاء الأمويون بحُجَّاب غير الحُجَّاب الرسميين عند استقبال وفود المهنئين أثناء المناسبات والأعياد، أو عند قدوم رسل الدول التي ربطتها بها علاقات دبلوماسية، وكانت هذه المهمة مؤقتة لمن يقوم بها، حيث أوكلت إلى أعلى رجال الدولة شأناً، فقد كلَّف "الحَكم المُستنصر" سنة (360هـ/971م) القائد "غالب بن عبد الرحمن" بمهمة حجابته عند زيارة رسل روما وتقديمه على "جعفر المصحفي" رغم مكانته في الدولة.

وقد أدَّت المنافسة الشديدة على الحُكم في عهد الخليفة "هشام المؤيد" على اعتلاء منصب الحجابة من طرف رجلين مُهمين في الدولة، وهما القائد "غالب" و"جعفر المصحفي"، وكان ذلك استثناءً إذْلم يسبقْ أن وقع مثل هذا الحادث في تاريخ الحجابة بالأندلس.

ونسجل حادثة فريدة لم يسبق لها وقوع في الأندلس فقد عُيِّن في منصب الحجابة رجل من الأسرة الأموية وهو "عبد الجبار بن المغيرة" الذي حجب

لابن عمه الخليفة "محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر" الملقب بـ"المهدي" وكان سبب ذلك عدم ثقة الخليفة الجديد إلا في أبناء عمومته.

لقد مثَّل ظهور "محمد بن أبي عامر" على الساحة السياسية حدثاً مهما في تاريخ الدولة الأموية بالأندلس، فقد تمكن بفضل ما يتميز به من خصائص شخصية نادرة ومواهب خارقة وطموح لا حدود له من الوصول إلى أرقى مراتب الدولة، فمن مُوظَّف في مصلحة قاضي الجماعة، إلى قضاء العدوة المغربية وتسيير شؤونها المالية والعسكرية، ثم الوزارة، فالحجابة، إلى الاستحواذ على الخلافة والحَجر على الخليفةِ. ولم يكن أمر الوصول إلى هذه المرتبة سهلاً كما لم يكن الطريق مفروشاً بالورود، فقد واجه" ابن أبي عامر" صعوبات جمةً، ومخاطر جليلة، فقد اضطر أول الأمر أن يجد لنفسه مكانة في القصر ولم يكن له سابق خدمة فيه، ثم عمل على كسب عطف نسائه، وتَقَرَّب من الحاجب "المصحفي" فتغمده برعايته، وعينه في أهم مناصب الدولة، فلما تمكن من الأمر وقَوِيَّ عُودُهُ عمل على مُصاهرة أهم رجال الدولة وهو القائد "غالب"، واستعان بأهم أسر قرطبة من أجل التخلص من الحاجب "المُصحفي".

لم يقف طموح "ابن أبي عامر" عند هذا الحد فقد كان يُفكر في التخلص في كل من يرى فيه منافساً خطراً، فاستعان بجند من البربر من أجل التخلص من صهره "غالب"، ثم قتل غدراً "جعفر بن علي بن حمدون" خوفاً من بأسه وإخلاص جند البربر له، وبذلك خلا الجو له واستحوذ على الحُكم.

لقد توارث ابنا "المنصور بن أبي عامر" "عبد الملك" و"عبد الرحمن" الحجابة والحَجر على الخليفة الأموي وبلغت سيطرة هذه الأسرة على الحُكم

منتهاها فكانت الأحكام والمراسيم تنفذ باسم الحاجب وما للخليفة إلا السلطة الاسمية، حتى سُمِّي هذا العهد بعهد الدولة العامرية.

رغم تقلص نفوذ الخليفة أمام سلطة الحاجب العامري إلا أن مكانتـه في نفوس الرعية بقيت حاضرة وعظيمة، وقد أدرك "المنصور" وابنه "عبد الرحمن" هذه الحقيقة فلم يحاولا إثارة عواطف الرعية، الأمر الذي لم يدركه "عبد الرحمن شنجول" الذي فرض على الخليفة "هشام المؤيد" مَنْحَهُ ولاية العهد، فأدخل الأندلس في موجة من الفتن والاضطرابات كان من نتيجتها سقوط الدولة الأموية بالأندلس.

أما في عهد الفتنة فقد عانت الحجابة من الضعف مثلما عانت الخلافة، وكثيراً ما كانا يشتركان في نفس المصير فكان الحاجب يُعزل كلما عُزل الخليفة، ولا بد من الإشارة في هذا الشأن إلى قلة تحكم الخلفاء في تصرفات الحُجَّاب، فقد كان بعضهم واسع الطموح مثل "واضح " الفتى العامري، الذي أراد إحياء مجد مواليه، وكان بعضهم الآخر ماجنا مائعاً مثل "حكم بن سعيد القزاز" الحائك الذي حجب لـ"هشام بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر" المُلقب بـ"المعتد بالله" سنة (418هـ/1027م)، وقد جرى الكثير من حُجَّاب هذه الفترة مجرى الحُجَّاب العامريين في الحجر على الخلفاء.

لقد كان الشكل الذي مارس به الأمويون الحجابة في الأندلس علامة مميزة تفردوا بها عن باقي دول عصرهم، وكان ذلك تمهيداً لظهور نظام التعددية الوزارية ورئاسة الحكومة المعمول بها في وقتنا الحالي. فحازوا بحق شرف السبق، وقدموا للبشرية نموذجاً رائعاً ومفيداً ومتطوراً في كيفية تسيير أجهزة الدولة.



المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

المصــادر:

01 - ابن الأبار، أبو عبيد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي:

- التكملة لكتاب الصلة. تحقيق: عبد السلام الهراس. بيروت: دار الفكر، 1995، ج4.

- الحلة السيراء. تحقيق: حسين مؤنس. القاهرة: دار المعارف. ط2، 1985. الجزءان 1، 2.

03 - ابن أبي الزرع، أبو الحسن علي الفاسي، الأنيس المطرب في روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور. الرباط: المطبعة الملكية، ط2، 1420هـ/1999م.

04 - ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد، الكامل في التاريخ.. بيروت: دار صادر، 1385هـ/1965م. مج4.

05 – الأربلي، عبد الرحمن سنبط قنيتو، خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك. تصحيح وضبط: مكي سيد جاسم. بغداد: مكتبة المثنى. (د.ت).

06 - ابن الأزرق، بدائع السلك في طبائع الملك. تحقيق: سامي نشار. بغداد: منشورات وزارة الإعلام. 1977. ج1.

07 - ابن بسام، أبو الحسن علي الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس. لبنان، تونس: الدار العربية للكتاب (1395هـ/ 1975م). مج1، ق1. مج4، ق1.

08 - ابن بلقين، عبد الله، كتاب التبيان، تحقيق وتقديم وتعليق: د.أمين توفيق الطيبي. منشورات عكاظ. الرباط .1995

09 – الجهشياري، أبو عبد الله محمد بن عبدوس ، كتاب الوزراء والكتاب. تحقيق:مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي. القاهرة: مطبعة مصطفى الباني الحلبي وأولاده. 1357هـ/1938م.

10 - ابن حزم، علي بن محمد بن سعيد:

- رسائل ابن حزم. تحقيق: إحسان عباس. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر. ط1، 1981.

نقط العروس في تواريخ الخلفاء. نشر:

Christian Federico Seybold. Granada: In Révista Del Centro De Estudios Historicos De Granada Y Su Reino-1911-

12 - الحميدي، أبو محمد بن أبي النصر فتوح بن عبد الله ، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس. بيروت: دار الكتب العالمية.1417هـ/ 1997م.

13 - الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، م. بيروت: دار الفكر. مج1، 2، 3، 4، 5.

14 - الحميري، محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار. تحقيق: إحسان عباس. بيروت: مكتبة لبنان. ط2، 1984.

15 - ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف القرطبي:

- المقتبس. السفر الثاني، تحقيق: محمود علي مكي. الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث الإسلامية. 2001م. القطعة 01.

- المقتبس من أنباء أهل الأندلس. تحقيق: محمود علي مكي. بيروت: دار الكتاب العربي، 1393هـ/1973م. القطعة 02.

- المقتبس في تأريخ رجال الأندلس. تحقيق: الأب ملوشور أنطونية. باريس: بولس كتنر الكتبي. 1937. القطعة 03.

- المقتبس. تحقيق: بيدرو شلميتا وآخرون. مدريد: المعهد الإسباني العربي للثقافة وكلية الآداب بالرباط. 1979. القطعة 04.

- المقتبس في أخبار بلد الأندلس. تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي. بيروت: دار الثقافة. 1965. القطعة 05.

20 - الخشني، أبو عبد الله محمد بن حارث، قضاة قرطبة. تحقيق: إبراهيم الأبياري. القاهرة، بيروت: دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني.1402هـ/ 1982م.

21 - ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام (تاريخ إسبانيا الإسلامية). تحقيق ليفي بروفنسال. بيروت: دار المكشوف. ط1، 1956. ج.2

22 - ابن خلدون، عبد الرحمن أبو زيد:

- المقدمة. بيروت: دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، 1982.

- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ط1،بيروت: دار الكتب العلمية،1992، مج4.

24 - ابن خاقان، أبو النصر الفتح، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس. تحقيق مديحة الشرقاوي. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية. ط01، 1422هـ/ 2001م.

25 - الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح. تحقيق: محمود خاطر، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون. 1415هـ/1995م.

26 - الزبيدي، السيد مرتضى الحسيني، تاج العروس وجواهر القاموس، تحقيق: علي هلالي. الكويت: وزارة الإرشاد والإنباء. 1383هـ/1966م. ج2.

27- ابن سعد، محمد بن منيع البصري، الطبقات الكبرى. بيروت: دار صادر. د.ت. مج02، 05.

28 - ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، تحقيق:د. شوقي ضيف. ط02، القاهرة: دار المعارف، 1963. جـ01.

29 - ابن الشباط، محمد بن علي المصري التوزري، قطعة في وصف الأندلس وصقيلية (من كتاب صلة السمط وسمة المرط) تحقيق: د. أحمد مختار العبادي، مجلة المعهد المصري للدراسات الاسلامية، مدريد: 1968/76، المجلد 14.

30 - الضبي، أحمد بن يحي بن محمد بن عميرة، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس. مدريد: مطبعة روخس المسيحية، 1881.

31 - الطبري، ابن جرير، تاريخ الأمم والملوك. بيروت: دار الكتب العالمية. 1407هـ . ج2.

32 - الطرطوشي، أبو بكر محمد بن الوليد الفهري ، سراج الملوك. تحقيق: محمد فتحي أبو بكر. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية. مج1.

33- المراكشي، عبد الواحد ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب. تحقيق: الأستاذ محمد سعيد العريان. القاهرة: مطابع شركة الإعلانات الشرقية(لجنة إحياء التراث)، 1383هـ/1963م.

34 - المراكشي ابن عذاري:

- البيان المغرب في أخبـار المغرب. بيروت: مكتبة صادر، د.ت. ج02.

- البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب. تحقيق: ج.س.كولان، ليفي بروفنسال. بيروت: دار الثقافة.ط3، 1983. ج3.

36 - ابن عبد ربه، أبو عمر بن أحمد بن محمد، العقد الفريد. شرحه وضبطه: أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الأبياري. بيروت: دار الكتاب العربي. 1982م ، ج1.

37 – العذري، أحمد بن عمر بن أنس، نصوص عن الأندلس من "كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك على جميع الممالك". تحقيق: عبد العزيز الأهواني. مدريد: معهد الدراسات الإسلامية. 1965.

38- العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة. تحقيق: علي محمد البجاوي. بيروت: دار الجيل. ط1، 1412هـ/ 1992م. ج01، 04، 06.

39 – عياض، أبو الفضل بن موسى، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك. تحقيق: سعيد أحمد غراب، الرباط: وزارة الثقافة والشؤون الإسلامية، 1402هـ/ 1986م. ج.6

40 - ابن الفرضي، أبو الوليد، تاريخ علماء الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياري. القاهرة، بيروت: دار الكتاب. ط3، 1403هـ/1983، ج1.

41 - ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم ، المعارف. تحقيق: د. ثروت عكاشة. القاهرة: دار المعارف. ط2. .1969

39 - القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد ، الجـامع لأحكام القرآن.. القاهرة: دار الشعب. ط2. 1372 هـ .ج5.

42 - القضاعي، أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي، عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف. تحقيق: عبد الرحيم محمد عبد الحميد علي. عمَّـان: دار الينابيع للنشر والتوزيع، 1997.

43 - القلقشندي، أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا. ج5. تحقيق: يوسف علي الطويل. دمشق:دار الفكر. 1987.

44- ابن كثير، أبو الفدا إسمـاعيل، تفسير ابن الكثير. بيروت: دار الفكر. 1410هـ.

45 - ابن كردبوس، أبو مروان عبد الملك التوزري، تاريخ الأندلس (الإكتفاء في تاريخ الخلفاء) مدريد: المعهد المصري للدراسات الإسلامية. سنة 56-1966. مج13.

46 - مؤلف مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة فيما بينهم. تحقيـق: إبراهيـم الأبيـاري. القـاهرة، بيـروت: دار الكتـاب المصـري واللبنـاني. ط02، 1410هـ/1989م.

47 - مؤلف مجهول، مفاخر البربر. تحقيق: د. عبد القادر بوباية. الرباط: دار أبي الرقراق. ط1، 2005.

48 - المقري، أحمد بن محمد التلمساني، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرهـا لسان الدين ابن الخطيب. تحقيق: إحسان عباس. بيروت: دار صادر، (1408هـ/1988م). ج01، 03.

49 - المناوي، محمد عبد الرؤوف ، التوقيف على مهمات التعاريف. تحقيق: محمد رضوان الداية. بيروت، دمشق: دار الفكر المعاصر، دار الفكر. ط1، 1410هـ. ج1.

50 - ابن منظور، لسان العرب، المجلد الأول. إعداد وتصنيف: يوسف خياط. بيروت: دار لسان العرب. مج01.

51 - الماوردي، أبو الحسن علي البغدادي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية. بيروت: دار الكتاب العربي، ط2، 1415هـ/ 1994م.

52 - النويري، أحمد بن عبد الوهاب ، تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط (من كتاب نهاية الإرب في فنون الأدب). تحقيق وتعليق: د. مصطفى أبو ضيف أحمد. الدار البيضاء: دار النشر المغربية.

53 - الناصري، أبو العباس أحمد بن خالد ، كتاب الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى. تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري الدار البيضاء: دار الكتاب. ط1، 1997. ج1.

54 – الونشريسي، أحمد، المعيار المغرب والجامع المغرب. بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1981، ج10.

المراجع:

55 - ليفي بروفنسال، تاريخ إسبانيا الإسلامية من الفتح إلى سقوط الخلافة القرطبية (811م-1031م)، ترجمة: علي عبد الرؤوف البمبي وآخرون. مدريد:Espasa Calpe.S.A. ط3، 1967.

56 - بالنثيا آنخيل جنثالث، تاريخ الفكر الأندلسي. ترجمة: د.حسين مؤنس. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، دت.

57 - البيلي محمد بركات، دراسات في نظم الحكم في الدولة الإسلامية. القاهرة: دار النهضة العربية. 1408هـ/1988م.

58 – الحجي، عبد الرحمن علي ، التاريخ الأندلسي (من الفتح حتى سقوط غرناطة)، دمشق، بيروت: دار القلم، المنارة. ط3، 1407هـ/1987م.

59 - حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس. القاهرة: مطبعة الخانجي. 1980.

60 - حسن إبراهيم حسن وعلي إبراهيم حسن، النظم الإسلامية. ط2.القاهرة: مكتبة النهضة الإسلامية. 1959.

61 – خلف، سالم عبد الله، نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس. المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية. 1424هـ/ 2003م.

62 - دوزي رينيهت:

- تاريخ مسلمي إسبانيا، ج1. ترجمة: جمال محرز. القاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، 1963.

- المسلمون في الأندلس (اسبانيا الإسلامية). ترجمة وتعليق: د.حسن حبشي. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب. ج2.

64 – الرفاعي، أنور، النظم الإسلامية. دمشق: دار الفكر. 1393هـ/1973م.

65 - سالم السيد عبد العزيز:

- تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، بيروت: دار النهضة العربية.1981.

- محاضرات في تاريخ الحضارة الإسلامية. الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة. 1997.

67 – شبارو، عصام محمد، الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود (91هـ/710م-897هـ/1492م). بيروت: دار النهضة العربية. 1423هـ/ 2002م.

68 – الشمري، غازي جاسم مهدي، دراسات في النظم الإسلامية. سيدي بلعباس: مكتبة الرشاد. 1424هـ/2002م .

69 - العبادي، أحمد مختار، في التاريخ العباسي والأندلسي. بيروت: دار النهضة العربية. دت.

70 – عباس، إحسان، تاريخ الأدب الأندلسي (عصـر سيادة قرطبة). عمان: دار الشروق. ط1، .1997

71- عنان عبد الله ، تراجم إسلامية شرقية وأندلسية، القاهرة: مكتبة الخانجي. ط2، 1390هـ/1970م.

72 – عنان، محمد عبد الله ، دولة الإسلام في الأندلس. العصر الأول، القسم الأول. القاهرة: مكتبة الخانجي. ط04، 1417هـ/ 1997م.

73 – عفيفي، محمد الصادق ، المجتمع الإسلامي وأصول الحكم، الظهران: دار الاعتصام. دت،

74 – المزيد، صالح بن محمد الفهد. أحكام وضع الحجاب على أبواب السلاطين والولاة والكتاب. القاهرة: مطبعة المدني. ط1. 1413هـ/1992م.

75 – المنياوي، محمد حمدي ، الوزارة والوزراء في العهد الفاطمي. القاهرة: دار المعارف، د.ت.

76 - هوبكنز ج.ف.ب. ، النظم الإسلامية بالمغرب في القرون الوسطى. ترجمة: د.أمين توفيق الطيبي. الدار البيضاء: شركة النشر والتوزيع المدارس. 1420هـ/1999م.

الدوريـات:

77 - بوبايـة عبد القادر، علاقة الرستميين بالإمارة الأموية في الأندلس. مجلة التراث العربي، دمشق. العددان 99 و 100 - السنة الخامسة والعشرون ديسمبر2005م/ رمضان1426 هـ.

78 - أبو زهرة، محمد ، الوظيفة في الإسلام. مجلة لواء الإسلام (الرياض). العدد:04، السنة16. 1381هـ/1962م. ص229.

79 - سحر السيد عبد العزيز سالم، بنو أبي عبدة: الأصول الأسرية الأولى لبني جهور أصحاب قرطبة في عصر دويلات الطوائف. مدريد: مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية. مجلد: 29. سنة1997. ص300.

80- العبادي، أحمد مختار ، شخصية عبد الرحمن الأول الأموي، الملقب بالداخل وصقر قريش. مدريد: مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية. مجلد 29. عدد 1997. ص26.

81 - العنزي، علي بن راشد، الحجابة والحجاب خلال العصور الإسلامية. مجلة الحرس الوطني (الرياض) السنة 10، العدد 84، 1410هـ/1989م.

82 - بن معمر، محمد، تاريخ القضاء الإسلامي وتطوره ببلاد المغرب على عهدي المرابطين والموحدين. رسالة ماجستير، معهد التاريخ ، جامعة وهران، السنة الجامعية: 1993/1992.

:É ÊÈäÌ?Ç ÚÌÇÑ?Ç

83- Lévi provençal, Histoire de l`Espagne Musulmane.Tome3. Paris : Editions G.P Maisonneuve.1953.

الملاحق

- (الملحق 01):
جدول يوضح أسماء الحُكَّـام ومن حجب لهم:

الخلفاء	الحُجَّـاب	مدة ولايته الحجابة	ملاحظات
عبد الرحمن الداخل (138هـ/75م) (172هـ/788م)	-تمام بن علقمة -يوسف بن بخت. - عبد الرحمن بن مغيث. -عبد الكريم بن مهران. - منصور الخصي	- (138هـ/75م)	- كُلّف بمهام أخرى. - كُلّف بمهام أخرى.
هشام الرضا (172هـ/78م (180هـ/796م)	- عبد الكريم بن مغيث. - عبد الواحد بن مغيث. - عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث. - عبد العزيز بن أبي عبده. - عبد غافر بن أبي عبده.		
الحَكم الربضي (180هـ/796م) (206هـ/822م)	- عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث.		
عبد الرحمن الأوسط (206هـ/822م) (238هـ/852م)	- عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث. سفيان بن عبد ربه. -عيسى بن شهيد. -عبد الرحمن بن رستم. -عيسى بن شهيد.	-206هـ/822م-209هـ/825م - 20هـ/825م.	- انتهت حجابته بوفاته. -عزل بكتاب مزور. -تعيين ثاني.
محمد بن عبد الرحمن (238هـ/852م) (273هـ/886م)	- عيسى بن شهيد - عيسى بن الحسن بن أبي عبدة. -ناب عن الحاجب: هاشم بن عبد العزيز.	-238هـ/852م-243هـ/857م. -(243هـ/857م) حتى وفاته.	- تاريخ وفاة الحاجب مجهولة حيث تم تعطيل الحجابة بعد ذلك.
المنذر بن محمد 273هـ/886م 275هـ/888م	- هاشم بن عبد العزيز. -عبد الرحمن بن أمية بن شهيد	-273هـ/886م. - 273هـ/886م.	-نكب في نفس السنة.
عبد الله بن محمد 275هـ/88م 300هـ/912م	-عبد الرحمن بن أمية بن شهيد. -سعيد بن محمد بن السليم. -ناب عن الحاجب:بدر بن أحمد.	-275هـ/888م. -275هـ/888م-290هـ/902م -(290هـ/902م-300هـ/912م	-عزل في نفس السنة. -تم تعطيل الحجابة في هذه الفترة.
عبد الرحمن الناصر 300هـ/912م 350هـ/961م	-بدر بن أحمد - موسى بن محمد بن حدير -أحمد بن عبد الملك بن شهيد	-300هـ/912م-309هـ/921م -309هـ/921م-320هـ/932م	-أختلف في حجابته للناصر. -تم تجميد الحجابة في

الملاحـق

			هذه الفترة.
الحكم المستنصر 350هـ/976م 366هـ/976م	-جعفر بن عبد الرحمن الصقلبي. -جعفر بن عثمان المصحفي.	-350هـ/976م.	-تجهل سنة وفاة الحاجب. -أختلف في حجابته للحكم.
هشام المؤيد(1) 366هـ/976م 399هـ/1009م	-جعفر المصحفي. -غالب بن عبد الرحمن. -محمد بن أبي عامر. -عبد الملك بن أبي عامر - عبد الرحمن بن أبي عامر	-366هـ/976م(6أشهر و3أيام). -376هـ/977م. -شعبان376هـ/977م-392هـ/1002م. -392هـ/1002م-399هـ/1009م -399هـ/1009م-	-نكبه ابن أبي عامر. -حجابة اسمية. -استبد بالحكم دون الخليفة.
محمد المهدي 399هـ/100م 400هـ/1010م	-عبد الجبار بن المغيرة بن عبد الرحمن الناصر.		
سليمان المستعيين(1) 400هـ/1010م	-الفتى واضح الصقلبي.		
هشام المؤيد(2) 400هـ/1010م 403هـ/1013م	- الفتى واضح الصقلبي.		-عطل الخليفة هشام المؤيد الحجابة في آخر أيامه.
سليمان المستعيين(2) 403هـ/1013م 406هـ/1016م	-		-حجب له البربر.
عبد الرحمن المستظهر 414هـ/1023م	- أبو محمد بن أحمد بن حزم.	-سبعة أسابيع.	
محمد المستكفي 414هـ/102م 416هـ/1025م	-أحمد بن خالد.		
هشام المعتد 418هـ/102م 422هـ/1031م	-حكم بن سعيد القزاز.		-سقوط الدولة الاموية سنة422هـ/1031م.

الملحــق (02):

المرسوم الصادر عن الخليفة "المؤيد بالله" سنة (399هـ/1007م) الذي تسمى بموجبه الحاجب "عبد الملك بن أبي عامر" بـ"المُظفر سيف الدولة"

«بسم الله الرحمن الرحيم؛

أتم الله عليك نعمتك، وهنَّأك قسمه، وألبسك عفوه وعافيته، لما رأيناك – سلَّمك الله – من صنع الله الجسيم، وفضله العظيم، لنا عليك ما شفى الصدور، وأقر العيون، استخرنا الله تعالى، في أن سميناك المُظفر، فنسأل الله سُؤال إلحاف وضراعة، وابتهالٍ إليه أن يُعرفنا وإياك بركة هذا الاسم، ويُحليك معناه، ويعطينا وإياك وكافة المسلمين فضل ما حملت منه، وأن يُخير لنا ولهم في أقضيته، ويقرنه بيُمْنِهِ، وسعادته بمنِّه، وخَفِيِّ، وكذلك أبحناك التكني في مجالسنا ومحافلنا، وفي الكُتب، الجارية منك وإليك في أعمال سلطاننا وسائر ما يجري فيه اسمك معنا ودوننا، إناقةً بمحلّك لدينا، ودلالةً على مكانك منَّا. وكذلك ما شرَّفنا فتاك أبا عامرٍ محمد بن المظفر تلادَنا أسعده الله بالإنهاض إلى خُطة الوزارتين، وجمعناه بها في التكني على المشيخة والترتيب، إثرك في الدولة. وأنت الحقيق، منا بذلك كلّه، وبجميل المزيد عليه، لأنك تربيتنا وسيف دولتنا، وولي دعوتنا، ونشء نعمتنا، وخريج أدبنا. فأظهر ما جدَّدناه لك في الموالي وأهل النعمة، واكتب به إلى أقطار المملكة، وتَصدَّقه بشكر النعمة؛ أحسن الله توفيقك، ومتَّعنا طويلاً بمُعافاتك، وآنسنا ملياً بدوام . إنه وليٌّ قادرٌ، عزيز قاهر، إن شاء الله تعالى»[1].

[1] - لسان الدين بن الخطيب، أعلام الأعلام. ج2، ص88.

الملحــق (03):

المرسوم الصادر عن الخليفة "المؤيد بالله" سنة (399هـ/1008م) الذي تسمى بموجبه الحاجب "عبد الرحمن بن أبي عامر" بـ"ولي العهـد"

«هذا ما عهد به أمير المؤمنين هشام المُؤيد بالله – أطال الله بقاءه – على الناس عامة، وعاهد الله عليه خاصة، وأعطى عليه صفقة يمينه ببيعة تامةٍ، بعد أن أمعن النظر، وأطال الاستخارة، وأهمه ما جعله الله إليه من إمامة المسلمين، وخصه به من إمرة المؤمنين، واتقى حلول القدر بما لا يَؤمَن، وخاف نزول القضاء بما لا يُصرف، وخشي إن هجم محتوم ذلك عليه ونزل مقدور ذلك به، ولم يرفع لهذه الأمة علماً تأوي إليه، ولم يوردها ملجأً تنعطف عليه، أن يكون يلقى الله مُفرطاً فيها، ساهياً على أداء الحق إليها. ونفض عن ذلك طبقات الرجال من أحياء قريش وغيرها ممن يستحق أن يُسند الأمر إليه، ويُعوَّل في القيام به عليه، ممن يستوجبه بدينه وأمانته وهديه وورعه، بعد اطِّراح الهوادة والتبرِّئ من الهوى، والتحري للحق، والتزلف إلى الله عز وجلَّ لما يرضيه، وإن قطع الأواصر وأسخط الأقارب، عالماً أن لا شفاعة عنده إلا العمل الصالح، وموقناً أن لا وسيلة إليه أرضى من الدين الخالص؛ فلم يجد أحداً هو أجدر أن يُقلِّده الخلافة، ويُفوِّض إليه النظر الخلافة بعده، في فضل نفسه، وكرم خيمته، وشرف همته، وعلو منصبه، مع تقواه وعفافه، ومعرفته وحزمه، من المأمون الغيب، الناصح الحبيب، النازح عن كل عيب، ناصر الدولة أبي المظفر عبد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر (وفقه الله) إذْ كان أمير المؤمنين قد ابتلاه واختبره، ونظر في شأنه واعتبره؛ فرآه مُسارعاً للخيرات، مستولياً على الغايات، جامعاً للمُؤثرات، وارثاً للمكرمات، يجذب بضبعيه إلى أرفع منازل الطاعة، وينو بعينيه إلى أعلى درج النصيحة، أبٌ منقطع القرين، وصنو معدوم الغريم، ومن كان المنصور أباه، والمظفر أخاه، فلا غرو أن يبلغ في سبيل الخير مداه، ويحوي من حلل المجد بما حواه، مع أن أمير المؤمنين – أكرمه الله – لما اطلعه من مكنون العلم، ورعاه من مخزون الأثر، أمَّل أن يكون ولي عهده القحطاني الذي حدَّث عنه عبد الله بن عمرو بن العاص، ويتحقق به ما أسنده أبو هريرة إلى النبي (صلى الله عليه وسلَّم): «ألا تقوم الساعة حتى يخرج رجلٌ من قحطان يسوق العرب بعصاه». فلما استوى له الاختبار، وتقابلت عنده فيه الآثار، ولم يجد مذهباً ولا على غيره معدلاً، خرج إليه في تدبير الأمر في حياته، وفوَّض إليه النظر في الخلافة بعد مماته، طائعا راضياً، ومجتهداً متخيراً، غير محاب له ولا مائل له بهوادة، ولا مترك نصح الإسلام وأهله فيه. وجعل إليه الاختيار لهذه الأمة بولاية عهده، فيها إن رأى بقاء أمير المؤمنين (أعزه الله). وأمضى أمير المؤمنين (

أعزه الله)، عهده هذا، وأنفذه، وأجازه، وبتله، لم يشترط فيه مثنويه ولا خياراً، وأعطى على الوفاء بذلك في سره وجهره وقوله وفعله، عهد الله وميثاقه وذمة نبيه (صلى الله عليه وسلم)، وذمة الخلفاء الراشدين من آلـه وآبائـه، وذمة نفسه، بأن لا يبدل ولا يغير ولا يحول ولا يتأول. وأشهد على ذلك الله وملائكته، وكفى بالله شهيدا. وأشهد عليه من أوقع اسمه في هذا الكتاب. وهو (أعزه الله) جائز الأمر، ماضي القول والفعل، بمحضر من ولي عهده المأمون ناصر الدولة أبي المظفر عبد الرحمن بن المنصور(وفقه الله)، وقبوله لما قلده، والتزامه ما ألزمه؛ وذلك في شهر ربيع الأول سنة 399هـ»[1].

---

[1] ـ لسان الدين بن الخطيب، أعلام الأعلام. ج2، ص ص91- 93.

الملحق (4) : خريطـة الأندلس.(المقياس: 1/ 4.000.000)؛ د. عبد الرحمن علي الحجي، التاريخ الأندلسي. ص24.

